

أخبار اليوم
قطاع الثقافة

السيرة النبوية

لإبن إسحاق

المجلد الثاني



رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعد

NOTE:

THESE BOOKS ARE
SCANNED FOR OUR
CHILDREN KNOWLEDGE.
THANK TO BROTHER
NASIR UDDIN ARIF
TALIB DUA

NAZAA + AHMAD ALI



دار أخبار اليوم
قطاع الصحافة

جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

تقديم

هذه طبعة جديدة للسيرة النبوية الشريفة .. التي كتبها محمد بن إسحاق المطلبى الشهير بابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هجرية .. وهي أصدق وأصح الطبقات وأكثرها شمولاً .. وتجمع لأول مرة سيرة بن إسحاق كاملة من المخطوطات وبطون الكتب الأمهات .
ويقدم قطاع الثقافة فى دار أخبار اليوم هذه الطبعة الجديدة فى مجلدين يصدران تباعاً ..
والله ولى التوفيق .

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

jabir.abbas@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لقطاع الثقافة في دار أخبار اليوم

المجلد الثانى

السيرة النبوية

لابن إسحاق

حقق أصولها ووثق نصوصها وكتب مقدمتها
وعلق عليها وضبط ألفاظها ووضع فهرسها

بدوى طه بدوى

محقق فى التراث الإسلامى

طه عبد الرؤوف سعد

من علماء الأزهر الشريف

المجلد الثانى

من سيرة ابن إسحاق

من أول غزوة حمراء الأسد إلى

رثاء حسان رسول الله ﷺ

وبه يتم الكتاب بحمد الله

وتتم سيرة النبی العدنان ﷺ

* ملحوظة مهمة جداً :

من أول هنا إلى نهاية الكتاب مأخوذ من السيرة النبوية لابن هشام مما رواه عن ابن إسحاق ، اختاره بدوى طه بدوى . وبذلك تكون روايات ابن إسحاق من أول السيرة «ذكر نسب النبی ﷺ» قد جُمعت إلى نهايتها «وفاة الرسول ﷺ ورثاء حسان له» لأول مرة - بحمد الله - فى كتاب واحد هو هذا الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ .
والحمد لله أولاً وآخرًا .

jabir.abbas@yahoo.com

غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ بَعْدَ أُحُدٍ

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن خارجه بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ، من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً مع رسول الله ﷺ ، قال : شهدت أحداً مع رسول الله ﷺ ، أنا وأخ لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو ، قلت لأخي أو قال لي : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله مالنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر جرحاً ، فكان إذا غلب حملته عقبة ، ومشى عقبة ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : فأقام بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال : وقد مر به كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة ، مسلمهم ومشرکهم عيبة نصح ^(١) لرسول الله ﷺ ، بتهامة ، صفقتهم ^(٢) معه ، لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج رسول الله ﷺ بحمراء الأسد ، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا بحد أصحابه وأشرفهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكون على بقيتهم ، فلنفرغ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ^(٣) ، قد اجتمع

(١) عيبة نصح : أي موضع ومكن سره .

(٢) صفقتهم : اتفاهم .

(٣) تحرقاً : أي غيظاً شديداً .

ابن إسحاق

معه من كان تخلف عنه في يومكم (١) ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحق (٢) عليكم شيء لم أر مثله قط ، قال ويحك ! ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترحل حتى أرى نواصي الخيل قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم ، لنستأصل بقيتهم ، قال فإنني أنهاك عن ذلك ، قال والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم آياتاً من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تَهْدُ مِنَ الْأَصَوَاتِ رَاحِلَتِي	إِذْ سَأَلْتُ الْأَرْضَ بِالْجَرْدِ الْأَبَابِيلَ (٣)
تَرْدِي بِأَسَدٍ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةَ	عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلَ مَعَاذِيلَ (٤)
فَظَلَّتْ عَدُوًّا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةَ	لَمَّا سَمَوْا بِرئيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ
فَقُلْتُ : وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ	إِذَا تَغَطَّمَتْ بِالْبَطْحَاءِ بِالْجَلِيلِ (٥)
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسَلِ ضَاحِيَةٍ	لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ (٦)
مِنْ جَيْشٍ أَحْمَدَ لَا وَخْشَ تَنَابِلَةَ	وَلَيْسَ يَوْصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقِيلِ (٧)

فثنى (٨) ذلك أبا سفيان ومن معه :

* رِسَالَةٌ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

ومر به ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ؟ قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة (٩) ، قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة

(١) يقصد غزوة أحد .

(٢) الحق : الغل والغيط .

(٣) الجرد : العتاق من الخيل ، والأبَابِيل : الجماعات .

(٤) تردى : تسرع ، التنايلة : القصار ، الميل : من لا رماح معهم ، المعازيل : العزل

من السلاح .

(٥) تغطمطت : اهتزت ، الجليل : الصنف من الناس .

(٦) أهل البسل : قريش ، الضاحية : الظاهرة للشمس ، الإربة : العقل .

(٧) الوحش : رذلة الناس .

(٨) أى صرفه وفتى عزيمته .

(٩) الميرة : هى الطعام الذى يُجمع للسفر ونحوه .

— ٧ — ابن إسحاق

أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم هذه غداً زيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا نعم : قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان : فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل (١) .

* مَا فَعَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ :

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان عبد الله بن أبي ابن سلول ، كما حدثني ابن شهاب الزهري ، له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكر شرقاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس « قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزروه ، واسمعوا له وأطيعوا » ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أي عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجراً (٢) أن قمت أشدد أمره . فلقى رجل من الأنصار بباب المسجد ، فقال : مالك ؟ ويلك ، قال قمت أشدد أمره ، فوثب على رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ، ولكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره ، قال : ويلك ! ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ ، قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي (٣) .

* * *

(١) هي خير عدة وحصن يتحصن بها المسلم ويدعو بها إذا خاف شيئاً وبها يُفرج الله الكروب .

(٢) البَجْرُ : الأمرُ العظيم .

(٣) وهذا دليل على تكبر وعناد عبد الله بن أبي زعيم المنافقين .

ذِكْرُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَحَدٍ مِنَ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال ابن إسحاق : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ومعاتبه من عاتب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبیه ﷺ :

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(١) .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على ، وليستعن بى ، أعنه على أمره ، وأدفع عنه ، حتى أبلغ به وأدفع عنه وأقويه على نيته : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ^(٣) أى فاتقوني ، فإنه شكر نعمتى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ ^(٤) أى أن تصبروا لعدوى ، وتطيعوا أمرى ، ويأتوكم من وجههم هذا : أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمد رسول الله ﷺ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ^(٥) أى ليس لك من الحكم شيء فى عبادى إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم ، برحمتى ، فإن شئت فعلت ، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقى ﴿ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٦) أى يغفر الذنب ويرحم العباد ، على ما فيهم .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٢١ . (٢) سورة آل عمران : الآية ١٢٢ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٢٣ . (٤) سورة آل عمران : الآيات ١٢٤ - ١٢٥ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٢٨ . (٦) سورة آل عمران : الآية ١٢٩ .

وفى التعليق على قول الله عز وجل : ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ (١) .

قال ابن إسحاق : أى فقولوا مثل ما قالوا : واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم واستغفروه كما استغفروه ، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ، ولا تترتدوا على أعقابكم راجعين واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم ، واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان ، وقد قتل نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ (٢) بالظهور على عدوهم ﴿ وحسن ثواب الآخرة ﴾ وما وعد الله فيها .

* تحذير المؤمنين من إطاعة الكفار :

قال ابن إسحاق : ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾ (٣) أى تخاذلتُم : ﴿ وتنازعتم فى الأمر ﴾ أى اختلفتم فى أمرى ، أى تركتُم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة : ﴿ من بَعْدَ مَا أَرَأَكُمْ مَا تُحِبُونَ ﴾ أى الفتح ، لا شك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة : ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ (٤) أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لعرض من الدنيا ورغبة فيها ، رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة ! أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لا يهلككم بما أتيتُم من معصية نبيكم ، ولكنى عدت بفضلى عليكم ، وكذلك من الله على المؤمنين أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٥٢ .

(٤) قال ابن عباس : المقصود بهذه الآية عبد الله بن جبير الذى كان أميراً على الرماة ، وكان أمرهم - أى الرسول ﷺ - أن يلزموا مكانهم ، وألا يخالفوا أمر نبيهم ، فثبت معه طائفة فاستشهد ، واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب فكرر عليهم العدو ، وكانت الهزيمة . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ١٩٤ / ٤ .

الدنيا أدبًا وموعظة ، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم ، بما أصابوا من معصيته ، رحمة لهم ، وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان .
* جزاء شهداء أحد :

قال ابن إسحاق : وحدثني إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ ، لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، تردُّ^(١) أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل^(٢) من ذهب ، في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم ، وحسن مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهّدوا في الجهاد ، ولا يتركوا عند الحرب^(٣) ، فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم فأنزل الله على رسوله ﷺ هؤلاء الآيات : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثني الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا »^(٤) .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فقال : أما أنا قد سألتها فقيل لنا إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، تردُّ أنهار الجنة : وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة فيقول : يا عبادي ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ قال فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم اطلاعة فيقول : يا عبادي ، ما تشتهون ، فأزيدكم ، فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا قال : ثم يطلع عليهم اطلاعة فيقول : يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون ربنا لا فوق ما

(١) تأتي وتطوف .

(٢) مصابيح .

(٣) أي لا يرجعون خائفين من العدو هائبين منه .

(٤) أي صباحًا ومساءً .

— ابن إسحاق — ١١ —

أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ! إلا أنا نحب أن تردّ أرواحنا في أجسادنا ، ثم نرد إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لى رسول الله ﷺ : ألا أبشرك يا جابر ؟ قال قلت بلى يا نبي الله ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله عز وجل ، ثم قال له : ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أى رب أحب أن تردني إلى الدنيا ، فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ، ما من مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا فيقاتل فى سبيل الله ، فيقتل مرة أخرى » .

* ذُكِرَ مِنْ اسْتَشْهَدَ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ :

• مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله ﷺ - من المهاجرين من قريش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف حمزة بن عبد المطلب بن هاشم - قُتِلَ وَحْشَى (١) غلام جبير بن مطعم (٢) .

• مِنْ بَنَى أُمَيَّةَ

ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بنى أسد ابن خزيمه ، ومن بنى عبد الدار بن قصي : مصعب بن عمير ، قتله ابن قمئة الليثي ومن بنى مخزوم ابن يقظة : شماس بن عثمان . أربعة نفر .

* * *

(١) أسلم وحشى بعد ذلك وتاب وندم على ما فعل وقتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة .

(٢) أسلم جبير بن مطعم بعد ذلك وحسن إسلامه وروى كثيراً من الأحاديث عن رسول

الله ﷺ .

* ذكر من استشهد بأحد من الأنصار (١) :

من بنى عبد الأشهل : عمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السكن .

قال ابن إسحاق : وسلمة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، رجлан .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة أن أباهما ثابتا قتل يومئذ . ورفاعة بن وقش وحسيل بن جابر ، وأبو حذيفة وهو اليمان أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون ، فتصدق حذيفة بديته على من أصابه وصيفى بن قيطى وحباب بن قيطى وعباد بن سهل والحارث بن أوس بن معاذ اثنا عشر رجلاً .

ومن أهل راتج : إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زعوراء ابن جشم بن عبد الأشهل ، وعبيد بن التيهان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجار ثم من بنى سواد بن مالك بن غنم : عمرو ابن قيس ، وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مخلد ، أربعة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد : أنيس بن قتادة ، رجل .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جبير بن النعمان ، وهو أمير الرماة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عدى بن النجار : أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار .

قال ابن إسحاق : وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبحر وعتبة ابن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر ثلاثة نفر .

(١) المعروف أن الأنصار هم أهل المدينة وسكانها من المسلمين الذين هاجر إليهم الرسول ﷺ وقد دخلوا فى الإسلام قبل الهجرة وبعدها ، وسموا الأنصار لأنهم نصروا رسول الله ﷺ - عندما هاجر إليهم وآزروه وتآخوا مع المهاجرين من أهل مكة ، وقد أمرنا النبى ﷺ بحبهم - رضى الله عنهم - .

— ابن إسحاق — ١٣ —

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وسقف بن فروة بن البدى رجلاً .

قال ابن إسحاق : فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلاً .

* ذكر من قُتل من قُريش يوم أُحد :

قال ابن إسحاق : وقتل من المشركين يوم أُحد من قريش ، ثم من بنى عبد الدار بن قصي من أصحاب اللواء : طلحة بن أبي طلحة ، واسم أبي طلحة عبد الله ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله على بن أبي طالب ، وأبو سعد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، والجلال بن طلحة قتلها عاصم بن ثابت بن أبي الألقح ، وكلاب بن طلحة ، والحارث بن طلحة قتلها قزمان حليف لبني ظفر .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة بن عبد المطلب وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان ، وصواب غلام له حبشى قتله قزمان .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان . أحد عشر رجلاً .

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحد من المشركين اثنان وعشرون رجلاً .

* * *

ذَكَرُ مَا قِيلَ مِنْ شِعْرِ يَوْمِ أَحَدٍ

* شعر هبيرة :

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد ، قول هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم .

ما بال هم عميد بات يطرقني	بالود من هند إذ تعدو عواديها (١)
باتت تعاتبني هندی وتعدلني	والحرب قد شغلت عني مواليتها
مهلاً فلا تعدليني إن من خلقي	ما قد علمت وما إن لست أخفيها
مساعف لبني كعب بما كلفوا	حمال عبء وأثقال أعانيها
وقد حملت سلاحى فوق مشرف	ساط سبوح إذا تجرى يباريها (٢)
كانه إذ جرى عير بفدفة	مكدم لأحق بالعون يحميها (٣)
من آل أعوج يرتاح الندى له	كجذع شعراء مستعل مراقيها (٤)
أعدته ورقاق الحد منتخلاً	ومارنا لخطوب قد ألقاها (٥)
هذا وبيضاء مثل النهى محكمة	نيطت على فما تبدو مساويها (٦)
سقنا كنانة من أطراف ذى يمن	عرض البلاد على ما كان يزجيها (٧)
قالت كنانة أنى تذهبون بنا ؟	قلنا : النخيل ، فأمرها ومن فيها (٨)

(١) العميد : شديد الحزن ، العوادي : الشواغل .

(٢) مستشرف : بفتح الراء اسم مفعول ، أى فرس تنظر الناس إليه لحسنه .

(٣) هنا يشبه حصانه بحمار وحشى هو العير ، الفدفة : الصحراء ، والمكدم :

المعضوض ، والعون : القطيع من حمر الوحوش .

(٤) الأعوج : اسم فرس مشهور فى العرب ومنه الأعوجيات أى الخيل الجيدة ،

والندى : المجلس من القوم . والشعراء : نخلة كثيرة الأغصان .

(٥) رقاق الحد : السيوف ، المنتخل : المتخير ، المارن هنا : الريح اللينة .

(٦) البيضاء : الدرع ، النهى : الغدير ، نيطت : علق .

(٧) عرض البلاد : سعتها ، يزجيها : يسوقها .

(٨) يريد بالنخيل : المدينة المنورة .

- نَحْنُ الْقَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِّ مِنْ أَحَدٍ هَابَتْ مَعَدَ فَقُلْنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا (١)
 هَابُوا ضَرَابًا وَطَعْنَا صَادَفَتْ خَدَمًا مِمَّا يَرُونَ وَقَدْ ضَمَّتْ قَوَاصِيهَا (٢)
 ثُمَّتَ رُحْنًا كَأَنَّا عَارِضُ بَرَدٍ وَقَامَ هَامُ بَنِي النَّجَّارِ يَبْكِيهَا (٣)
 كَانَ هَامُهُمْ عِنْدَ الْوَعَى فَلَقَ مِنْ قَبْضٍ رِيدَ نَفْتِهِ عَنْ أَدَاحِيهَا (٤)
 أَوْ حَنْظَلٍ رَعَزَتْهُ الرِّيحُ فِي غُصْنٍ بَالٍ تَعَاوَرَهُ مِنْهَا سَوَافِيهَا (٥)
 قَدْ نَبَذَ الْمَالَ سَحًا لَا حِسَابَ لَهُ وَنَطَعُنُ الْخَيْلَ شِزْرًا فِي مَاقِيهَا (٦)
 وَكَيْلَةً يَصْنُطِلُ بِالْفَرْتِ جَارَرَهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقْرِى الْمَثْرِينَ دَاعِيهَا (٧)
 وَكَيْلَةً مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ جَرَبًا جُمَادِيَةٍ قَدْ بَتَ أُسْرِيهَا (٨)
 لَا يَنْبِجُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقُرَيْسِ وَلَا تَسْرِى أَفَاعِيهَا (٩)
 أَوْقَدَتْ فِيهَا لَذَى الضَّرَاءِ حَامِيَةٍ كَالْبَرْقِ ذَاكِيَةِ الْأَرْكَانِ أَحْمِيهَا (١٠)
 أَوْرَثَنِي ذَلِكُمْ عَمْرُو وَوَالِدُهُ مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالْمَثْنَى يَغَالِيهَا (١١)
 كَانُوا يَبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَمَا دَنَتْ عَنِ السُّورَةِ الْعُلْيَا مَسَاعِيهَا (١٢)

(١) الجر : أصل الجبل .

(٢) الخدم : المذل .

(٣) العارض : السحاب ، الهام : جمع هامة وهي ما تزعم العرب أنها طائر يخرج من رأس القليل يصيح اسقوني حتى يؤخذ بثأر القليل .

(٤) الفلق : القطع ، القبض : قشر البيض ، الريد : النعام ، الأداحى : أماكن تبيض فيها النعام .

(٥) تعاوره : تداوله ، السوافى : الرياح التى تحمل التراب والرمل .

(٦) نبذل المال سحاً : لمجود كثيراً ، الشزر : الطعن يمينا وشمالاً .

(٧) النقري : دعوة قوم دون قوم وضدها الجفلى .

(٨) أنديّة : جمع ندى وهو المجلس ، جربا : شديدة البرودة ، جمادية : نسبة إلى

جماد ، وقد سمي شهر جماد بهذا الاسم ، إذ صادف عند تسميته وقت تجميد المياه فسمى جماداً .

(٩) القريس : البرد مع الصقيع . (١٠) الحامية : الملتهبة .

(١١) المثنى : المرة بعد الأخرى .

(١٢) دنت : قصرت ، السورة : المنزل .

* حسان بن ثابت يرد على هبيرة :

قال ابن إسحاق فأجابه حسان بن ثابت فقال :

سَقْتُمْ كِنَانَهُ جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ فَجُنْدَ اللَّهِ مُخْزِيهَا
أوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها ، والقتل لاقية
جمعتهم أحاييشًا بلا حسب أئمة الكفر غرتكم طواغية
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت أهل القلب ومن ألقينه فيها
كم من أسير فككناه بلا ثمن وجز ناصية كنا موالية

* كعب يرد على هبيرة :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبي وهب أيضًا :

أَلَا هَلْ أَتَى غَسَّانَ عَنَّا وَدُونَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ خَرَقَ سِيرَةً مُتَنَعِعَ (١)
صحار وأعــلامٌ كَانَ قَتَامَهَا مِنَ الْعَبْدِ نَقَعَ هَامِدٌ مُتَقَطِعَ (٢)
تَظَلُّ بِهِ الْبَزْلُ الْعَرَامِيسَ رَزَحًا وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السَّيْنِ فَيَمْرَعُ (٣)
بِهِ جَيْفُ الْحَسْرِ يَلُوحُ صَلِيبُهَا كَمَا لَاحَ كِتَانُ التُّجَارِ الْمَوْضِعِ (٤)
بِهِ الْعَيْنُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً وَيَبِضُّ نَعَامٌ قَيْضُهُ يَتَقْلَعُ (٥)
مَجَالِدَنَا عَنْ دِينِنَا كُلِّ فَخْمَةٍ مَدْرَبَةٍ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْمَعُ (٦)
وَكُلِّ صَمُوتٍ فِي الصَّوَانِ كَانَهَا إِذَا لُبَسَتْ نَهَى مِنَ الْمَاءِ مَتَرَعُ (٧)

(١) الخرق : الفلاة ، المتنعع : المضطرب .

(٢) الأعلام : الجبال ، القتام : ما اسود من الأشياء ، النقع : الغبار .

(٣) البزل : الإبل القوية ، العراميس : الشديدة ، يمرع : يخصب .

(٤) الصليب هنا : دسم الشحم واللحم ، الموضع : المحلى بالنقوش .

(٥) العين : بقر الوحش ، الآرام : بيض البطون سمر الظهور ، خلفه : جماعة وراء

جماعة ، القيض : قشر البيض ، يتقلع : يتشقق .

(٦) الفخمة : الكتبية الضخمة . القوانس : رءوس بيض السلاح .

(٧) الصموت : الدرع التي أحكمت صنعها ، الصوان : ما يصاب فيه الشيء ، النهى :

الغدير .

وَلَكِنْ بَبَدْرٍ سَأَلُوا مِنْ لَقِيْتُمْ
وَأَنَا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا
إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ
فَمَهْمًا يَهُمُّ النَّاسَ مِمَّا يَكِيدُنَا
فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ
نُجَالِدُ لَا تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ
وَلَمَّا ابْتَنُوا بِالْعَرَضِ قَالَ سَرَاتُنَا
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَتَّبِعُ أَمْرَهُ
تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
نُشَاوَرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصَرْنَا
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَا لَنَا
وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقَرُّبًا
وَلَكِنْ خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا
فَسَرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ
بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السُّنُورُ وَالْقَنَا
فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطُهُ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةُ

مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ تَنْفَعُ
سَوَانَا لَقَدْ أَجْلُوا بَلِيلٌ فَأَقْشَعُوا (١)
أَعْدُوا لِمَا يَزْجِي ابْنَ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ (٢)
فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
الْبَرِيَّةِ قَدْ أَعْطُوا يَدًا وَتَوَرَّعُوا (٣)
مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَفْظَعُوا
عَلَامٌ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ الْعَرَضَ نَزْرَعُ؟ (٤)
إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا نَنْظِلُ (٥)
يَنْزِلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ وَيَرْفَعُ
إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ (٦)
ذَرُوا عَنْكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
إِلَى مَلِكٍ يُحْيِي لَدَيْهِ وَيُرْجِعُ
عَلَى اللَّهِ إِنْ الْأَمْرُ لِلَّهِ أَجْمَعُ
ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضَ لَا نَتَخَشَعُ
إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوَرَّعُ (٧)
أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمَقْنَعُ
ثَلَاثُ مِئَتَيْنِ إِنْ كَثَرْنَا فَارْبَعُ (٨)

(١) أَقْشَعُوا : فَرَا .

(٢) يَزْجِي : يَسُوقُ .

(٣) تَوَرَّعُوا : تَفَرَّقُوا .

(٤) ابْتَنُوا : ضَرَبُوا أَبْنِيَتَهُمْ ، الْعَرَضُ : قَرْيَةُ الْمَدِينَةِ .

(٥) لَا نَنْظِلُ : لَا نَغِيلُ .

(٦) قَصَرْنَا : غَايَتْنَا .

(٧) الْمَلْمُومَةُ : الْكُتْبِيَّةُ الْمَجْتَمِعَةُ ، السُّنُورُ : السِّلَاحُ .

(٨) النَّصِيَّةُ : خِيَارُ الْقَوْمِ .

نُغَاوِرُهُمْ تَجْرَى الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
 تَهَادَى قَسَى النِّبْعِ فِينَا وَفِيهِمْ
 وَمَنْجُوفَةٌ حَرَمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ
 تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةٌ
 وَخَيْلٌ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
 فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرُّحَى
 ضَرْبِنَاهُمْ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَائِهِمْ
 لَدُنْ غَدْوَةٍ حَتَّى اسْتَفَقْنَا عَشِيَّةً
 وَرَاحُوا سِرَاعًا مُوجِعِينَ كَأَنَّهُمْ
 وَرُحْنَا وَآخِرَانَا بِطُلُوءِ كَانَا
 فَعَلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرَبْمَا
 وَدَارَتْ رَحَانًا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ
 وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سَبَّةً
 جَلَادٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لَا تَرَى
 بَنُو الْحَرْبِ لَا نَعْيًا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ
 بَنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظَفَرْنَا فِلْسُنَا بِفَحْشٍ
 نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَآيَا وَنُشْرَعُ
 وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَثْرَبِيُّ الْمَقْطَعُ
 يَذَرُ عَلَيْهَا السُّمَّ سَاعَةً تَصْنَعُ (١)
 تَمُرُّ بِأَعْرَاضِ الْبَصَارِ تَقَعَّقُ (٢)
 جَرَادٌ صَبَا فِي قَرَّةٍ يَتَرَبِّعُ (٣)
 وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّةٍ اللَّهُ مَدْفَعُ
 كَانَهُمْ بِالْقَاعِ خَشْبٌ مَصْرَعُ
 كَأَنَّ ذَكَانًا حَرًّا نَارٌ تَلْفَعُ (٤)
 جِهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مَقْلَعُ (٥)
 أَسْوَدٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْشَةٌ ظَلَعُ (٦)
 فَعَلْنَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ
 وَقَدْ جَعَلُوا كُلَّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ
 عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الدُّمَارَ وَيَمْنَعُ
 عَلَى هَالِكٍ هَيْئًا لَنَا الدَّهْرُ تَدْمَعُ
 وَلَا نَحْنُ مَا جَرَتْ الْحَرْبُ نَجْزَعُ
 وَلَا نَحْنُ مِنْ إِطْفَارِهَا نَتَّوَجَّعُ

- (١) المنجوفة : السهام ، الحرمية : نسبة إلى الحرم ، الصاعدية نسبة إلى صاعد وهو رجل مشهور بصنعها .
 (٢) البصار : حجارة ، تققع : تصوت .
 (٣) القرة : البرد ، التربع : المجيء والذهاب .
 (٤) ذكانا : التهابنا ، تلفع : يصيب حرها من قرب منها .
 (٥) الجهم : سحاب رقيق ليس فيه ماء .
 (٦) بيشة : مكان تنسب إليه الأسود . وهي منطقة بأطراف السعودية الآن - ظلع : أى امتلات بنا الأرض لكثرتنا .

وكنا شهابًا يَتَقَى الناس حرَّه
فَخَرَّتْ عَلَى ابن الزُّبَيْرِ وقد سَرَى
فَسَلَّ عَنْكَ فِي عَلِيَا مَعَدٌ وَغَيْرَهَا
وَمَنْ هُوَ لَمْ تَتْرَكْ لَهُ الْحَرْبَ مَفْخَرًا
شَدَدْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَالنَّصْرِ شِدَّةً
تَكَرَّرَ الْقَنَا فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا
عَمَدُنَا إِلَى أَهْلِ اللَّوَاءِ وَمَنْ يَطْرُ
فَخَانُوا وَقَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَخَاذَلُوا
* شعر ابن الزُّبَيْرِ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ في يوم أحد :
يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتُ فَقُلْ
إِنَّا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فَعَلْ
وَكَلَّا ذَلِكَ وَجْهَ وَقَبْلُ (٤)
وَسَوَاءٌ قَبْرٌ مِثْرٌ وَمُقِلْ
وَبَنَاتُ السُّدْهِرِ يَلْعَبْنَ بِكُلْ
فَقَرِيضُ الشَّعْرِ يَشْفِي ذَا الْغُلْ
وَأَكْفَ قَدْ أَثَرْتُ وَرَجُلُ (٥)
عَنْ كُفَاةٍ أَهْلِكُوا فِي الْمَنْتَزَلِ (٦)

(١) يسفع : يحرق .

(٢) الأضرع : الدليل .

(٣) الفروع : أى الطعنات الواسعة التى يسيل دمها ، العزالي : فم المزايدة ، يتهزع :

يسرع فى سيلانه .

(٤) القُبْل : ما يستقبل الإنسان من الأيام .

(٥) الجر : أصل الجبل ، أثرت : قطعت .

(٦) السراييل : الدروع ، سریت : جردت ، المنتزل : موضع النزال .

مَا جَدِ الْجَدَيْنِ مِقْدَامَ بَطْلٍ
غَيْرِ مِلثَاحٍ لَدَى وَقْعِ الْأَسْلِ (١)
بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلِ (٢)
جَزَعِ الْخَزْرِجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ (٣)
وَأَسْتَحِرَ الْقَتْلَ فِي عَبْدِ الْأَشْلِ (٤)
رَقَصِ الْحَفَاكِ يَعْلُو فِي الْجَبَلِ (٥)
وَعَدَلْنَا مِثْلَ بَدْرِ فَاعْتَدَلْ
لَوْ كَرَرْنَا لَفَعَلْنَا الْمَفْتَعْلَ
عِلًّا تَعْلُوهُمْ بَعْدَ نَهْلِ (٦)

كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ
صَادِقِ النَجْدَةِ قَرْمٍ بَارِعٍ
فَسَلِ الْمَهْرَاسَ مَا سَاكِنَهُ ؟
لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهْدُوا
حِينَ حَكَتْ بِقَبَاءِ بَرَكْهَا
ثُمَّ خَفُّوا عِنْدَ ذَاكُم رُقَصًا
فَقَتَلْنَا الضَّعِيفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ
لَا أَلُومُ النَّفْسَ إِلَّاءَ أَنَا
بِسُيُوفِ الْهِنْدِ تَعْلُو هَامَهُمْ
• رَدِّ حَسَانٍ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ :

فَأَجَابَهُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ :

كَانَ مِنَ الْفَضْلِ فِيهَا لَوْ عَدَلْ
وَكَذَلِكَ الْحَرْبُ أَحْيَاءًا دُولُ
حَيْثُ نَهْوَى عِلًّا بَعْدَ نَهْلِ
كَسَلَاحِ النَّيْبِ يَأْكُلُنِ الْعَصْلُ (٧)
هَرَبًا فِي الشُّعْبِ أَشْبَاهُ الرُّسْلِ (٨)

ذَهَبْتُ يَا بْنَ الزُّبَيْرِ وَقَعَةً
وَلَقَدْ نَلْتُمُ وَنَلْنَا مِنْكُمْ
نَضَعُ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ
نُخْرِجُ الْأَصْبِعَ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ
إِذَا تَوَلَّوْنَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

- (١) القرم : الفضل ، الملتاح : الضعيف ، وقع الأسل : وقع الرماح .
(٢) الأقحاف : جمع قحف وهو ما انفصل من الجمجمة ، الهام : الرؤوس ، الحجل : طائر أحمر المتقار والرجلين .
(٣) الأسل : الرماح .
(٤) البرك : الصدر ، عبد الأشل : يقصد بني عبد الأشهل حذف الهاء لإقامة الوزن .
(٥) الرقص : ضرب من المشى السريع ، الحفان : النعام الصغير .
(٦) العلل : الشرب الثاني ، النهل : الشرب الأول ، يريد معاودة الشرب .
(٧) النيب : النوق المسنة (إناث الجمال) ، والعصل : نبات تأكله الإبل فيخرج أحمر مع فضلاتها .
(٨) الرسل : الإبل المرسلة .

- إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ (١)
 بِخَنَاطِيلٍ كَأَشْدَافِ الْمَلَا مَنْ يُلَاقُوهُ مِنَ النَّاسِ يُهْلُ (٢)
 ضَاقَ عَنَّا الشُّعْبُ إِذْ نُجْزِعُهُ وَمَلَأْنَا الْفَرْطَ مِنْهُ وَالرُّجْلُ (٣)
 بِرِجَالٍ لَسْتُمْ أَمْثَالَهُمْ أَيْدُوا جِبْرِيلَ نَصْرًا فَتَنَزَّلَ (٤)
 وَعَلَوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالتَّقَى طَاعَةَ اللَّهِ وَتَصَدِيقَ الرِّسْلِ
 وَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثَ الْمُثَلِّ (٥)
 وَرَسُولَ اللَّهِ حَقًّا شَاهِدَ يَوْمَ بَدْرٍ وَالتَّنَابِيلَ الْهَبْلُ (٦)
 فِي قُرَيْشٍ مِنْ جَمُوعٍ جَمَعُوا مِثْلَ مَا يَجْمَعُ فِي الْخَصْبِ الْهَمْلُ (٧)
 نَحْنُ لَا أَمْثَالَكُمْ وَلَدَاسْتَهَا نَحْضُرُ النَّاسَ إِذَا الْبَاسُ نَزَلَ
 • كَعْبُ يَرْثِي حَمْزَةً :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب وقتلى
 أحد من المسلمين :

- نَشَجْتَ وَهَلْ لَكَ مِنْ مَنَسَجٍ وَكُنْتَ مَتَى تَذَكَّرَ تَلَجَجَ (٨)
 تَذَكَّرَ قَوْمَ أَتَانِي لَهُمْ أَحَادِيثَ فِي الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
 فَقَلْبُكَ مِمَّنْ ذَكَرَهُمْ خَافَقَ مِنَ الشُّوقِ وَالْحَزَنِ الْمُنْضِجِ
 وَقَتْلَاهُمْ مِنْ جِنَانِ النِّعِيمِ كَرَامِ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرِجِ

(١) فَأَجَانَاكُمْ : الجَانَاكُمْ .

(٢) الْخَنَاطِيلُ : الجماعات ، الْأَشْدَافُ : أخلط الناس ، الْمَلَأَ : ما اتسع من الأرض ،

يَهْلُ : يَفْزَعُ وَيَرْتَاعُ .

(٣) نُجْزِعُ : نَقْطَعُ عَرْضًا ، الْفَرْطُ : الأرض العالية ، الرَّجْلُ : ما اطمأن من الأرض .

(٤) أَيْدُوا جِبْرِيلَ : أى أَيْدُوا بِجِبْرِيلَ حَذَفَ حَرْفَ الْجَارِ وَعَدَّى الْفِعْلَ .

(٥) الْجَحْجَاحُ : السيد العظيم ، الرِفْلُ : الذى يجرثوبه خيلاء .

(٦) التَّنَابِيلُ : الفِصَارُ ، الْهَبْلُ : ضَخَامُ الْأَجْسَامِ .

(٧) الْهَمْلُ : الإِبِلُ الْمَهْمَلَةُ الْمَتْرُوكَةُ بِلَا رَاعٍ . (٨) تَلَجَجَ : تَمَادَى .

بما صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللِّوَاءِ
 غَدَاةً أَجَابَتْ بِأَسْيَافِهَا
 وَأَشْيَاعَ أَحْمَدَ إِذْ شَايَعُوا
 فَمَا بَرَحُوا يَضْرِبُونَ الْكُمَاةَ
 كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُمْ مَلِكٌ
 فَكُلُّهُمْ مَاتَ حَرًّا بِالْبَلَاءِ
 كَحِمْزَةٍ لَمَّا وَفَى صَادِقًا
 فَلَقَاهُ عَبْدُ بَنِي نُوْفَلٍ
 فَأَوْجَرُهُ حَرْبَةً كَالشُّهَابِ
 وَنُعْمَانُ أَوْفَى بِمِثَاقِهِ
 عَنِ الْحَقِّ حَتَّى غَدَّتْ رُوحُهُ
 أَوْلَيْتُكَ لَا مِنْ ثَوَى مِنْكُمْ
 • ضِرَارُ يَرُدُّ عَلَى كَعْبٍ :

فَأَجَابَهُ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْفَهْرِيُّ فَقَالَ :
 أَيْجُزَعُ كَعْبٌ لِأَشْيَاعِهِ
 عَجِيجٌ الْمَذْكِيُّ رَأَى إِلْفَهُ
 وَيَيْكِي مِنَ الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
 تَرُوحُ فِي صَادِرٍ مَحْنَجٍ (١٠)

- (١) الْأَصْوَحُ : اسم مكان .
 (٢) الْمُنْهَجُ : الواضح .
 (٣) الْقُسْطَلُ : الغبار ، المرمج : العالى فى الجو .
 (٤) الدَّوْحَةُ : الشجرة العظيمة المتسعة ، المولج : المدخل .
 (٥) بَدَى هَبَةً : أى بسيف ذى هبة ، والهبة : الوقوع فى العظم ، سلجج : مرهف .
 (٦) عَبْدُ بَنِي نُوْفَلٍ : هو وحشى ، يبربر : يصيح ، الأدعج : الأسود .
 (٧) أَوْجَرُهُ : طعنه فى صدره .
 (٨) لَمْ يُحْنَجْ : لم يمل عن وجهه .
 (٩) الزَّبْرَجُ : الزينة من الوشى أو الجواهر .
 (١٠) الْعَجِيجُ : الصباح ، يَرِيدُ بِالْمَذْكِيِّ هُنَا : المسن من الإبل ، الصَادِرُ : الراجع عن الماء ، مَحْنَجٌ : مصروف عن وجهه .

فَرَّاحُ الرَوَايَا وَغَادَرَنهُ
فَقُولَا لَكَعْبُ يَثْنَى الْبُكَاءِ
لِمَصْرَعِ إِخْوَانِهِ فِي مَكْرٍ
فَيَالَيْتَ فَهْرًا وَأَشْيَاءَ
فَيَشْفُوا النَفْسَ بِكَوْتَارِهَا
وَقَتْلَى مِنَ الْأَوْسِ فِي مَعْرَكٍ
وَمَقْتَلِ حَمْزَةٍ تَحْتَ اللَّوَاءِ
وَحَيْثُ انْثَنَى مُصْعَبُ ثَاوِيَا
بِأَحَدٍ وَأَسْـَٔلُفَانَا فِيهِمْ
غَدَاةَ لَقِينَاكُمْ فِي الْحَدِيدِ
بِكُلِّ مُجْلَحَةٍ كَالْعَقَبَابِ
فَدَسْنَاهُمْ ثُمَّ حَتَّى انْثَنُوا
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي يَوْمِ أَحُدَ ، يَبْكِي الْقَتْلَى :

يَعْجِجُ قَسْرًا وَلَمْ يَحْدَجْ (١)
وَكَلْنَى مَنْ لَحْمِهِ يَنْضَجُ
مِنَ الْخَيْلِ ذِي قَسْطَلٍ مَرْهَجٍ (٢)
وَعُتْبَةُ فِي جَمْعِنَا السُّورِجِ (٣)
بَقَتْلَى أُصِيبَتْ مِنْ الْخَزْرَجِ
أُصِيبُوا جَمِيعًا بِذِي الْأَضْرَجِ
بُمَطْرَدٍ ، مَارِنٍ ، مَخْلَجٍ (٤)
بَضْرَبَةِ ذِي هَبْلَةٍ سَلْجَجٍ
تَلْهَبُ كَاللَّهَبِ الْمَوْهَجِ
كَأَسَدِ الْبَرَّاحِ فَلَمْ تَعْنَجِ (٥)
وَأَجْرَدُ ذِي مِيعَةٍ مُسْرَجِ (٦)
سِوَى زَاهِقِ النَّفْسِ أَوْ مَحْرَجِ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي يَوْمِ أَحُدَ ، يَبْكِي الْقَتْلَى :

أَلَا ذَرَفْتُ مِنْ مَقْلَتِكَ دُمُوعَ
وَشَطَّ بَيْنَ تَهْوِي الْمَزَارِ وَفَرَقْتُ
وَكَيْسَ لِمَا وَلَّى عَلَى ذِي حَرَارَةٍ
فَذَرَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَى أَمَ مَالِكٍ
وَمَجْنَبِنَا جَرْدًا إِلَى أَهْلِ يَثْرِبِ

- (١) لم يحْدَج : لم يجعل عليه الحدج وهو مركب النساء .
(٢) القسطل : الغبار ، المرهج : المرتفع .
(٣) السورج : المتقد .
(٤) المطرد : الذي يهتز ، والمراد به هنا الرمح ، المارن : اللين .
(٥) تعنج : تكف .
(٦) المجلحة : المتقدمة ، ويريد بها فرسا ، والأجرد : الفرس العتيق ، والميعة : النشاط .
(٧) مجنبنا : سوقنا للخيل . العناجيج : الحسان . المتلد : ما ولد عندك . والنزيع :
- الغريب .

عَشِيَّة سَرْنَا فـسـى لُهام يَقودُنَا
تَشَدُّ عَلَيْنَا كُلَّ زَعْفٍ كَانَهَا
فَلَمَّا رَاوْنَا خَالَطَتْهُمْ مَهَابَةٌ
وودوا لو ان الأرض ينشق ظهرها
وَقَدْ عُرِيت بِيضُ كَأَن وَمِضْهَها
بِإِيمَانِنَا نَعْلُو بِهَا كُلَّ هَامَةٍ
فَغَادَرْنَ قَتْلَى الْأَوْسِ عَاصِيَةً بِهِمْ
وَجَمَعَ بَنَى النِّجَارِ فِي كُلِّ تِلْعَةٍ
وَكُلُّوْا عُلُو الشَّعْبِ غَادَرْنَ أَحْمَدًا
كَمَا غَادَرَتْ فِي الْكَرِّ حَمْزَةً ثَاوِيًا
وَنُعمَانٌ قَدْ غَادَرْنَ تَحْتَ لَوَائِهِ
بِأُحْدٍ وَأَرْمَاحِ الْكِمَاةِ يُردُّنَهُمْ
● رد حَسَّانَ عَلَى ابْنِ الزَّبْعَرَى :

فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

أَشَاقَكَ مَنَ أُمُّ الْوَكِيدِ رَبُّوعٍ
عَقَاهُنَّ صَيْفِي الرِّيحِ وَوَاقِفِ
بَلَّاقِعِ (٩) مَا مِنْ أَهْلَةٍ جَمِيعِ
مِنْ الدُّلُو رَجَافِ السَّحَابِ هَمُوعِ (١٠)

(١) الزعف : الدروع اللينة . والضوج : جانب الوادى ، والنقيع : المملوء بالماء .

(٢) الأباء : الأجمة المشتبكة الأغصان .

(٣) ذريع : من يقتل سريعاً .

(٤) نجيع : دم .

(٥) الشعب : الطريق فى الجبل ، السمهري : الرماح ، شروع : مهياة للطعن .

(٦) الشبابة : الحد ، وقيع : محدد .

(٧) يجفن : يطالبن ما فى جوفه .

(٨) غال : أهلك الأشطان : الحبال ، النزوع : جذب الدلو من البئر .

(٩) بلاقع : جمع بلقع وهو القفر الخالى .

(١٠) الواكف : المطر المنهمر . والدلو : برج فى السماء معروف ، رجاف : مصوت =

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَوْقِدُ النَّارِ حَوْلَهُ
 فَدَعَا ذَكَرَ دَارَ بَدَدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا
 وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمَ بِأَحَدٍ يَعُدُّهُ
 فَقَدْ صَابَرَتْ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلُّهُمْ
 وَحَامَى بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَصَابَرُوا
 أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَخْذِلُونَهُ
 وَفَوَّ إِذْ كَفَرْتُمْ يَا سُخَيْنَ بَرَبِكُمْ
 بِأَيْدِيهِمْ بِيضٌ إِذَا حَمَشَ الْوَعَى
 كَمَا غَادَرَتْ فِي النَّقْعِ عُتْبَةُ ثَاوِيَا
 وَقَدْ غَادَرَتْ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ مُسْنَدَا
 بِكَفِّ رَسُولِ اللَّهِ حَيْثُ تَنْصَبَتْ
 أَوْلَئِكَ قَوْمٌ سَادَةٌ مِنْ فُرُوعِكُمْ
 بِهِنَّ نَعَزُ اللَّهُ حَتَّى يَعِزَّنَا
 فَلَا تَذْكُرُوا قَتْلَى وَحِمَزَةٍ فِيهِمْ
 فَإِنْ جَنَانُ الْخُلْدِ مَنْزِلَةٌ لَهُ
 وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ
 شَعْرَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ أَحَدٍ (٦) :

وَوَاكِدَ أَمْثَالِ الْحَمَامِ كُنُوعٌ (١)
 نَوَى لِمَتِينَاتِ الْحَبَالِ قَطُوعٌ
 سَفِيهِه فَإِنَّ الْحَقَّ سَوْفَ يَشِيعُ
 وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعُ
 وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي اللَّقَاءِ جَزُوعُ
 لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعُ
 وَلَا يَسْتَوِي عَبْدٌ وَفَى وَمُضِيعُ (٢)
 فَلَا بَدَّ أَنْ يَرْدَى لَهُنَّ صَرِيعُ
 وَسَعْدَا صَرِيعَا وَالْوَشِيجُ شُرُوعُ (٣)
 أَبْيَا وَقَدْ بَلَ الْقَمِيصِ نَجِيعُ (٤)
 عَلَى الْقَوْمِ عَمَّا قَدْ يَثْرَنُ نَقُوعُ
 وَفَى كُلِّ قَوْمٍ سَادَةٌ وَفُرُوعُ
 وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ يَأْسُخِينُ فَطَيعُ
 قَتِيلٌ ثَوَى لِلَّهِ وَهُوَ مُطِيعُ
 وَأَمْرٌ الَّذِي يَقْضَى الْأُمُورَ سَرِيعُ
 حَمِيمٌ مَعَا فِي جَوْفِهَا وَضَرِيعُ (٥)

وقال ابن إسحاق : وقال عمرو بن العاص في يوم أحد :

= وهموع : سائل .

(١) كنوع : لاصقة بالأرض .

(٢) يأسخين : أى يأسخينه وهو لقب قريش لأكلها إياها وهى طعام يصنع من

الدقيق .

(٣) الوشيح : الرماح .

(٤) العجاجة : الغبرة : النجيع : الدم .

(٥) الضريع : ما يطرحه البحر من النبات .

(٦) وكان وقتها مشرك ولم يسلم بعد .

خَرَجْنَا مِنَ الْفَيْفَا عَلَيْهِمْ كَأَنَّا
تَمَنَّتْ بَنُو النَّجَارِ جَهْلًا لِقَاءَنَا
فَمَا رَأَعَهُمْ بِالْشَّرِّ إِلَّا فُجَاءَةً
أَرَادُوا لَكَيْمًا يَسْتَبِيحُوا قَبَابِنَا
وَكَانَتْ قَبَابَا أَوْمَنْتَ قَبْلَ مَا تَرَى
كَأَنَّ رُءُوسَ الْخَزَرَجِيِّينَ غُدُودَةٌ

مَعَ الصَّبْحِ مِنْ رَضْوَى الْحَبِيكَ الْمُنْطَقِ (١)
لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ وَالْأَمَانِي تَصْدُقُ (٢)
كَرَادِيسٍ خَسِيلٍ فِي الْأَرَقَةِ تَمْرُقُ
وَذُونَ الْقَبَابِ الْيَوْمَ ضَرْبٌ مُحْرَقُ
إِذْ رَامَهَا قَوْمٌ أَيْحُوا وَأَحْنَقُوا
وَإِيمَانُهُمْ بِالْمَشْرِفَةِ بَرُوقُ (٣)

● شعر ضرار :

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطاب :

إِنِّي وَجَدْتُكَ لَوْلَا مَقْدَمِي فَرَسِي
مَا رَالَ مِنْكُمْ يَجْنِبُ الْجَزْعُ مِنْ أَحَدٍ
وَفَارِسٌ قَدْ أَصَابَ بِالسَّيْفِ مَفْرَقَهُ
إِنِّي وَجَدْتُكَ لَا أَنْفُكَ مُنْتَطَقًا
عَلَى رَحَالَةٍ مَلُوحٍ مُثَابِرَةٍ
وَمَا انْتَمَيْتُ إِلَى خَوَرٍ وَلَا كَشَفٍ
بَلْ ضَارِبِينَ حَبِيكَ الْبَيْضِ إِذْ لَحَقُوا

إِذَا جَالَتْ الْخَيْلُ بَيْنَ الْجَزْعِ وَالْقَاعِ (٤)
أَصْوَاتُ هَامٍ تُزَاقِي بِأَمْرِهَا شَاعِي (٥)
أَنْفَاقَ هَامَتِهِ كَفَرُودَةِ الرَّاعِي
بِصَّارِمٍ مِثْلَ لَوْنِ الْمِلْحِ قَطَّاعِ (٦)
نَحْوِ الصَّرِيخِ إِذَا مَا ثَوَّبَ الدَّاعِي (٧)
وَلَا لثَامَ غَدَاةِ الْبَاسِ أَوْرَاعِ (٨)
شَمُّ الْعَرَانِينَ عِنْدَ الْمَوْتِ لِدَّاعِ (٩)

- (١) رضوى : اسم جبل . الحبيك : ما فيه طرائق . المنطق : المحزم .
(٢) سلع : اسم جبل خارج المدينة .
(٣) بروق : نوع من النبات له رؤوس تشبه البصل .
(٤) الجزع : ما انعطف من الوادي . القاع : ما انخفض من الأرض .
(٥) الهام : جمع هامة وهي ما يزعم العرب أن طائرا يخرج من رأس القتل يصيح :
اسقوني ، اسقوني حتى يؤخذ بشاره . تزاقى : تصيح . شاعى : أراد شائع .
(٦) المنتطق : المحترم .
(٧) الرحالة : السرج . الملواح : الفرس القوية . ثوب : كرر الدعاء .
(٨) كشف : من لا أدرع لهم في الحرب . الأوراع : الجبناء .
(٩) الحبيك : الطرائق .

يَسْعُونَ لِلْمَوْتِ سَعْيًا غَيْرَ دَعْدَاعٍ (١)

وَالْحَزْرَجِيَّةُ فِيهَا الْبَيْضُ تَأْتَلِقُ
وَرَايَةَ كَجَنَاحِ النَّسْرِ تَخْتَفِقُ
تُنْبِي لَمَّا خَلَفَهَا مَا هَزَهَزَ الْوَرَقُ (٢)

رِيحُ الْقِتَالِ وَأَسْلَابُ الَّذِينَ لَقُوا
مَنْهَا وَأَيَقَنْتُ أَنْ الْمَجْدُ مُسْتَبَقُ
وَبَلَهُ مِنْ نَجِيعِ عَانِكَ عَلَقُ (٣)

نَفَخُ الْعُرُوقِ رِشَاشِ الطَّعْنِ وَالْوَرَقِ (٤)
حَتَّى يُفَارِقَ مَا فِى جَوْفِهِ الْحَدَقُ
مِثْلَ الْمَغِيرَةِ فَيْكُمُ مَا بِهِ رَهَقُ (٥)
تَعَاوَرُوا الضَّرْبَ حَتَّى يُدْبِرَ الشَّفَقُ

شُمُ بَهَالِيلُ مُسْتَرَخَ حَمَالِهِمْ
وَقَالَ ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ أَيْضًا :
لَمَّا أَتَتْ مَنْ بَنَى كَعْبٌ مُزِينَةٌ
وَجَرَّدُوا مَشْرِفِيَّاتٍ مُهَنْدَةٌ
فَقُلْتُ يَوْمَ بَأْيَامٍ وَمَعْرَكَةٍ
قَدْ عَوَدُوا كُلُّ يَوْمٍ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ
خَبَرَتْ نَفْسِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَجَلٍ
أَكْرَهْتُ مَهْرِي حَتَّى خَاضَ غَمْرَتُهُمْ
فَقَلَّ مَهْرِي وَسِرْبَالِي جَسِيدَهُمَا
أَيَقَنْتُ أَنِّي مُقِيمٌ فِي دِيَارِهِمْ
لَا تَجْزَعُوا يَا بَنَى مَخْزُومٍ إِنْ لَكُمْ
صَبْرًا فَدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدْتُ
• كَعْبٌ يَرُدُّ عَلَى عَمْرٍو وَضَرَارُ :

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك فقال :

أَبْلَغُ قُرَيْشًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سُرَاتَكُمْ
وَيَوْمَ بَذَرُ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ
إِنْ تَقْتُلُونَا فِدَيْنِ الْحَقِّ فِطْرَتُنَا
وَلِنْ تَرَوْا أَمْرَنَا فِي رَأْيِكُمْ سَفَهًا
وَالصَّدَقُ عِنْدَ ذَوَى الْأَلْبَابِ مَقْبُولُ
أَهْلُ اللَّوَاءِ فَفِيمَا يَكْثُرُ الْقِيلُ
فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكَالُ وَجَبْرِيلُ
وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَفْضِيلُ
فَرَأَى مِنْ خَالَفِ الْإِسْلَامَ تَضْلِيلُ

(١) البهاليل : السادة . الدعداع : الضعيف .

(٢) هزهز : حرك .

(٣) غمرتهم : جماعتهم ، النجيع : الدم ، عانك : أحمر ، علق : من أسماء الدم .

(٤) جسيدهما : صبغهما ، نفخ العروق : ما ترمى به من الدم ، الورق ، ما انقطع

من الدم .

(٥) الزهق : العيب .

فَلَا تَمْنُوا لِقَاحَ الْحَرْبِ وَاقْتَعِدُوا
 إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تُرَاحُ لَهُ
 إِنَّا بَنُو الْحَرْبِ نُمْرِيهَا وَنُنْتَجُهَا
 إِنْ يَنْجُ مِنْهَا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَمَا بَلَغَتْ
 فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ حِلْمًا وَمَوْعِظَةً
 وَكَوْهُبَ طَمٍ بِبَطْنِ السَّيْلِ كَافَحَكُمْ
 تَلْقَاكُمْ عُصْبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَهُمْ
 مِنْ جَذَمٍ غَسَّانٍ مُسْتَرْخٍ حَمَانِلَهُمْ
 يَمْشُونَ تَحْتَ عِمَائَاتِ الْقِتَالِ كَمَا
 أَوْ مِثْلُ مَشَى أَسُودِ الظِّلِّ الثَّقَا
 فِي كُلِّ سَابِغَةٍ كَالنَّهْيِ مُحْكَمَةٍ
 تَرْدُ حَدِّ قِرَانِ النَّبْلِ خَاسِئَةً
 وَلَوْ قَذَفْتُمْ بَسْلَجَ عَنْ ظُهُورِكُمْ
 مَا زَالَ فِي الْقَوْمِ وَتَرٍ مِنْكُمْ أَبَدًا
 عَبْدٌ وَحَرٌّ كَرِيمٌ مَوْثِقٌ قَنْصًا

إِنَّ أَخَا الْحَرْبِ أَصْدَى اللَّوْنِ مَشْغُولٌ
 عُرْجُ الضَّبَاعِ لَهُ خَذَمٌ رَعَائِيلُ (١)
 وَعِنْدَنَا لَذَوَى الْأَضْغَانِ تَنْكِيلُ (٢)
 مِنْهُ التَّرَاقِي وَأَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولُ (٣)
 لِمَنْ يَكُونُ لَهُ لُبٌّ وَمَعْقُولُ
 ضَرْبٌ بِشَاكِلَةِ الْبَطْحَاءِ تَرَعِيلُ (٤)
 مِمَّا يَعْدُونَ لِلْهَيْجَا سَرَابِيلُ
 لَا جِبْنَاءَ وَلَا مِيلَ مَعَاذِيلُ (٥)
 تَمْشِي الْمَصَاعِبَةُ الْأَذْمُ الْمَرَاثِيلُ (٦)
 يَوْمَ رِذَاذِ مَنْ الْجُوزَاءِ مَشْمُولُ
 قِيَامُهَا فَلَجٌ كَالسَّيْفِ بَهْلُولُ (٧)
 وَيَرْجِعُ السَّيْفُ عَنْهَا وَهُوَ مَقْلُولُ
 وَلِلْحَيَاةِ وَدَفْعِ الْمَوْتِ تَأْجِيلُ (٨)
 تَعْفُو السَّلَامُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَطْلُولُ (٩)
 شَطَرُ الْمَدِينَةِ مَاسُورٌ وَمَقْتُولُ (١٠)

- (١) ترّاح : تهتز . خزم : قطع اللحم . الرعايل : المنقطعة .
 (٢) نمريها : نستدرها .
 (٣) التراقي : عظام الصدر .
 (٤) شاكلة : طرف . الترعىل : الضرب السريع .
 (٥) الجذم : الأصل . الميل : الذين لا تروس لهم . والمعازيل : الذين لا رماح لهم .

- (٦) العمايات : الظلمات ، المصاعبة : فحول الإبل .
 (٧) سابغة : درع كاملة : النهى : غدير الماء . البهلول : الأبيض .
 (٨) سلج : اسم جبل .
 (٩) السلام : الحجارة ، مطلول : غير مأخوذ بثأره .
 (١٠) القنص : الصيد .

كُنَّا نُؤْمِلُ أَخْرَاكُم فَأَعْجَلَكُم مِنَّا فَوَارِسُ لَا عَزْلَ وَلَا مِيلُ
 إِذَا جَنَى فِيهِمُ الْجَانِي فَقَدْ عَلِمُوا حَقًّا بِأَنَّ الَّذِي قَدْ جَرَّ مَحْمُولُ
 مَا نَحْنُ لَا نَحْنُ مِنْ إِيْثِمُ مُجَاهِرَةٌ وَلَا مَلُومٌ وَلَا فِي الْغُرْمِ مَخْذُولُ
 * حسان يرثي حمزة :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يكي حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب
 من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد :

يَا مَيِّ قُومِي فَأَنْدَبِنِ بِسْ—حيرة شَجْوِ النَّوَائِحِ
 كَالْحَامِ—لَاتِ الْوَقْرِ بِالِ— ثَقَلِ الْمَلْحَاتِ الدَّوَالِحِ (١)
 الْمَعِ—وَلَاتِ الْخَامِشَا— تِ وَجْوهَ جَرَاتِ صَحَائِحِ (٢)
 وَكَأَنَّ سَ—يْلَ دُمُوعِهَا الِ— أَنْصَابُ تَخْضِيبِ بِالذَّبَائِحِ
 يَنْقُضُنَ أَشْ—عَارًا لَهَنِ— هُنَاكَ بَادِيَةِ الْمَسَائِحِ (٣)
 وَكَأَنَّهُمَا أَذْنَابُ خِ— لٍ بِالضَّحَى شُمْسِ رَوَامِحِ (٤)
 مِنْ بَيْنِ مَشْ—زُورٍ وَمَجْ— زُورٍ يَذْعَدَعُ بِالْبُـوَارِحِ (٥)
 يَبْكُ—يْنَ شَجْوًا مُسْلِبًا تِ كَدَحْتَهُنَّ الْكَوَادِحِ
 وَلَقَدْ أَصَابَ قُلُوبَهَا مَجَلٌّ لَهُ جَلْبُ قَوَارِحِ (٦)
 إِذْ أَقْصَدَ الْحَدَثَانِ مِنْ كُنَّا نُرْجِي إِذْ نُشَائِحِ (٧)
 أَصْحَابِ أَحَدٍ غَالِهِمْ دَهْرًا أَلَمَ لَهُ جَوَارِحِ
 مَنْ كَانَ فَارَسُنَا وَحَا مِينَا إِذَا بَعَثَ الْمَسَالِحِ (٨)

(١) الملحات : الثابتات . الدوالح : التي تحمل ثقلاً .

(٢) الخامشات : الخادشات .

(٣) المسائح : ذوائب الشعر .

(٤) الشمس : النافرة .

(٥) يذعدع : يغرق . البوارح : الرياح الشديدة .

(٦) المجل : الجرح . جلب : قشور الجروح ، القوارح : المؤلة .

(٧) أقصد : أصاب . نشائح : نحذر .

(٨) المسالحي : من يحملون السلاح .

- يَا حَمَزُ ، لَا وَاللَّهِ لَا
لَمِنَاخِ أَيْتَامٍ وَأَضْيَا
وَلَمَّا يَنْوِبُ الدَّفْعُ فِي
يَا فَارِسًا يَا مَدْرَهَا
عَنَّا شَدِيدَاتِ الْخَطِّ
ذَكَرْتَنِي أَسَدَ الرَّسْمِ
عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذَا
يَعْلُو الْقَمَامُ جَهْرًا سَبَطَ
لَا طَائِشٍ رَعَشٍ وَلَا
بَحْرٍ قَلَيْسٍ يَغْسِبُ جَا
أَوْدَى شَبَابٍ أَوْلَى الْخَفِّ
الْمَطْعَمُونَ إِذَا الْمَشَا
لَحْمِ الْجِلَادِ وَقَوْفُهُ
لِيَدَافِعُوا عَنْ جَارِهِمْ
لَهْفَى لَشَبَابٍ رَزَتْهَا
- أَنْسَاكَ مَاصِرَ اللَّقَائِحِ (١)
فِ وَأَرْمَلَةٍ تَلَامُحِ (٢)
حَرْبٍ لِحَرْبٍ وَهِيَ لَافِحِ (٣)
يَا حَمَزُ قَدْ كُنْتَ الْمَصَامِيحِ (٤)
بِ إِذَا يَنْوِبُ لَهْنٍ فَادِحِ
لِ ، وَذَاكَ مَدْرَهْنَا الْمَنَافِحِ
عَدِ الشَّرِيفُونَ الْجَحَاجِحِ (٥)
الْيَدِيِّنَ أَغْرَ وَأَضِحِ (٦)
ذُو عَلَّةٍ بِالْحَمَلِ أَنْحِ (٧)
رَأَى مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مُنَادِحِ (٨)
سَائِظِ الثَّقِيلُونَ الْمَرَاجِحِ (٩)
تِي مَا يَصِفَفْنَهُنَّ تَاضِحِ (١٠)
مِنْ شَحْمِهِ شُطْبٌ شَرَائِحِ (١١)
مَا رَامَ ذُو الضِّغْنِ الْمَكَاشِحِ
هَمْ كَأَنَّهُمْ الْمَصَابِحِ

- (١) صر : ربط . اللقائح : النوق التي لها لبن . وقوله يا حمز : أى يا حمزة ،
حذفت التاء لضرورة الوزن والتفعيلة .
(٢) المناخ : مكان النزول : تلامح : ننظر سريعا .
(٣) لاقح : رائد شرها .
(٤) المldre : المدافع . المصامح : شديد الدفع .
(٥) الجحاجح : السادة . (٦) القمام : السادة .
(٧) آنح : ثقيل فى مشيه .
(٨) السيب : العطاء . المنادح : جمع مندحة ، وهى السعة .
(٩) المراجع : ذوو الحلم .
(١٠) يصففنهن : يحلهن . الناضح : من شرب دون أن يرتوى .
(١١) الشطب : طرائق السيف .

— ابن إسحاق — ٣١ —

شَمْ ، بطارقة ، غَطَا رفة ، خَضارمة ، مَسَامَح (١)
المشترُونَ الحَمْدَ بالْأُ موالٍ إِنَّ الحَمْدَ رَابِحٌ
قال ابن إسحاق : وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة ، أخو بني
جشم بن الخزرج يوم أحد :

أنا أبو زُعَنَة يعدو بى الهَزَمَ لَمْ تَمْنَعِ المخزاةَ إلا بالآلَمِ
يَحْمَى الذمار خَزَرَجِي من جَشَمِ

• شعر على :

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب - قال ابن هشام : قالها رجل من
المسلمين يوم أحد غير على ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحد
منهم يعرفها لعل :

لَا هَمَ إِنْ الحَارِثُ بن الصُّمَّةِ كَانَ وَفِيًّا وَبَنًا ذَا ذَمِّهِ
أَقْبَلَ فِى مَهَامَةٍ مُهَمَّةٍ كَلِيلَةَ ظَلَمَاءٍ مُدْلَهَمَةٍ (٢)
بَيْنَ سَـيُوفٍ وَرِمَاحٍ جَمَّةٍ يَبْغَى رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا ثَمِّهِ
قال ابن هشام : قوله : « كَلِيلَةَ » عن غير ابن إسحاق .

• رجز عكرمة :

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبى جهل فى يوم أحد :
كلهم يزجره أرحب هلا ولن يروه اليوم إلا مقبلا
يحمل رمحاً ورئيساً جَحْفَلا

• صفية تبكى حمزة :

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن
عبد المطلب :

(١) الشم : الأجزاء . والبطارقة فى الأصل الرؤساء الدينيون عند المسيحيين ، ويقصد
بها هنا الرؤساء مطلقا ، والغطارقة : السادة . والخضارمة : من يكثرون العطاء .
(٢) المهامة : القفار .

أَسْأَلُهُ أَصْحَابُ أَحَدٍ مَخَافَةَ
فَقَالَ الْخَبِيرُ إِنْ حَمَزَةٌ قَدْ ثَوَى
دَعَاهُ إِلَهُ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةً
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نُرْجِي وَنَرْتَجِي
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
عَلَى أَسَدِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مِدْرَهَا
فَيَالَيْتَ شَلَوِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَعْظَمِي
أَقُولُ وَقَدْ أَعْلَى النَّعَى عَشِيرَتِي
* نعم ترثي حمزة :

قال ابن إسحاق : وقالت نعم . امرأة شماس بن عثمان ، تبكى شماساً وقد
أصيب يوم أحد :

يَا عَيْنُ جُودِي بِفَيْضٍ غَيْرِ إِبْسَاسٍ عَلَى كَرِيمٍ مِنَ الْفَتَيَانِ إِبَّاسٍ (٣)
صَعَبَ الْبَدِيهَةِ مَيِّمُونَ نَقِيْبَتُهُ حَمَالُ الْوَيْسَةِ رَكَابُ أَفْرَاسٍ
أَقُولُ لَمَّا أَتَى النَّاعِي لَهُ جَزَعًا أَوْدَى الْجَوَادِ وَأَوْدَى الْمَطْعَمِ الْكَاسِي
وَقُلْتُ لَمَّا خَلْتُ مِنْهُ مَجَالِسُهُ لَا يَبْعُدُ اللَّهُ عَنَّا قَرَبَ شَمَاسٍ
فَأَجَابَهَا أَخُوها ، وَهُوَ أَبُو الْحَكَمِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ يَرْبُوعَ ، يَعْزِيْهَا ، فَقَالَ :
أَقْنِي حَيَاءَكَ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ فَإِنَّمَا كَانَ شَمَاسٌ مِنَ النَّاسِ
لَا تَقْتُلِي النَّفْسَ إِذَا حَانَتْ مَنِيَّتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَوْمَ الرُّوْعِ وَالْبَاسِ (٤)
قَدْ كَانَ حَمَزَةٌ لَيْثُ اللَّهِ فَاصْطَبِرِي فَذَاقَ يَوْمئِذٍ مِنْ كَأْسِ شَمَاسٍ

(١) المدرة : من يدافع عن القوم .

(٢) الشلو : بقية الفريسة .

(٣) الإبساس في الأصل : مسح درع الناقة والقول لها : بس بس لتدر ، فالإبساس فيه

تكلف ، وغير الإبساس : أى بغير تكلف ، والإباس : الشديد .

(٤) الباس : أى البأس وهذا يسمى التسهيل « حذف الهمزة » .

● شعر هند بعد عودتها من أحد^(١) :

وقالت هند بنت عتبة ، حين أنصرف المشركون عن أحد :

رَجَعْتُ وَفِي نَفْسِي بَلَابِلُ جَمَّةٌ وَقَدْ فَاتَنِي بَعْضُ الَّذِي كَانَ مَطْلَبِي^(٢)
 مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْهُمْ وَمِنْ أَهْلِ يَثْرِبِ
 وَلَكِنِّي قَدْ نَلْتُ شَيْئًا وَلَمْ يَكُن كَمَا كُنْتُ أَرْجُو فِي مَسِيرِي وَمَرْكَبِي^(٣)

* * *

(١) هند بنت عتبة : وكانت وقتها مشركة لأنها أسلمت يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة وتابت على ما فعلته وما فعلته بجثة حمزة يوم أحد .
 (٢) البلابل : الأحزان .

(٣) تقصد بقولها : قد نلت شيئاً أى ما فعلته بحمزة بن عبد المطلب أنها بعدما قتله وحشى غلام مطعم بن جبير أخذته ومثلت بجثته وأخرجت كبده - رضي الله عنه - ، ومضغته لكنها لم تستطع بلعه فلفظته ؛ وذلك لحقدها على المسلمين وعلى حمزة الذى قتل أخاها يوم بدر ففعلت ما فعلت ثأراً ، ولكن عند فتح مكة أسلمت وتابت وحسن إسلامها ، وهى زوجة أبى سفيان .

(٣ - ابن اسحاق ج ٢)

jabir.abbas@yahoo.com

ذِكْرُ يَوْمِ الرَّجِيعِ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ

• مَقْتَلُ خُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ (١) :

عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال :
حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال :

قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة (٢) .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً (٣) ، فابعث معنا
نفرًا من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع
الإسلام .

فبعث رسول الله ﷺ نفرًا ستة (٤) من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبي مرثد
الغنوي ، حليف حمزة بن عبد المطلب وخالد بن البكير الليثي ، حليف بني عدى
ابن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن
الأوس ، وخبيب بن عدي ، أخو بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد
ابن الدثنة بن معاوية أخو بني بياضة بن عمر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن
غصب بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الخزرج بن
عمرو بن مالك بن الأوس .

* خديعة عضل والقارة :

وأمر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي فخرج مع القوم .
حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لهذيل بناحية الحجاز ، على صدر الهدأة (٥) غدروا
بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلم يرع القوم ، وهم في رحالهم ، إلا الرجال

(١) هو خبيب بن عدي أحد قراء المسلمين .

(٢) عضل والقارة : بجوار مكة من بني خزيمة .

(٣) أى : إننا دخلنا في الإسلام .

(٤) ذكر البخاري أنهم كانوا عشرة : ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار .

(٥) الهدأة : موضع بين عسفان ومكة .

بأيديهم السيوف ، قد غشوه^{*} ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلکم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم .

• استشهاد مرثد وابن البكير وعاصم :

فأما مرثد بن أبى مرثد . وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : الله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، فقال عاصم بن ثابت :

مَا عَلَّتِي وَأَنَا جَلْدُ نَابِلٍ وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرَّ عَنَابِلٍ^(١)
تَزَلُ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ^(٢)
وَكُلُّ مَا حَمَّ إِلَهُ نَازِلٍ بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إِلَيْهِ آتِلٌ^(٣)
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأُمِى هَابِلٌ

وقال عاصم بن ثابت أيضاً :

أَبُو سُلَيْمَانَ وَمِثْلِي رَامِي وَكَانَ قَوْمِي مَعَشَرًا كِرَامًا

وكان عاصم بن ثابت يكنى : أبا سليمان ، ثم قاتل القوم حتى قتل ، وقتل صاحبه^(٤) .

* الزنابير تحمى جثة عاصم^(٥) :

فلما قُتل عاصم أرادت هذيل أخنم رأسه ، لبيعه من سُلَافَة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب^(٦) ابنها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفة الخمر^(٧) ، فمنعه الدبر^(٨) ، فلما حالت بينه وبينهم قالوا : دعوه يمسي^(٩) فتذهب عنه ، فأنخذه فبعث الله الوادى ، فاحتمل عاصما ، فذهب به .

(١) النابل : صاحب النبل ، العنابل : الشديد .

(٢) المعابل : الانصال العريضة . (٣) آتل : صائر .

(٤) أى مرثد بن أبى مرثد ، وخالد بن البكير رضى الله عنهما :

(٥) الزنابير : وهى جند من جنود الله حفظه الله بها عنهم ، وحماهم منهم .

(٦) أى أصاب عاصم ابنها .

(٧) أى تجعل رأسه أو جمجمته كأساً تشرب فيها الخمر .

(٨) الدبر : أى الزنابير . (٩) يمسي : أى للمساء .

وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه شرك، ولا يمس مشركاً أبداً ، تنجسا ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : حين بلغه أن الدبر منعتة : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشركا ، ولا يمس مشركا أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته ^(١) .

* استشهاد عبد الله بن طارق :

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة لبيعهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران ^(٢) انتزع عبد الله بن طارق رضي الله عنه يده من القرآن ^(٣) ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره رحمه الله بالظهران .

قال ابن إسحاق : قال عاصم ، ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنني إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيب بن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين ^(٤) قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ^(٥) ، ولا تغادر منهم أحداً ، ثم قتلوه رحمه الله .

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دعى عليه ، فاضطجع لجنبه زالت عنه .

- (١) وصدق الله إذ يقول : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم تقوم الأشهاد ﴾ فحماء الله واستجاب الله دعاءه .
- (٢) الظهران : واد قريب من مكة .
- (٣) القرآن : الحبل الذي يربط به الأسير .
- (٤) وقد صار فعل خبيب سنة أو فعلاً حسناً يقتدى به والصلاة خير ما يختم بها العبد ، حياته ، والرسول صلوات الله عليه يقول : من سنَّ سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها .
- (٥) بدداً : أى متفرقين .

ابن إسحاق —

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خبيبا ، لأنى كنت أصغر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة أخا بنى عبد الدار ، اخذ الحربة فجعلها فى يدي ثم أخذ بيدي وبالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية ، وهو بين ظهري القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر فى قدمه قدمها عليه ، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذى يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بى من بأس ، ولكنى كنتُ فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل ^(١) ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غشى على ^(٢) ، فزادته عند عمر خيرا .

* ما نزل من القرآن فى سرية الرجيع :

قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية ، كما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السرية التى كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع ، قال رجل من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا لاهم قعدوا فى أهليهم ، ولا أدوا رسالة صاحبهم ؟ فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين وما أصاب أولئك النفر من الخير الذى أصابهم ، فقال سبحانه ^(٣) : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ﴾ أى يظهر من الإسلام بلسانه ، ﴿ ويشهد الله على ما فى قلبه ﴾ وهو مخالف لما يقول بلسانه ، ﴿ وهو ألد الخصام ﴾ .

أى : ذو جدال إذا كلمك وراجعك .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : ﴿ وإذا تولى ﴾ أى خرج من عندك : ﴿ سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾ أى لا يحب عمله ولا يرضاه . ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس

(١) وكان سعيد وقتها كافرا .

(٢) غشى على : أى أغمى على وهذا خير دليل على أن الله استجاب دعوة خبيب المظلوم .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٠٤ .

المهاد وممن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ، والله رءوف بالعباد ﴿١﴾ .

* شعر خبيب :

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل في ذلك من الشعر ، قول خبيب بن عدي ، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه :

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَالْبُؤَا
وَكُلَّهُمْ مُبْدِي الْعَدَاوَةِ جَاهِدُ
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي
فَإِذَا الْعَرْشُ صَبَرَنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ
وَقَدْ خَيْرُونِي الْكَفَرِ وَالْمَوْتِ دُونَهُ
وَمَا بِي حَذَارِ الْمَوْتِ إِنِّي لَمِيتٌ
فَوَاللَّهِ مَا أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِمًا
فَلَسْتُ بِمُسْبَدٍ لِلْعَدُوِّ تَخْشَعَا
* حسان يبكى خبيبا :

وَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي خَبِيْبًا :
مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَرْقَأُ مَدَامِعُهَا
عَلَى خَبِيْبٍ فِي الْفَتِيَانِ قَدْ عَلِمُوا
سَحًا عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ اللَّوْلُؤِ الْقَلَقِ ﴿٦﴾
لَا فَشَلٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَلَا نَزَقٍ

(١) سورة البقرة : الآيات ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٢) ألُّبُوا : أى جمعوا .

(٣) ياس : أى يأس وهذا يسمى تسهيل بحذف الهمزة ، بضعوا : أى قطعوا .

(٤) الشلو : بقية الشيء .

(٥) ملفع : مشتمل .

(٦) القلق : المتحرك .

ابن إسحاق —

فَآذِهِبْ خُبَيْبٌ جَزَاكَ اللَّهُ طِيبَةً وَجَنَّةُ الْخُلْدِ عِنْدَ الْحَوْرِ فِي الرَّفْقِ (١)
 مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ حِينَ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ فِي الْأَفْقِ
 فِيمَ قَتَلْتُمْ شَهِيدَ اللَّهِ فِي رَجُلٍ طَاغٍ قَدْ أَوْعَثَ فِي الْبُلْدَانِ وَالرَّفْقِ !؟ (٢)
 وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي خُبَيْباً (٣) :

يَا عَيْنُ جُودِي بَدَمْعٍ مِنْكَ مَنْسَكِبٌ وَأَبْكِي خُبَيْبًا مَعَ الْفَتِيَانِ لَمْ يَوْبُ
 صَقْرًا تَوَسَّطَ فِي الْأَنْصَارِ مَنْصِبُهُ سَمَحَ السَّجِيَّةِ مَحْضًا غَيْرَ مُؤْتَشَبِ (٤)
 قَدْ هَاجَ عَيْنِي عَلَى عَلَاتٍ عَبَّرَتْهَا إِذْ قِيلَ نَصٌّ إِلَى جَذَعٍ مِنَ الْخَشَبِ (٥)
 يَأْيَهَا الرَّاكِبُ الْغَادِي لَطِيبَتِهِ أَبْلَغَ لَدَيْكَ وَعِيدًا لَيْسَ بِالْكَذِبِ (٦)
 بَنَى كَهْيَبَةً إِنْ الْحَرْبُ قَدْ لَقَحَتْ مَحْلُوبَهَا الصَّابِ إِذْ تُمَرَى لِمَحْتَلَبِ (٧)
 فِيهَا أُسُودُ بَنِي النَّجَّارِ تَقْدِمُهُمْ شُهْبُ الْأَسْنَةِ فِي مُعْصُوصِ لَجِبِ (٨)
 قل ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

لَوْ كَانَ فِي الدَّارِ قَرْمٌ مَاجِدٌ بَطُلٌ أَلَوِي مِنَ الْقَوْمِ صَقْرٌ خَالَهْ أَنْسُ (٩)
 إِذْ وَجَدْتُ خُبَيْبًا مَجْلِسًا فَسَحَا وَلَمْ يَشُدَّ عَلَيْكَ السَّجْنُ وَالْحَرْسُ

(١) الرفق : جمع رفيق .

(٢) أَوْعَثَ : أَفْسَدَ ، قَدْ هَنَا بِمَعْنَى « هَل » وَالشَّاعِرُ يَسْأَلُهُمْ مُتَعَجِّبًا وَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا

غَرَضُهُ الْإِنْكَارُ وَالتَّعَجُّبُ .

(١) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِثْلُ الَّتِي قَبْلَهَا ، وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُهَا

لِحَسَانِ .

(٤) الْمَحْضُ : الْخَالِصُ ، غَيْرُ مُؤْتَشَبٍ : غَيْرُ مُخْتَلَطٍ .

(٥) نَصٌّ : رَفْعٌ .

(٦) الطِّيبَةُ : مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ النِّيَّةُ .

(٧) جَعَلَ كَهْيَبَةً كَأَنَّهُ اسْمُ عِلْمٍ لِأَمِهِمْ ، كَمَا يُقَالُ : بَنَى الْغُبَرَاءُ ، وَبَنَى دُرَّةً ، وَهَذَا

كُلُّهُ اسْمٌ لِمَنْ يُسَبُّ ، وَعِبَارَةٌ عَنِ السَّفَلَةِ مِنَ النَّاسِ ، كَهْيَبَةٌ مِنَ الْكَهْيَةِ وَهِيَ الْعِبْرَةُ ؛ لِأَنَّهُمْ إِخْوَةُ
 الْقَارَةِ ، وَالْمُشَارِكُونَ لَهُمْ فِي الْغَدْرِ بِخُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ وَهَذِيلٍ وَخَزِيمَةَ أَبْنَاءِ مَدْرَكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ ،
 وَغَضْلٍ وَالْقَارَةِ مِنْ بَنِي خَزِيمَةَ . انْظُرِ الرُّوضُ الْأَنْفَ .

(٨) الْمَعْصُوصُ : الْجَيْشُ الْكَبِيرُ كَثِيرُ الْعَدَدِ ، لَجِبٌ : كَثِيرُ الْأَصْوَاتِ .

(٩) لَوِي : شَدِيدُ الْخُصُومَةِ .

وَلَمْ تَسْقُكْ إِلَى التَّنْعِيمِ زَعْنَفَةً مِّنَ الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ مَنْ نَفَتْ عَدَسُ (١)
 دَلَّوكَ غَدْرًا وَهُمْ فِيهَا أَوْلَى خُلْفَ وَأَنْتَ ضَيْمٌ لَهَا فِي الدَّارِ مُحْتَبَسُ (٢)
 • الَّذِينَ اجْتَمَعُوا لِقَتْلِ خُبَيْبَ :

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا على خبيب في قتله حين قتل من قريش :
 عكرمة بن أبي جهل ، وسعيد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود ، والأخنس بن
 شريق الثقفي ، حليف بنى زهرة ، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص
 السلمي ، حليف بنى أمية بن عبد شمس وأمие بن أبي عتبة ، وبنو الحضرمي .

* هجاء حسان هزيلا :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يهجو هزيلاً :

إِنْ سَرَكَ الْغَدْرُ صَرْفًا لَا مَزَاجَ لَهُ فَاتِ الرَّجِيعِ فَسَلْ عَنْ دَارِ لَحْيَانِ
 قَوْمٍ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ بَيْنَهُمْ فَالْكَلْبُ وَالْقِرْدُ وَالْإِنْسَانُ مِثْلَانِ
 لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانَ
 قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هزيلاً :

سَأَلْتُ هُذَيْلَ رَسُولَ اللَّهِ فَاحْشَةُ ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَأَلَتْ وَلَمْ تُصَبِّ (٣)
 سَأَلُوا رَسُولَهُمْ مَا لَيْسَ مُعْطِيهِمْ حَتَّى الْمَمَاتِ ، وَكَانُوا سَبَّةَ الْعَرَبِ
 وَكُنْ تَرَى لَهُذَيْلَ دَاعِيًا أَبَدًا يَدْعُو لِمَكْرُمَةٍ عَنْ مَنْزِلِ الْحَرْبِ
 لَقَدْ أَرَادُوا خِلَالَ الْفُحْشِ وَيَحْهُمْ وَأَنْ يُحْلُوا حَرَامًا كَانَ فِي الْكُتُبِ
 * حسان يبكي خبيياً وأصحابه :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكي خبيياً وأصحابه :

صَلَّى إِلَهَ عَلِيٍّ الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأَكْرَمُوا وَأُثْبِتُوا
 رَأْسَ السَّرِيَةِ مَرْتَدًا وَأَمِيرَهُمْ وَابْنَ الْبَكْرِ إِمَامَهُمْ وَخُبَيْبُ
 وَابْنُ لَطَّارِقٍ وَابْنُ دُثْنَةَ مِنْهُمْ وَافَاهُ ثُمَّ حَمَاهُ الْمَكْتُوبُ
 وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عَنْهُمْ رَجِيعُهُمْ كَسَبَ الْمَعَالِي إِيَّاهُ لَكُسُوبُ
 مَنَعَ الْمَقَادَةَ أَنْ يَنْتَهَبُوا ظَهْرَهُ حَتَّى يُجَالِدَ إِنْ هُوَ لَنَجِيبُ

(١) الزعنفة : الذين ليسوا خلصاً في القبائل بل المنتمين إليها ، عدس : اسم قبيلة .

(٢) دَلَّوكَ : غرّوك . (٣) سألت : أى سألت تسهيل بحذف الهمزة .

حَدِيثُ بَثْرَ مَعُونَةَ^(١) فِي صَفَرِ سَنَةِ أَرْبَعِ

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بقية شوال وذًا القعدة وذًا الحجة - وولى تلك الحجة المشركون والمحرم - ثم بعث رسول الله ﷺ أصحاب بثر معونة في صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

• سبب الإرسال :

وكان من حديثهم ، كما حدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره من أهل العلم . قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة^(٢) على رسول الله ﷺ المدينة ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك ، روجت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله ﷺ : إني أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

• أسماء خيار المسلمين الذين أرسلوا إلى بثر معونة :

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو ، أخا بني ساعدة المعتق ليموت^(٣) في أربعين رجلاً^(٤) من أصحابه ، من خيار المسلمين ، منهم : الحارث بن الصمة ،

(١) بثر معونة : تقع بين بني عامر وحرّة بنى سليم وهى إلى الحرّة أقرب ، وقيل هى ماء لبنى عامر بن صعصعة .

(٢) سمي بذلك فى يوم سوبان ، وهو يوم كانت فيه وقعة فى أيام جبلة ، وهى أيام حرب كانت بين قيس وتميم وجبلة اسم لهضبة عالية ، وكان سبب تسميته فى يوم سوبان ملاعب الأسنة أن أخاه الذى يقال له : فارس قرزل وهو طفيل بن مالك كان أسلمه فى ذلك اليوم ، وفر فقال عمر :

فررت وأسلمت ابن أمك عامراً يلاعب أطراف الوشيح المزعزع

(٣) أى المسرع : وهو لقب لُقّب به لأنه أسرع إلى الموت .

(٤) الصحيح : أنهم كانوا سبعين كما جاء فى البخارى ومسلم .

— ابن إسحاق — ٤٣ —

وحرام بن ملحان بنى عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ، ونافع ابن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق ، فى رجال مسلمين من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بيئر معونة ، وهى بين أرض بنى عامر وحرّة بنى سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهى إلى حرّة بنى سليم أقرب .

• خيانة بنى عامر إياهم :

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان ^(١) بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن نخفر ^(٢) أبا براء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم من عَصِيّة ورعل وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعب بن زيد ، أخا بنى دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فارتث ^(٣) من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً ، رحمه الله .

• موقف ابن أمية والمنذر :

وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار ، أحد بنى عمرو بن عوف ^(٤) .

قال ابن إسحاق : فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ ، فنخبره الخبر ، فقال الأنصارى : لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ، ثم قاتل القوم

(١) أمه أم حرام روت بعض أحاديث رسول الله ﷺ .

(٢) أى لن ننقض عهده ، الإخفار : نقض العهد .

(٣) أى رفع من بين القتلى وفيه رمق .

(٤) قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح .

حتى قتل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر ، أطلقه عامر ابن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .
فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة (١) ، أقبل رجلان من بني عامر .

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه في ظل هو فيه ، وكان مع العامرين عقد من رسول الله ﷺ وجوار ، لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنتما ؟ فقالا من بني عامر ، فأمهلهم ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة من بني عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر قال رسول الله ﷺ : لقد قتلت قتيلين « لأدينهما » .

• حزن الرسول من فعل أبي براء :

ثم قال رسول الله ﷺ : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً . فبلغ ذلك أبا براء ، فشق عليه إخفار عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ ، بسببه وجواره ، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة .

• ما حدث لابن فهيرة بعد مقتله :

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطفيل كان يقول من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهيرة .

• إسلام ابن سلمى :

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض بني جبار بن سلمة بن مالك بن جعفر قال - وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم - قال فكان يقول : إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فزت والله فقلت في نفسي : ما فاز . ألسنت قد قتلت الرجل ؟ قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة فقلت : فاز لعمرؤ الله .

(١) مكان بناحية عدن قريب من المدينة المنورة .

• تحريض حسان بنى البراء على عامر :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يحرض بنى براء على عامر بن الطفيل :

بنى أم البنين ألم يرعكم	وأنتم من ذوائب أهل نجد (١)
تهكم عامر بأبى براء	ليخفره وما خبطاً كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعى	فما أحدثت فى الحدثنان بغدى
أبوك أبو الحروب أبو براء	وأخالك ماجد حكم بن سعد

* طعن عامر :

قال ابن إسحاق : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه بالرمح فوق فى فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، فقال هذا عمل أبى براء ، إن أمت قدمى لعمى فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأى فيما أتى إلى .

* * *

(١) أم البنين : هى لىلى بنت عامر التى يذكرها لبيد فى قوله :

نحن بنى أم البنين الأربعة

ولم يكونوا أربعة بل كانوا إخوة خمسة طفيل فارس قرول ، عامر ملاعب الاسنة ،

ربيعة المقرين وهو والد لبيد ، وعبيد الوضاح ، ومعاوية معوذ الحكماء . وقال لبيد :

الأربعة : لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك .

أمر إجلاء بني النضير في سنة أربع

• سبب خروج النبي ﷺ إلى بني النضير :

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك ^(١) القتيلين من بني عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقده لهما ، كما حدثني يزيد بن رومان ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين ، قالوا نعم ، يا أبا القاسم ^(٢) ، نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلوا على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدهما ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم .

• انكشاف غدرهم ومحاربتهم :

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة . فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه ، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه . فقال : رأيته داخلاً المدينة ، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم ^(٣) .

(١) مثنى مذكر للبعيد .

(٢) كنية الرسول ﷺ ولا يتكنى بها غيره لحديثه ﷺ : « تسموا باسمي ولا تكنوا

بكنيتي » .

(٣) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم .

• حصار بنى النضير :

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه فى الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعييه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها (١) :

وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج ، منهم عدو الله عبد الله بن أبى بن سلول ووديعة ومالك بن أبى قوقل ، وسويد وداعس ، قد بعثوا إلى بنى النضير أن أثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نسلمكم ، إن قوتلتهم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة (٢) ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف (٣) بابه ، فيضعه على ظهر بعيه فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام .

فكان أشrafهم من سار منهم إلى خيبر : سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق ، وحى بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث : أنهم استقلوا بالنساء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والقيان (٤) يعزفن خلفهم ، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسى ، التى ابتاعوا منه وكانت إحدى نساء بنى غفار (٥) بزهاء وفخر ما رئى مثله من حى من الناس فى زمانهم .

(١) قال أهل التأويل : وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ﴾ واللينه ألوان التمر ما عدا العجوة والبرنى ففى هذه الآية أن النبى ﷺ لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة . (٢) الحلقة : أى السلاح .

(٣) نجاف الباب : أى عتبة الباب العليا . (٤) القيان : المغنيات .

(٥) لم يذكر اسمها فى رواية البكائى عنه ، وذكره فى غيرها وهى : سلمى قال الأصمعى : هى سلمى بنت شعواء ، قال أبو الفرج : هى سلمى أم وهب امرأة من كنانة وكنانة من غفار .

وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سمالك بن خرشة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله ﷺ .

ولم يسلم من بنى النضير إلا رجлан : يامين بن عمير ، أبو كعب بن عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين : أن رسول الله ﷺ قال : ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك ، وما هم به من شأني ؟ فجعل يامين بن عمير لرجل جعلا على أن يقتل له عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون .

ما نزل في بنى النضير من القرآن : ونزل في بنى النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله ﷺ ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾ (١) ، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها . ﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ﴾ ، وكان لهم من الله نقمة ، ﴿ لعذبهم في الدنيا ﴾ : أي بالسيف ، ﴿ ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾ مع ذلك . ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ﴾ . واللينه : ما خالف العجوة من النخل ﴿ فبإذن الله ﴾ : أي فبأمر الله قطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نقمة من الله ﴿ وليخزي الفاسقين ﴾ .

روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له إلى أين نخرج يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعنى أرض المحشر ، وهى الشام ، وقيل : إنهم كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قبلها ، فلذلك قال : لأول الحشر ، والحشر : الجلاء . وقيل إن الحشر الثانى ، هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن ، فتحشر الناس إلى الموقف ، تبيت معهم ، حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا ، وتأكل من تخلف ، والآية متضمنة

لهذه الأقوال كلها ، ولزائد عليها ، فإن قوله : لأول الحشر يؤذن أن ثم حشراً آخر ، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خير ، ثم أجلاهم عمر من خير إلى تيماء وأريحا ، وذلك حين بلغه التثبيت عن النبی ﷺ أنه قال : « لا يبقين دينان بأرض العرب » .

* ما قيل في بني النضير من الشعر :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف :

لَقَدْ خَزَيْتُ بَغْدَرْتَهَا الْحَبُورُ
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّ
وَقَدْ أَوْتُوا مَعًا فَهْمًا وَعِلْمًا
نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَى كِتَابًا
فَقَالُوا مَا أَتَيْتَ بِأَمْرٍ صَدَقَ
فَقَالَ بَلَى لَقَدْ أَدَيْتُ حَقًّا
فَمَنْ يَتَّبِعْهُ يَهْدِ لِكُلِّ رَشْدٍ
فَلَمَّا أَشْرَبُوا غَدَرًا وَكُفْرًا
أَرَى اللَّهَ النَّبَى بَرَأَى صِدْقَ
فَأَيْدِهِ وَسَلَطَهُ عَلَيْهُمْ
فَغَوْدِرَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيحًا
عَلَى الْكَافِينَ ثُمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَ لَيْلًا
فَمَا كَانَتْ رَهْ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرِ
فَتِلْكَ بَنُو النَّضِيرِ بِدَارِ سُوءٍ

كَذَاكَ الدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ (١)
عَزِيزُ أَمْرِهِ أَمْرٌ كَبِيرُ
وَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ النَّذِيرُ
وَأَيَاتٌ مُبِينَةٌ تَغِيرُ
وَأَنْتَ بِمَنْزَكٍ مِنَّا جَدِيرُ
يَصْدُقُنِي بِهِ الْفَهْمُ الْخَبِيرُ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزِ الْكَفُورُ
وَحَادَ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ النُّفُورُ
وَكَانَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَا يَجُورُ
وَكَانَ نَصِيرُهُ نِعَمَ النَّصِيرُ
فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
بِأَيْدِينَا مُشْهَرَةٌ ذُكُورُ (٢)
إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
وَمَحْمُودٌ أَخُو ثِقَةٍ جَسُورُ
أُبَارَهُمْ بِمَا اجْتَرَمُوا الْمَبِيرُ (٣)

(١) الحبور : جمع حَبْر وهم العلماء ، أى علماء اليهود .

(٢) مشهرة : مسلوقة ، ذكور : قوية ، أى سيوف قوية مسلوقة .

(٣) أبارهم : أهلكهم .

ابن إسحاق

رسول الله وهو بهم بصير (١)
 على الأعداء وهو لهم وزير
 وحالف أمرهم كذب وزور
 لكل ثلاثة منهم ————
 وغودر منهم ———— نخل ودور

غداة أتاهم في الزحف رهوا
 وغسان الحماسة موازروه
 فقال : السِّلْمُ ويحكم فصدوا
 فذاقوا غب أمرهم وبالأ
 وأجلوا عامدين لقينقاع

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) الرهو : المشى ببطء في تودة

غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ (١)

فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ، ثم غزا لنجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري : ويقال : عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى نزل نخلاً (٢) ، وهي غزوة ذات الرقاع .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعا عظيما من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس .

وهي أرض فيها بقع سود ، وبقع بيض ، كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري : قال : خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ، ونحن ستة نفر بيننا بغير نعتقه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماي ، وسقطت أظفاري ، فكنا نلف على أرجلنا الحرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الحرق على أرجلنا ، فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره : كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه .

*** أَحَدُ الْأَعْدَاءِ يَهْمُ بِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ :**

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبّيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلاً من بني محارب يقال له : غورث قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى

(١) ذكر ابن هشام أنها قيل لها غزوة ذات الرقاع ؛ لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم ، ويقال : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها : ذات الرقاع ، انظر السيرة النبوية لابن هشام

٣ / ١١٩ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

(٢) نخل : اسم موضع بنجد .

رسول الله ﷺ وهو جالس وسيف رسول الله ﷺ في حجره فقال : يا محمد أنظر إلى سيفك هذا ^(١) ؟ قال : نعم قال : فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ، ويهم فيكبته الله ؟ ثم قال : يا محمد أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك . قال أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، يمنعني الله منك ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ فردده عليه قال : فأنزل الله فيه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يسلطوا عليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش أخى بنى النضير وما هم به ، فالله أعلم أى ذلك كان .

• قصة جابر وجمله :

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل ، على جمل لى ضعيف فلما قفل رسول الله ﷺ قال : جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتخلف ، حتى أدركنى رسول الله ﷺ ، فقال : مالك يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله أبطأ بى جملى هذا قال أنخه ، قال فأنخته : وأناخ رسول الله ﷺ ، ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك ، أو اقطع لى عصا من شجرة ، قال : ففعلت : فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه ^(٣) بها نخسات ، ثم قال : اركب ، فركبت ، فخرج والذى بعثه بالحق يواهى ^(٤) ناقته مواهقة .

قال : وتحدثت مع رسول الله ، فقال لى : أتبيعنى جملك هذا يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك ، قال : لا ، ولكن بعنيه ، قال : قلت : فسمنيه يا رسول الله قال : قد أخذته بدرهم ، قال : قلت : لا ، إذن ، تغبنى يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ، قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله ﷺ فى ثمنه حتى بلغ الأوقية . قال : فقلت : أفقد رضيت يا

(١) قال ابن هشام وكان السيف محلى بفضة راجع سيرة ابن هشام .

(٢) سورة المائدة : الآية ١١ .

(٣) نخسه : أى ضغط بالعصا على جسمه .

(٤) يواهى : أى يسابق .

رسول الله ؟ قال : نعم ، قلت : فهولك ، قال : قد أخذته : قال : ثم قال : يا جابر ، هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيبا أم بكرا ؟ قال : قلت بل ثيبا قال : أفلا جاريه تلاعبها وتلاعبك ! قال : قلت يا رسول الله ، إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا ، فنكحت امرأة جامعة ، تجمع رءوسهن ، وتقوم عليهن ، قال أصبت إن شاء الله أما لو جئنا صرارا ^(١) أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا فنفضت ثمارها ^(٢) قال : قلت : والله يا رسول الله ما لنا من نمارق . قال إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً . قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم . فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا ، قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لى رسول الله ﷺ ، قالت : فدونك سمع وطاعة - قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب مسجد رسول الله ﷺ قال : ثم جلست فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله ﷺ ، فرأى الجمل ، فقال : ما هذا قالوا : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ؟ قال : فدعيت له ، قال ، فقال : يا ابن أخى خذ برأس جملك ، فهو لك ، ودعا بلالاً فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية ، وزادنى شيئاً يسيراً . قال : فوالله ما زال ينمى عندى ، ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا - يعنى يوم الحرة ^(٣) .

(١) صرار : موضع قريب من المدينة .

(٢) النمارق : كل ما يجلس عليه من الخشايا وغيرها .

(٣) يعنى : وقعة الحرة التى كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدى مسلم بن عقبة المرى الذى يسميه أهل المدينة مسرف بن عقبة ، وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية ، وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية ، وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد ، ولم يوافق على الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم روى البخارى أن عبد الله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه ، وقال لهم : إنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله ، وإنه والله لا يبلغنى عن أحد منكم أنه خلع يداً من طاعته إلا كانت الفيصل بينى وبينه ، ثم لزم بيته ، ولزم أبو سعيد الخدرى بيته ، فدخل عليه فى تلك الأيام التى انتهت المدينة فيها ، فقبل له : من أنت =

قال ابن إسحاق : وحدثني عمي صدقة ^(١) بن يسار ، عن عقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ منزلا ، فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ قال : فانتدب رجل من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بفم الشعب ، قال : وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي ^(٢) ، قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجرين : أي الليل تحب أن أكفيكه : أوله أم آخره ؟ قال : بلى اكفني أوله . قال فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيثة ^(٣) القوم . قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ، قال : فترعه ووضعه ، فثبت قائما : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه . قال فترعه فوضعه ، وثبت قائما ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال : فترعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت ^(٤) ، قال : فوثب فلما رأهما الرجل عرف أن قد نذرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا

= أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدري صاحب النبي ﷺ فقالوا له : سمعنا خبرك ، ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ، ولزمت بيتك ، ولكن هات المال ، فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم على وما عندي شيء ، فقالوا كذبت واتفوا لحيته ، وأخذوا ما وجدوا حتى صوف الفرش ، وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما . وأما جابر بن عبد الله الذي كنا بمساق حديثه فخرج في ذلك اليوم يطوف في أزقة المدينة والبيوت تنتهب ، وهو أعمى وهو يعثر في القتلى ، ويقول تعس من أخاف رسول الله ﷺ ، فقال له قائل : ومن أخاف رسول الله ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أخاف المدينة ، فقد أخاف ما بين جنبى ، فحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره منهم مروان ، وأدخله بيته ، وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف جزى الله الظلمة بفعالهم .

(١) صدقة : ليس عمه حقيقيا ، وإنما قال ذلك احتراما له ، ربما يكون شيخه .

(٢) هما عمار بن ياسر ، وعباد بن بشر فيما قال ابن هشام .

(٣) أي يحرسهم . (٤) أي جرحت جراحة بالغة .

أهيبتنى أول ما رماك ؟ قال : كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها ^(١) ، فلما تابع على الرمى ركعت فأذتتك ، وايم الله ، لولا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفذها .

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجبا .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) أى أتم قراءتها .

غَزْوَةُ بَدْرِ الْآخِرَةِ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ

قال ابن إسحاق: ثم خرج في شعبان إلى بدر، لميعاد أبي سفيان، حتى نزله (١).
قال ابن إسحاق: فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان
في أهل مكة حتى نزل مجنة، من ناحية الظهران، وبعض الناس يقول: قد بلغ
عسفان، ثم بدا له في الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام
خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جذب، وإنى
راجع، فارجعوا، فرجع الناس، فسماهم أهل مكة جيش السوق، يقولون إنما
خرجتم تشربون السوق.

وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأتاه مخشى بن
عمرو الضمري، وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودان، فقال: يا
محمد، أجنث للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم يا أخا بنى ضمرة وإن شئت
مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالذناك حتى يحكم الله بيننا وبينك
قال: لا والله يا محمد مالنا بذلك منك من حاجة.

• شعر معبد فى ناقة رسول الله ﷺ:

فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان فمر به معبد بن أبي معبد الخزاعى
فقال: وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوى به (٢):

قَدْ نَفَرْتُ مِنْ رُفْقَتِي مُحَمَّدٌ وَعَجْوَةٌ مِنْ يَثْرِبٍ كَالْعَنْجَدِ (٣)
تَهْوَى عَلَى دِينِ أَبِيهَا الْأَثْلَدِ قَدْ جَعَلَتْ مَاءً قَدِيدَ مَوْعِدِي (٤)
وَمَاءَ ضَجْنَانَ (٥) لَهَا ضَحَى الْغَدِ

* * *

(١) قال ابن هشام: واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول
الأنصارى.

(٢) تهوى: أى تسرع.

(٣) العنجد: الزبيب.

(٤) الدين: أى العادة التى يتعود الإنسان فعلها، الأثلد: القديم الأصيل، ماء قديد:

ماء قرب مكة. (٥) ضجنان: جبل قريب من مكة.

غزوة دومة الجندل (١) فى شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فأقام من مقدم رسول الله ﷺ بها أشهراً حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل (٢) .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً (٣) ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

* * *

-
- (١) دومة الجندل بينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ، وسميت بدومة بن إسماعيل عليه السلام ؛ لأن دومان بن إسماعيل نزل بها ونسبت إليه .
- (٢) قال ابن هشام : استعمل ﷺ على المدينة سباع بن عرفة الغفارى .
- (٣) أى لم يحدث قتال .

غزوة الخندق (١)

فى شوال سنة خمس

عن زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس .

اليهود تحزب الأحزاب : فحدثنى يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظى ، والزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق . وبعضهم يحدث مالا يحدث به بعض قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلام ابن أبى الحقيق النضرى (٢) وحجى بن أخطب النضرى (٣) ، وكنانة بن أبى الحقيق النضرى ، وهوذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوههم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه . - حتى نستأصله (٤) فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟

(١) وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ، ولكنه من مكاييد الفرس وحروبها ، ولذلك أشار به سلمان الفارسى ، وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبرى من شهر بن أبيرج بن أفريدون وقد قيل فى أفريدون : إنه ابن إسحاق عليه السلام ، وأكثرهم يقول فيه : هو ابن أثقيان ، وهو أول من اتخذ آلة الرمي ، وإلى رأس ستين من ملكة بعث موسى عليه السلام ، والكمائن فى الحروب ، أول من فعلها باختنصر فى قول الطبرى .

(٢) ونسب ابن أبى الحقيق وما بعده لبنى النضير فقال فيهم النضرى ، وقياسه : النضيرى إلا أن يكون من باب قولهم ثقفى وقرشى ، وهو خارج عن القياس ، وإنما يقال : فعلى فى النسب إلى فعيلة .

(٣) تزوج النبى ﷺ ابنته بعد ذلك وكانت من الأسرى فأسلمت وتزوجها ، النبى ﷺ وهى السيدة صفية بنت حنبل من أمهات المؤمنين .

(٤) أى نقضى عليه ونمحو أثره .

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ (١) ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴿ (٢) .

• تحريض اليهود غطفان :

قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريش قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

• خروج الأحزاب :

قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن وحذيفة بن بدر (٣) في بنى فزارة والحارث بن عوف ابن أبي حارثة المري في بنى مرة ومسعر بن رخیلة بن نويرة بن طريف بن سمحة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه (٤) ودأبوا . وابطأ عن رسول الله ﷺ . وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن وجعل الرجل من المسلمين إذا نأبته النائبة ، من الحاجة التي لا بد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ « ويستأذنه في اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير واحتساباً له » .

(١) الجبت : الصنم المعبود ، الطاغوت : الساحر ، الكاهن والشيطان ، أو كل ما عبد من دون الله .

(٢) سورة النساء : الآية ٥١ .

(٣) وكان عيينة مسلماً ثم ارتد .

(٤) أى جد واجتهد .

ما نزل من القرآن في حق العاملين في الخندق :

فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير ، والطاعة لله ولرسوله ﷺ .

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ وَدَعَاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ﴾ (٢) فيلحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (٣) .

﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

﴿ وَيَوْمَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

المسلمون يرتجزون وهم يعملون :

قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، . وارتجزوا فيه برجل

من المسلمين ، يقال له جُعيل ، سماه رسول الله ﷺ : عمرًا ، فقالوا :

سَمَاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا

فإذا مروا بـ « عمرًا » قال رسول الله ﷺ : عمرًا وإذا مروا بـ « ظهرًا »

قال رسول الله ﷺ : ظهرًا (٥) .

معجزات ظهرت في حفر الخندق : قال ابن إسحاق : وكان في حفر الخندق

أحاديث بلغتني ، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ ، وتحقيق

نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

(١) سورة النور : الآية ٦٢ .

(٢) اللواذ : أى الاستخفاء والاستتار بالشئ عند الهرب .

(٣) سورة النور : الآية ٦٣ . (٤) سورة النور : الآية ٦٤ .

(٥) أى يقول معهم آخر صدر البيت وآخر عجزه فقط مؤازرة لهم ونوعا من المشاركة

الوجدانية لرفع روحهم المعنوية ؛ فإنه ﷺ لم ينشئ شعرا أبداً وإنما كان يسمعه ويستجيده ،

وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ .

(١) معجزة الكدية :

فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كدية ، فشكوها إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناء من ماء ، ففعل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق نبيا ، لانهالت حتى عادت كالكتيب لا ترد فأسا ولا مسحاة .

(٢) معجزة البركة في التمر :

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا أنه حدث أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعتنى أُمى عمرة بنت رواحة ، فأعطتنى حفنة من تمر في ثوبى ، ثم قالت : أى بنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررت برسول الله ﷺ ، وأنا ألتمس أبى وخالى ، فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت فقلت يا رسول الله هذا تمر بعثتنى به أُمى إلى أبى بشير بن سعد ، وخالى عبد الله بن رواحة يتغديان ، قال هاتيه قالت : فصبته في كفى رسول الله ﷺ ، فما ملائهما ثم أمر بثوب بسط له ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق أن هلم إلى الغذاء ، فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه يسقط من أطراف الثوب .

(٣) البركة في طعام جابر :

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا . عن جابر بن عبد الله ، قال عملنا مع رسول الله ﷺ فى الخندق ، فكانت عندى شويهة (١) ، غير جد سمينه (٢) قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ ، وقال ، فأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئا من شعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناه لرسول الله ﷺ قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق - قال وكنا نعمل فيه نهارنا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا - قال : قلت : يا رسول الله ،

(١) أى شاة صغيرة (تصغير شاة : شويهة) .

(٢) أى غير كاملة الدسم .

إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فأحب أن تنصرف معى إلى منزلى ، وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله ﷺ وحده ، قال : فلما أن قلت له ذلك ، قال : نعم ، ثم أمر صارخاً فصرخ . أن انصرفوا مع رسول الله إلى بيت جابر بن عبد الله قال : قلت إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله ﷺ ، وأقبل الناس معه ، قال فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمى الله ^(١) ، ثم أكل ، وتواردها الناس . كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها ^(٢) .

٤ - الله يُبشِّرُ نبيه بالفتوح :

قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي ، أنه قال : ضربتُ فى ناحية من الخندق ، فغلظت علىَّ صخرة ، ورسول الله ﷺ قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان علىَّ نزل فأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول ^(٣) برقة ^(٤) . قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال قلت : نعم قال : أما الأولى فإن الله فتح بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح بها الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه كان يقول - حين فُتحت هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده - افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك ^(٥) .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق ، أقبلت قريش حتى

(١) أى دعا الله أن يبارك فيها وأن يحل عليهم بركته وقال بسم الله .

(٢) أى شبعوا وقاموا وتركوا منها .

(٣) أى الفأس .

(٤) أى ضوء لامع .

(٥) أى بشر الله رسوله بفتحها منذ زمن .

نزلت بمجتمع الأسيال من رومة ، بين الجرف وزغابة ^(١) في عشرة آلاف من أحايشهم ، ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذئب نقي ، إلى جانب أحد ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع ^(٢) ، في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ^(٣) .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام ^(٤) .

حيى بن أخطب يحرض كعب بن أسد : قال وخرج عدو الله حيى بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى ، صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ، فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حيى : ويحك يا كعب افتح لى قال : ويحك يا حيى ، إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . قال : ويحك افتح لى أكلمك . قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت الحصن دونى إلا تخوفت ^(٥) جيشيشتك ^(٦) أن أكل معك منها ، فأحفظ ^(٧) الرجل ، ففتح له ،

(١) زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاي المفتوحة ، وذكره البكرى بهذا اللفظ بعد أن قدم القوم بأنه زغابة بضم الزاي والعين المهملة ، وحكى عن الطبرى أنه قال فى هذا الحديث بين الجرف والغابة ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لا تعرف وقال السهيلي فى الروض الأنف : والأعرف عندى فى هذه الرواية رواية من قال : زغابة بالغين المنقوطة ، لأن فى الحديث المسند عنه عليه السلام ، قال فى ناقة أهداها إليه أعرابى ، فكأفاه بست بكرات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تعجبون لهذا الأعرابى ! أهدى إلى ناقة أعرفها بعينها ، كما أعرف بعض أهلى ذهبت منى يوم زغابة ، وقد كافأته بست فسخط . الحديث .

(٢) سلع : جبل بالمدينة .

(٣) قال ابن هشام : واستعمله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم ، ويتضح لنا مما سبق أن الرسول ﷺ - استعمله على المدينة أكثر من مرة .

(٤) الآطام : الحصون .

(٥) أى لخوفك .

(٦) الجشيشة : طعام يصنع من القمح المطحون .

(٧) أى غضب وانفعل وأخذته الحمية .

فقال : ويحك يا كعب جئتكَ بعز الدهر وبيحر طام^(١) جئتكَ بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقي إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . قال : فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر ، وبجهام^(٢) قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويبرق ، ليس فيه شيء ، ويحك يا حبي : فدعنى وما أنا عليه فإننى لم أر من محمدٍ إلا صدقاً ووفاءً . فلم يزل حبي بكعب يفتله فى الذروة والغارب^(٣) حتى سمح له ، على أن أعطاه عهداً وميثاقاً : لئن رجعت قريش وغطفان ، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيد الأوس . وسعد بن عباد بن دليم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بنى الحارث بن الخزرج ، وخوات بن جبير ، أخو بنى عمرو بن عوف فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لى لحناً أعرفه ، ولا تفتوا فى أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، فيما نالوا من رسول الله ﷺ ، وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم سعد ابن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة ، فقال له سعد بن عباد : دع عنك مشاتمهم ، فما بيننا وبينهم أربى^(٤) من المشامة ثم أقبل سعد وسعد ومن معه إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا : عضل والقارة ، أى كغدر عضل والقارة بأصحاب

(١) أى برجال كثير .

(٢) الجهم : أى السحاب الذى لا ماء فيه .

(٣) هذا مثل من أمثال العرب وهو فى البعير الذى يستصعب على سائقه فيأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه ويقتل هناك ، فيجد البعير لذة لذلك فيأنس به فضرب هذا مثلاً فى المرافضة والمخاتلة .

(٤) أى أريد وأكثر .

الرجيع ، خبيب ، وأصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين .

* الخوف الذى أصاب المسلمين ذلك اليوم :

قال ابن إسحاق : وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم ^(١) النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وحتى قال أوس بن قَيْظى ، أحد بنى حارثة بن الحارث يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك على ملا من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فإنها خارج من المدينة ، فأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ، لم يكن بينهم حرب إلا الرمية بالنبل والحصار .

• محاولة الصلح مع غطفان :

فلما أشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله ﷺ ، كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى ، وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ^(٣) ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المرافضة فى ذلك . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فذكر لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً

(١) أى ظهر .

(٢) قال ابن هشام : أخبرنى من أثق به من أهل العلم أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين ، واحتج بأنه كان من أهل بدر .

(٣) أى صيغة الصلح .

تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأئني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم ^(١) من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو يبعوا ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ! والله مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله ﷺ : فأنت وذاك ، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قریش ، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤى .

قال ابن إسحاق : وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس ، أخو بني محارب بن فهر ، تلبسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بني كنانة ، فقالوا : تهيثوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنق ^(٢) بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ^(٣) ، فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

على يقتل عمرو بن عبد ود : قال ابن إسحاق : ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وطلع ، وخرج على بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن

(١) أى اشتدوا عليكم وغلبوكم .

(٢) تعنق : أى تسرع .

(٣) قال ابن هشام : يقال إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ ، وأن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان منا ، وقالت الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله ﷺ : « سلمان منا أهل البيت » .

عبد وُدَّ قتل يوم بدر حتى أثبتته ^(١) الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ^(٢) ليري مكانه ، فلما وقف هو وخيله ، قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين ^(٣) إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ، قال له علي : فإنني أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لي بذلك ، قال فإنني أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يابن أخى ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له علي : لكنني والله أحب أن أقتلك ، فحمى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة ^(٤) .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك :

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةٍ رَأَى	وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي ^(٥)
فَصَدَدْتُ حِينَ تَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلا	كَالْجَذْعِ بَيْنَ دَكَادِكِ وَرَوَابِي ^(٦)
وَعَقَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَلْنِي	كُنْتُ الْمَقْطَرُ بَزْنِي أَثْوَابِي ^(٧)
لَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ خَاذِلَ دِينِهِ	وَنَبِيَّهُ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ

هجاء حسان عكرمة : قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه

يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فَرًّا وَأَلْقَى لَنَا رُمَحَهُ	لَعَلَّكَ عَكْرَمَ لَمْ تَفْعَلْ
وَوَكَيْتَ تَعْدُو كَعْدُو الظَّلِيمِ	مَا إِنْ تَجَوَّزُ عَنِ الْمَعْدِلِ ^(٨)
وَكَمْ تَلَقَّ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنَسًا	كَأَنَّ قَفَاكَ قَفَا فُرْعَانِ

استشهاد سعد بن معاذ : قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل

(١) أى أثبتته وأقعدته عن القتال . (٢) أى له علامة يعرفه الناس بها .

(٣) أى صفتين أو خيارين .

(٤) قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبنى قريظة :

حم لا ينصرون .

(٥) الحجارة : الأنصاب التي كانت تعبدتها قريش .

(٦) الدكادك : أى الرمال اللينة الرخوة .

(٧) المقطر : الذى وقع على قطره ، وهو جنبه ، بزنى : أى سلبنى وجردنى .

(٨) الظليم : ولد النعام .

ابن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري ، أخو بني حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ، قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن ، فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب : فمر سعد وعليه درع له مقلصة ^(١) ، وقد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته يرفل ^(٢) بها ويقول :

لبث قليلاً يشهد الهيجا جمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل ^(٣)

قال : فقالت له أمه : الحق ، أي بني ، فقد والله أخرت ، قالت عائشة فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي ، قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل ^(٤) رماه كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة - حبان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي ، فلما أصابه قال : خذها مني وأنا ابن العرقة فقال له سعد : عرق الله وجهك في النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة ^(٥) .

• قاتل سعد بن معاذ :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي ، حليف بني مخزوم .

وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً لعكرمة بن أبي جهل :

أَعِزُّكُمْ هَلَّا لُتْنِي إِذْ تَقُولُ لِي فِدَاكَ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ خَالِدُ
أَلَسْتُ الَّذِي أَلْزَمْتَ سَعْدًا مَرْشَةً لَهَا بَيْنَ أَفْنَاءِ الْمُرَافِقِ عَائِدُ ^(٦)
قَضَى نَحْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعُولَتْ عَلَيْهِ مَعَ الشُّمُطِ الْعَذَارَى النَّوَاهِدُ

(١) مقلصة : أي قصيرة ارتفعت عن حدها . (٢) يرفل : أي يسرع في سيره .

(٣) جمل : اسم رجل . (٤) الأكحل : عرق وسط الذراع .

(٥) وهذا دليل إخلاصه وصدق إيمانه عليه السلام ؛ لأن في حالة النزاع الأخير للمسلم لا يظهر على اللسان إلا الحق ، اللهم ثبتنا على الحق يا رب العالمين .

(٦) مرشة : أي طعنة مرشة تفجر الدم ، العائد : العرق الذي لا ينقطع دمه .

وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدْ دَعَا
عَلَى حِينٍ مَا هُمْ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِهِ
عُبَيْدَةَ جَمَعَا مِنْهُمْ إِذْ يُكَابِدُ
وَأَخْرَجَ مَرْعُوبٌ عَنِ الْقَصْدِ عَاهِدُ
• حَدِيثُ حَسَّانٍ وَصَفِيَّةٍ فِي وَقْعَةِ الْخَنْدَقِ :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في فارغ ، حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصبيان ، قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ ، والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإنني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فأنزل إليه فاقتله ، قال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، قالت : فلما قال لي ذلك ، ولم أر عنده شيئا احتجرت (١) ثم أخذت عمودا ، ثم نزلت من الحصن إليه فضربتة بالعمود حتى قتلتها . قالت : فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ، قال : ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب (٢) .

خداع نعيم المشركين : قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أثيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت ، فقال رسول الله ﷺ : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب

(١) احتجرت : أي شدت ، وسطيتها وتأهبت .

(٢) محمل هذا الحديث عند الناس على أن حسانا كان جباناً شديد الجبن ، وقد دافع عنه بعض العلماء ، وأنكره ؛ وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، ولو صح هذا لهجى به حسان فإنه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبير ، وغيرهما وكانوا يناقضونه ، ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ولا وسمه به فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فربما كان حسان معتلا في ذلك اليوم بعله منعه من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول .

خُذعة ، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديماً (١) في الجاهلية ، قال : يا بنى قريظة ، قد عرفتم وُدِّي إليكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم (٢) ، فقال لهم إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم والبلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ؛ لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهضة (٣) أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم ، يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنجزوه ، فقالوا : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم وُدِّي لكم ، وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقاً أبلغكموه ، نصحاً لكم فاكتبوا عني ، فقالوا : نفعل . قال : تعلموا أن معشر يهود ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجلاً من أشرافهم فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم (٤) ، فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً عن رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان إنكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ولا أراكم تتهمونى ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ، قال فاكتبوا عني (٥) قالوا نفعل ، فما أمرك ؛ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

• ما أنزل الله بالمشركين :

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، كان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان (٦) إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل (٧) فى نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام قد هلك

(١) أى صديقاً يحادثهم . (٢) أى موثوق بك .

(٣) أى فرصة . (٤) أى نقتلهم جميعاً ونبيدهم ونقطع جذورهم .

(٥) أى اكتبوا سرى .

(٦) رؤوس غطفان : أى زعماء غطفان وقادتهم .

(٧) عكرمة بن أبى جهل أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه .

الخف والحافر^(١) فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، ونفرغ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فلما نخشى أن ضرستكم^(٢) الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا^(٣) إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهبوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً فأبوا عليهم ، وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح في ليل شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح ابنيتهم^(٤) .

استخبار ما حل بالمشركين : قال فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان ، يا أبا عبد الله رأيت رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم ، يا بن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا بجهد قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يا بن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسول الله ﷺ هُويًا^(٥) من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من

(١) أى هلكت الإبل والخيول ، وهذه كناية ، عبر بالخف عن الإبل ، وعبر بالحافر عن الخيل .

(٢) ضرستكم : أى اشتدت عليكم .

(٣) تنشمروا : أى ترجعوا سراعاً إلى بلادكم .

(٤) تكفأ قدورهم : أى تلقى وتنشر أوعية طعامهم ، تطرح ابنيتهم : أى تهدم بيوتهم ؛ وهذا دليل شدة تلك الريح العاصفة .

(٥) هُويًا من الليل : أى جزءاً منه .

رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة ؟ فما قام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعاني رسول الله ﷺ ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، فقال يا حذيفة اذهب فادخل مع القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تُحدثن شيئاً حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقرر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء فقام أبو سفيان ، فقال : يا معشر قريش : لينظر امرؤ من جلسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان ابن فلان . أبو سفيان ينادى بالرحيل : ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ^(١) ، وأخلفتنا ^(٢) بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلى « أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني » ، ثم شئت لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط ^(٣) . لبعض نسائه ، مراجل ^(٤) .

فلما رأيته أدخلني إلى رجليه ، ويطرح على طرف المرط ، ثم رجع وسجد وإني لفيه ^(٥) ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

• انصراف الرسول عن الخندق :

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح ^(٦) .

* * *

(١) الكراع : الخيل ، الخف : الإبل .

(٢) أي أخلفت ما وعدتنا . (٣) المرط : الكساء (نوع من الثياب) .

(٤) قال ابن هشام : المراجل ضرب (نوع) من وشى اليمن .

(٥) أي مغطي بالكساء . (٦) أي تركوا القتال ، وصرف الله عنهم عدوهم .

غزوة بنى قريظة فى سنة خمس

• أمراً لله رسوله ﷺ بحرب بنى قريظة :

فلما كانت الظهر ، أتى جبريل رسول الله ﷺ كما حدثنى الزهري ، معتجراً^(١) بعمامة من إستبرق^(٢) ، على بغلة عليها رحالة^(٣) ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أو قد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة ، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم .

• إعلام الرسول ﷺ المسلمين بالقتال :

فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً ، فأذن فى الناس ، من كان سامعاً مطيعاً ، فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة^(٤) .

على يبلغ الرسول ما سمعه من بنى قريظة : قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله ﷺ على بن أبى طالب برايته إلى بنى قريظة ، وابتدرها الناس . فسار على بن أبى طالب ، حتى إذا دنا^(٥) من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى^(٦) ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم . قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

(١) معتجراً : أى متعمم بعمامة على رأسه فقط .

(٢) الإستبرق : الديباج الغليظ الحسن .

(٣) رحالة : أى سرج مثل سرج الفرس .

(٤) قال ابن هشام : واستعمل ﷺ ابن أم مكتوم .

(٥) دنا : أى اقترب .

(٦) وهذا من علامة فراسة وفطنة وذكاء النبى ﷺ .

* جبريل في صورة دحية الكلبي :

ومرَّ رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصوريين ^(١) قبل أن يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله قد مرَّ بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة ، عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله ﷺ : ذلك جبريل ، بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم .

ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أنا ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ : لا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة ، فشغلهم ما لم يكن منه بُد في حربهم ، وأبوا أن يصلوا لقول رسول الله : « حتى تأتوا بني قريظة » فصلوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عَنَّفهم به ^(٣) رسول الله ﷺ .

(١) الصوريين : موقع قريب من المدينة .

(٢) قال ابن هشام : بئر أنى .

(٣) وفي هذا من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر الحديث أو آية ، فقد صلت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس ، وقالوا : لم يرد النبي ﷺ إخراج الصلاة عن وقتها ، وإنما أراد الحث والإعجال ، فما عنف أحداً من الفريقين ، وفي هذا دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب ، وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصل لهذا الأصل أيضاً ، فإنه قال سبحانه : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً » ولا يستحيل أن يكون الشيء صواباً في حق إنسان وخطأ في حق غيره ، فيكون من اجتهد في مسألة فأداه اجتهاده إلى التحليل مصيباً في استحلاله ، وآخر اجتهد فأداه اجتهاده ونظره إلى تحريمها ، مصيباً في تحريمها ، وإنما المحال أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد ، وإنما عسر فهم هذا الأصل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فإنهم علقوا الأحكام بالنصوص ، فاستحال عندهم أن يكون النص يأتي بحظر ، وإباحة معاً إلا على وجه النسخ . وأما المعتزلة فإنهم علقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه ، فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة عين ، فاستحال عندهم أن يتصف فعل بالحسن في حق زيد والقبح في حق عمرو ، كما يستحيل ذلك في الألوان والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات ، وأما ما عدا =

الأنصا

الحصار

قريش

كعب

عليكم

ونصد

على د

غيره ف

وأصح

محمد

لنجد ا

= هاتين

هي صفة

إلى الح

وافق ا-

التقليد

غيره ف

الحقائق

حدثني بهذا الحديث أبي إسحاق بن يسار عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري .

* الرسول ﷺ يبدأ الحصار :

قال : وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة ، حتى جهدهم (١) الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب .

وقد كان حبي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه .

* كعب بن أسيد ينصح قومه :

فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم (٢) ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم الأمر ما ترون ، وإنني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً (٣) فخذوا أيها شتم قالوا : وما هي ؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدق فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل ، وإنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمايتكم وأموالكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره قال : فإذا أبيتم على هذه ، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلاً ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ، ولم نترك وراءنا نسباً نخشى عليه ، وأن يظهر فلعمري لنجد النساء والأبناء ، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال :

= هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الحظر ، والإباحة عندهم بصفات أعيان ، وإنما هي صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يحكم بالحظر في النازلة على من آذاه نظره واجتهاده إلى الحظر ، وكذلك الإباحة والندب والإيجاب والكراهة ، كلها صفات أحكام . فكل مجتهد وافق اجتهاده ، وجهاً من التأويل ، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حضيض التقليد إلى هضبة النظر ، فهو مصيب في اجتهاده مصيب في الحكم الذي تعبد به ، وإن تعبد غيره في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تعبد هو به ، فلا بعد في ذلك إلا على من لا يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق ، عن السهيلي من كتابه الروض الأنف .

(١) أي أتعبهم .

(٢) أي يقاتلهم .

(٣) خلافاً : أي خيارات ، وحلولا .

فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت ^(١) ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة ، قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ قال : ما بات منكم أحد منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

قصة أبي لبابة : قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ : أن ابعث إلينا أبا لبابة ^(٢) بن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، لنستشيره في أمرنا ، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم ، فلما رآوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يكون في وجهه ، فرق لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقة ، إنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ﷺ ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي عما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بني قريظة أبداً ، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً .

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ . قال ابن إسحاق فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره ، وكان استبطأه ، قال : أما

(١) هي ليلة مقدسة عندهم لا يقاتلوا فيها .

(٢) هو رفاعه بن عبد المنذر بن زبير وقيل : اسمه مبشر ، وتاب وربط نفسه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم ألا يحله إلا رسول الله ﷺ ، وفيه : أنزل الله تعالى : ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً ﴾ ، غير أن المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان فقال ابن إسحاق ما ذكره في السيرة من إشارته على بني قريظة ، وقاله آخرون : كان من المخلفين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية .

إنه لو جاءني لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط : أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السحر ، وهو في بيت أم سلمة ، فقالت أم سلمة : فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك . قالت : فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك ؟ قال : تيب على أبي لبابة ، قالت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال : بلى ، إن شئت . قال : فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك قال : فثار الناس إليه ليطلقوه ^(١) فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده ، فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

• إسلام بعض بنى هذل :

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعِيَّة ، وأُسَيْد بن سَعِيَّة ، وأُسْد بن عبيد وهم نفر من بنى هذل ، ليسوا من بنى قريظة ، ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ .

• قصة عمرو بن سعدى :

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي ، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال : لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة ، حين نزلوا على حكم

(١) أى يطلقوا أسره ، ويفرجوا عنه .

رسول الله ﷺ فأصبحت رمته ملقاة ، ولا يدرى أين ذهب فقال رسول الله فيه تلك المقالة والله أعلم أى ذلك كان .

تحكيم سعد فى أمر بنى قريظة : قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأوس ما قد علمت - وقد كان رسول الله ﷺ قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع . وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبى ابن سلول (١) ، فوهبهم له - فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال رسول الله ﷺ : فذاك إلى سعد بن معاذ ، وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد ابن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم . يقال لها ربيعة (٢) ، فى مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتحتسب (٣) بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالحنديق : اجعلوه فى خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب . فلما حكم رسول الله ﷺ فى بنى قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم (٤) ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أبى سعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بنى قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التى سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيدكم - فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار ، وأما الأنصار ، فيقولون : قد عم بها رسول الله ﷺ - فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله

(١) سلول : أم عبد الله بن أبى .

(٢) وقيل إنها أنصارية من أسلم ، وهى أول طيبة فى الإسلام .

(٣) أى تحتسب عملها هذا بلا أجر ابتغاء مرضاة الله ، وترجو الثواب من الله .

(٤) آدم : أى جلد .

ابن
وميثاق
التي ف
الله ع
وتسبى

عمرو
لسعد

بنت ا
التي
تلك
أسد
والس
يا كع
يتزع
فرغ م

بحبل

(أى)

وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم : وعلى من هاهنا ؟ فى الناحية التى فيها رسول الله ، ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالا له ، فقال رسول الله ﷺ نعم ، قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء .

* ثناء الرسول ﷺ على حكم سعد بن معاذ :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (١) .

* قتل بنى قريظة :

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة فى دار بنت الحارث (٢) ، امرأة من بنى النجار ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالا (٣) ، وفيهم عدو الله حى بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال أفى كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعى لا ينزع ، وإنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ .

* مقتل حى بن أخطب :

وأتى بحى بن أخطب عدو الله ، وعليه حلة له فقاحية (٤) .

قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لثلا يسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك

(١) أى سبع سماوات .

(٢) واسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت

(أى زوجة) مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز .

(٣) أرسالا : أى طائفة أو جماعة وراء أخرى .

(٤) تشبه لون الورد حين يبدو تفتحه .

ولكنه من يخذل الله يُخذل (١) ، ثم أقبل على الناس : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تحدث معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك ، مالك ؟ قالت : أقتل ، قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قالت : فانطلق بها ، فضرب عنقها ، فكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجاباً منها ، طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل (٢) .

قصة الزبير بن باطا : قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس ، كما ذكر لي ابن شهاب الزهري ، أتى الزبير (٣) بن باطا القرظي ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزبير قد من علي ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية ذكر لي بعض ولد الزبير أنه كان من عليه يوم بُعث (٤) ، أخذه فجز ناصيته ، ثم خلى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هلى تعرفني ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك ، قال : إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي ، قال : إن الكريم يجزي الكريم ، ثم جاء ثابت بن قيس رسول الله ﷺ .

فقال يا رسول الله إنه قد كانت للزبير على منة . وقد أحببت أن أجزيه بها . فهب لي دمه ، فقال رسول الله ﷺ : هو لك ، فأتاه فقال : إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما

(١) وهذا اعتراف من الأعداء بأن الله يؤيد نبيه ومن ينصر الله ينصره ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

(٢) قال ابن هشام : وهى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته .

(٣) هو الزبير بفتح الزاى وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأ فى كتاب النكاح ، واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل الزبير بفتح الزاى وكسر الباء كاسم جده وقيل الزبير ، وهو قول البخارى فى التاريخ .

(٤) يوم بُعث : من أيام العرب الشهيرة وفيه دارت حرب بين قبيلتى الأوس والخزرج

فى يثرب .

اب

يصنع

هب

عليه السلام

على

لك

ثابت

أسد

قتل

قال

قريظ

بالقو

حتى

خالد

عطية

أنبت

أخو

تخار

وسم

٦٠

يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابت رسول الله ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هب لى امرأته وولده ، قال : هم لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لى رسول الله ﷺ أهلك وولدك ، فهم لك ، قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ماله ، قال : هو لك فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسول الله ﷺ مالك ، فهو لك ، قال يا ثابت ، ما فعل الذى كأن وجهه مرآة صينية يترأى فيها عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حُيى بن أخطب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموأل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ، قال : ذهبوا قُتلوا قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فيما أنا بصاير لله فتلة دلو ناضح^(١) حتى ألقي الأربة فقدمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : ألقي الأربة . قال يلقاتهم والله فى نار جهنم خالداً فيها مخلداً .

* قصة عطية ورفاعة بن سموأل القرظيين :

قال ابن إسحاق : وحدثنى شُعْبَةُ بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عُمَيْر ، عن عطية القرظى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يُقتل من بنى قُريظة كل من أنبت منهم^(٢) وكنت غلاماً . فوجدنى لم أنبت . فخلوا سبيلى^(٣) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصَعَةَ أخو بنى عدى بن النجار : أن سلمى بنت قيس ، أم المنذر ، أخت سُلَيْط بن قيس -

(١) الناضح : الحبل . والمعنى مقدار ما يأخذ الرجل الدلو ليصبها فى الحوض .

(٢) أنبت منهم : أى ظهر الشعر على عاتقه وهو من علامات البلوغ .

(٣) وهذا دليل واضح الدلالة على رحمة الإسلام الذى حرّم قتل الشيوخ والنساء التى لم تحارب ، والأطفال الذين لم يبلغوا ، ومن لم يكن فى أرض المعركة ، يالها من أخلاق سامية وسماحة عالية !

وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ ، قد صلت معه القبليتين ^(١) وبايعته بيعة النساء - سألته رفاعة بن سموأل القرظي ، وكان رجلاً قد بلغ : فلاذ بها وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت يا نبي الله ، بأبى أنت وأمى ، هب لى رفاعة فإنه قد رعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ، قال : فوهبه لها ، فاستحيته .

تقسيم الفىء : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين . وأعلم فى ذلك اليوم سهمان الخيل ^(٢) وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفارس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ^(٣) من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسا ، وكان أول فى وقعت فيه السهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة فى المغارى .

ثم بعث رسول الله ﷺ مع سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل سبايا ^(٤) من سبايا بنى قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

إسلام ريحانة : قال : وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة ، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفى عنها وهى فى ملكه ^(٥) ، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله ، بل تتركنى فى ملكك ، فهو أخف على وعليك ، فتركها . وقد كانت حين سباها قد تعصت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله ﷺ ، ووجد فى نفسه لذلك من أمرها ، فبينما هو مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال : إن هذا

(١) أى صلت مع رسول الله ، إلى اتجاه بيت المقدس القبلة الأولى ، ثم عاشت حتى أمر الرسول ﷺ بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة ، وعبارة صلت معه القبليتين تدل على إسلامها المبكر .

(٢) أى جعل للفارس سهمين من الفىء والغنيمة .

(٣) الراجل : أى الذى يسير مترجلاً أى على رجله (قدمه) .

(٤) السبايا : الأسارى .

(٥) أى جاريته وليست بزوجته .

لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة ^(١) ، فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسر ذلك من أمرها .

ما نزل من القرآن في الخندق وبنى قريظة : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في أمر الخندق ، وأمر بني قريظة من القرآن ، القصة في الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾ ^(٢) . والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة ، يقول الله تعالى : ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ﴾ ^(٣) . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾ لقول : معتب بن قشير إذ يقول ما قال : ﴿ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ﴾ لقول أوس بن قيطي وممن كان على رأيه من قومه : ﴿ ولو دخلت عليهم من أقطارها ﴾ أي المدينة ^(٤) .

﴿ ثم سئلوا الفتنة ﴾ أي : الرجوع إلى الشرك : ﴿ لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا ﴾ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا ﴿ فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفسلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين هموا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً ، فذكر لهم الله الذي أعطوا من

(١) وهذا من مبشرات الرسول ومن دلائل نبوته ؛ وصدق الله إذ يقول : ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

(٢) سورة الأحزاب : ٩ .

(٣) سورة الأحزاب : ١٠ .

(٤) قال ابن هشام : الأقطار الجوانب ، وواحد قطر ، وهي الأقطار وواحد قطر .

انظر سيرة ابن هشام .

ابن إسحاق —

أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلاً قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ * قد يعلم الله المعوقين منكم ﴿ : أى أهل النفاق : ﴿ والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون بالبأس إلا قليلاً ﴾ : أى إلا دفعاً وتعذيراً ^(١) : ﴿ أشحّة عليكم ﴾ ، أى للضغن ^(٢) الذى فى أنفسهم . ﴿ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعيينهم كالذى يغشى عليه من الموت ﴾ . أى إعظاماً له وفرقاً منه . ﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد ﴾ ^(٣) أى فى القول بما لا تحبون ، أنهم لا يرجون آخره ، ولا تحملهم حُسبة ^(٤) ، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده .

﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ﴾ قريش وغطفان : ﴿ وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً ﴾ .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ : أى لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به . ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾ : أى صبراً على البلاء وتسليماً للقضاء ، وتصديقاً للحق ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ﴾ : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد .

قال ابن إسحاق : ﴿ ومنهم من ينتظر ﴾ أى ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه . يقول الله : ﴿ وما بدلوا تبديلاً ﴾ أى ما

(١) التعذير : هو فعل الشئ بغير نية كى يعذره الناس .

(٢) الضغن : أى الحقد والغل .

(٣) سورة الأحزاب : الآيات ١١ - ١٩ .

(٤) حُسبة : أى عمل الشئ ابتغاء مرضاة الله وادخار الأجر عند الله .

ابر —

شكوا

بصدق

الذين

القتال

﴿ من

فريقاً

ودياره

قديراً

بسعد

رجال

من جو

فتحت

يجر ثو

حين ما

أبواب

معاذ

عليه

الاستبش

منهم لا

ولا يعد

قال أبو

Contact : jabir.abbas@yahoo.com

http://fb.com/ranajabirabbas

شكوا وما ترددوا في دينهم ، وما استبدلوا به غيره ﴿ ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ * ورد الله الذين كفروا بغيظهم ﴿ أى قريشاً وغطفان : ﴿ لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ﴿ أى بنى قريظة ﴾ من صياصيتهم ﴿ ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن إسحاق : ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ﴾ : أى قتل الرجال ، وسبى الذراري والنساء ، ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها ﴾ : يعنى خيبر ، ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ (١) .

إكرام سعد فى موته : قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى ، قال : حدثنى من شئت من رجال قومي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش (٢) ؟ قال : فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن

(١) سورة الأحزاب : الآيات ٢٠ - ٢٧ .

(٢) حديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفى بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ وفى حديث آخر قال عليه السلام : لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها ، ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك ، وقال عليه الصلاة والسلام : لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد .

وقد تكلم الناس فى معناه ، وظنوا أنه مشكل ، وقال بعضهم : الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه ، وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة ، ولا بعد فيه ، لأنه مخلوق ، وتجاوز عليه الحركة ، والهزة ولا يعدل عن ظاهر اللفظ : ما وجد إليه سبيل ، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح ، قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة ، وما روى من قول البراء بن عازب فى معناه : =

قالت : أقبلت عائشة قافلة ^(١) من مكة ، ومعها أسيد بن حضير ، فلقية موت امرأة له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أصبت بابن عمك ، وقد اهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أنهم عن الحسن البصري ، قال : كان سعد رجلاً بادناً ^(٢) ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين والله إن كان لبادناً وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : إن له حملة غيركم والذي نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني معاذ بن رفاع ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح . عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبَّح رسول الله ﷺ فسبح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، مِمَّ سَبَّحْتَ ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك
وسمعنا به إلا لسعد أبى عمرو
وقالت أم سعد ^(٣) ، حين احتمل نعشه وهى تبكيه :

ويلُ أم سعدٍ سعداً
صرامةً وجَدّاً

= أن سرير سعد اهتز لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا : كانت بين هذين الحين من الأنصار ضغائن ، وفى لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن ، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ، ورواه البخارى من طريق الأعمش عن أبى صالح وأبى سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر منهم ، أبو سعيد الخدرى ، وأسيد بن حضير ، ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذى ، والعجب لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث ، وكراهيته للحدث به مع صحة نقله وكثرة الرواة له لم تصح عن مالك ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ٢ / ٢٨٣ ، وما بعدها .

(١) أى راجعة أو عائدة .

(٢) أى بديناً أو سميناً يريد ضخم الجسم .

(٣) قال ابن هشام : هى كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن الأبحر .

وُسُودِدًا وَمَجْدًا وَفَارِسًا مُعَدًّا
سُدُّ بِهِ مَسَدًا يَقْدِرُ هَامًا قَدًّا

يقول ﷺ : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » (١) .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) وذلك لأنها كانت صادقة في شعورها نحوه وصدقها فيما قالت وما قالته نفاقاً ولا مدحاً لأجل مال أو شهرة وإنما جاءت كلماتها من القلب دون تكلف في رجل يستحق ذلك الرثاء .

الشهداء يوم الخندق

قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر .

من بنى عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ،
وعبد الله بن سهل . ثلاثة نفر .

ومن بنى جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة
ابن غنيمة . رجلان .

ومن بنى النجار ، ثم من بنى دينار : كعب بن زيد ، أصابه سهم غرب (١) ،
فقتله .

* قتلى المشركين :

وقتل من المشركين ثلاثة نفر :

من بنى عبد الدار بن قُصي : مُنْبة بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد
الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يقظة : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ،
سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط فيه فقتل ،
فغلب المسلمون على جسده فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا في جسده ولا
بثمنه ، فخلى بينهم وبينه (٢) .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لُؤى ، ثم من بنى مالك بن حسل :
عمرو بن عبد ود قُتل على بن أبي طالب رضوان الله عليه .

* * *

(١) قال ابن هشام : سهم غرب أى الذى لا يعرف من أين جاء ولا من أين رُمى به .

(٢) وهذا يبين إلى أى مدى عظمة وسماحة الإسلام وعدم التمثيل بالميت .

الشهداء يوم بنى قريظة

قال ابن إسحاق : واستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين ثم من بنى الحارث بن الخزرج ، خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، طُرحت عليه رحي (١) ، فشدخته شدخاً شديداً ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : إن له لأجر شهيدين .

ومات أبو سنان بن مُحْصَن بن حرثان ، أخو بنى أسد بن خزيمية ، ورسول الله ﷺ محاصر بنى قريظة ، فدفن في مقبرة بنى قريظة التي يدفنون فيها اليوم (٢) وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام .

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذى يغزوها « حتى فتح الله عليه مكة » (٣) .

* * *

(١) الرِّحَا : الأداة التى يُطحن بها ، وهى حجران مستديران يوضع أحدهما على الآخر ويدار الأعلى على قطب ، والجمع أرحاء وأرحية . انظر المعجم الوجيز ص ٢٥٩ .

(٢) أى أيام ابن إسحاق .

(٣) وهذه من أعلام ودلائل النبوة أى المبشرات التى حدث بها الرسول ﷺ أنها ستحدث فى المستقبل وحدثت بالفعل كما أخبر .

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبنى قريظة

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

* شعر كعب بن مالك :

- | | |
|--|---|
| (١) بَعْضًا كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمَحْرَقِ | مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يَمْعَمَعُ بَعْضُهُ |
| (٢) بَيْنَ الْمَذَادِ وَبَيْنَ جَزَعِ الْخَنْدَقِ | فَلَتَاتِ مَأْسِدَةٌ تُسْنِ سَيُوفُهَا |
| مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ | دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمَعْلَمِينَ وَأَسْلَمُوا |
| بِهِمْ وَكَأَنَّ بَعْبَهُ ذَا مَرْفَقِ | فِي عَصْبَةٍ نَصَرَ إِلَاهَ نَبِيهِ |
| (٣) كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَتَرَقِرِ | فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخْطُ فُضُولَهَا |
| (٤) حَذَقِ الْجَنَادُ بِذَاتِ شَكِّ مَوْثِقِ | بَيْضَاءَ مُحْكَمَةٍ كَانَتْ قَتِيرَهَا |
| (٥) صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمٌ ذِي رَوْنَقِ | جَدَلَاءَ يَحْفَزُهَا نَجَادٌ مُهَنْدٌ |
| يَوْمَ الْهَيْجِاجِ وَكُلِّ سَاعَةٍ مَصْنُودِ | تَلَكُمُ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسُنَا |
| قُدَمَا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ نُلْحَقِ | نَصْلُ السَّيْفِ إِذَا قَصْرُنَا بِخَطُونَا |
| (٦) بَلَهَ الْأَكْفُ كَأَنَّهَا لَمْ تَخْلُقِ | فَتَرَى الْجَمَاجِمَ ضَاحِيَا هَامَاتَهَا |
| (٧) تَنْفَى الْجُمُوعُ كَقَصْدِ رَأْسِ الْمَشْرِقِ | نَلْقَى الْعَدُوَّ بِفَخْمَةٍ مَلَمُومَةٍ |

- (١) الممععة : صوت اتقاد النار . الأباء : الأغصان الملتفة .
 (٢) المأسدة : المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب . المذاد : مكان حفر الخندق .
 (٣) السابغة : الدروع الكاملة . تخط نضولها : ينجر على الأرض ما راد منها .
 النهي : غدير الماء .
 (٤) القتير : مسامير الدروع . الجنادب : جمع جندب ، نوع صغير من الجراد ، والشك : إحكام في الصنع . مَوْثِقٌ : قوية .
 (٥) الجدلاء : الدرع القوية النسج . يحفزها : يرفعها . النجاد : حمائل السيف .
 رونق السيف : طلاوته وصفاءه وبريقه .
 (٦) بله : اسم فعل بمعنى اترك .
 (٧) الملمومة : المجتمعة . أى كتيبة مجتمعة .

- وَنُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مَقْلَصٍ (١) وَرَدَ وَمَحْجُولُ الْقَوَائِمِ أُبْلَقُ (١)
 تَرْدَى بِفُرْسَانَ كَانَ كَمَا تَهْمُ عِنْدَ الْهَيَاجِ أَسْوَدَ طَلٍّ مَلْتَقٍ (٢)
 صُدُقٌ يُعَاطُونَ الْكُمَاةَ حَتُّوفَهُمْ تَحْتَ الْعِمَايَةِ بِالْوَشِيحِ الْمَزْهَقِ (٣)
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ أَيْضًا :

لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْزَابَ حِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وَرَأَمُوا دِينَنَا مَا نُوَادِعُ
 أَضَامِيمٍ مِنْ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ أَصْفَقْتُ وَخَنْدَقٌ لَمْ يَدْرُوا بِمَا هُوَ وَاقِعٌ (٤)
 يَزُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَتَزُودُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَاءٍ وَسَامِعُ
 إِذَا غَايَظُونَا فِي مَقَامٍ أَعَانَنَا عَلَى غَيْظِهِمْ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَأَسْعُ
 وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فِيْنَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ اللَّهَ ضَائِعُ
 هَدَانَا لِلدِّينِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَاللَّهُ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَائِعُ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ أَيْضًا :

- أَلَا أَبْلَغُ قُرَيْشًا أَنْ سَلَمُوا وَمَا بَيْنَ الْعُرِيضِ إِلَى الصَّمَادِ (٥)
 نَوَاضِحٌ فِي الْحُرُوبِ مُدْرَبَاتٍ وَخَوْضٌ تُقْبِتُ مِنْ عَهْدٍ عَادٍ (٦)
 رَوَاكِدٍ يَزْخُرُ الْمَرَارُ فِيهَا فَلَيْسَتْ بِالْجَمَامِ وَلَا الثَّمَادِ (٧)
 كَانَ الْغَابُ وَالْبَرْدَى فِيهَا أَجَشُّ إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ (٨)
 وَلَمْ نَجْعَلْ تِجَارَتَنَا اشْتِرَاءَ حَمِيرٍ لِأَرْضِ دُوسٍ أَوْ مَرَادٍ
 بِلَادٍ لَمْ تُثَرِّ إِلَّا لَكَيْمًا نَجَالِدُ إِنْ نَشِطْتُمْ لِلْجَلَادِ

- (١) مقلص : الفرس الخفيف . والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة . ومحجول
 القوائم : في قوائمه بياض . (٢) الطل : المطر الضعيف .
 (٣) العماية : ظلمة الغبار . الوشيح : الرماح .
 (٤) أضاميم : جماعات ، أصفقت : اجتمعت على أمر .
 (٥) سلع : جبل بالمدينة . والعريض : واد بالمدينة .
 (٦) نواضح : حدائق تسقى بالنضح . خوص : آبار ضيقة .
 (٧) المرار : نهر . الجمام : الآبار كثيرة الماء . الثماد : الماء القليل .
 (٨) الأجش : العالي الصوت . تبقع : صار فيه بقع علامة النضج .

- أثرنا سكة الأتباط فيها
قصرنا كل ذي حُضرٍ وطول
أجيبونا إلى ما نجتديكم
ولا فاصبروا لجلاد يوم
نُصبحكم بكل أخى حروب
وكل طمرة خفق حشاها
وكل مقلص الآراب نهد
خيول لا تُضَاع إذا أُضِيعَتْ
يُنَارَعْنَ الأعِنَّة مُصْغِيَاتُ
إذا قالت لنا النذر استعدوا
وقلنا لن يفرج ما لقينا
فلم تر عَصْبَةً فيمن لقينا
أشد بسالة منا إذا ما
إذا ما نحنُ أشرجنّا عليها
قدفنا في السوابغ كل صقرٍ
- فلم تر مثلها جلهاتٍ وادٍ (١)
على الغايات مُقْتَدِرِ جَوَادٍ (٢)
من القول المبين والسداد (٣)
لكم منا إلى شطر المذاد (٤)
وكل مطهّم سلس القياد
تدف دفيف صفراء الجراد (٥)
تميم الخلق من أخر وهادى (٦)
خيول الناس في السنة الجماد
إذا نادى إلى الفزع المنادى
توكلنا على رب العباد
سوى ضرب القوانس والجهاد (٧)
من الأقوام من قار وبادى
أردناه وألين فبى الوداد
جياذ الجدل فى الأرب الشداد (٨)
كريم غير معتك الزناد

(١) السكة : النخيل المصطف . جلهات وادى . ما كشفت عنه السيول فأبرزته .

(٢) الحضر : الجرى . وذو الحضر : يريد الخيل .

(٣) نجتديكم : نسألکم .

(٤) الشطر : الناحية . والمذاد : حيث حفر الخندق بالمدينة .

(٥) الطمرة : الفرس الوثوب القوية . تدف : تقول دف الطائر : إذا حرك جناحيه .

صفراء الجراد : هى التى ألقت بيضها فهى خفيفة فى طيرانها .

(٦) المقلص : الشديد . الآراب : قطع اللحم . النهذ : الغليظ ، والهادى : العنق .

أى : كريم من أوله إلى آخره .

(٧) القوانس : أعالى بيض الحديد .

(٨) أشرجنا : ربطنا ، الجدل : الدروع المحكمة النسج ، الأرب : العقد الشديدة .

أَشْمُ كَأَنَّهُ أَسْدٌ عَبُوسٌ
يَغْشَى هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَذْكُورِ
لِنُظْهِرَ دِينُكَ اللَّهُمَّ إِنَّا
* رثاء مسافع عمرو بن عبد ود :

قال ابن إسحاق : وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن جذافة بن جمح ،
يبكى عمرو بن عبد ود ، ويذكر قتل على بن أبي طالب إياه :

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ كَانَ أَوَّلُ فَارِسٍ
سَمِعَ الْخَلَّاقَ مَا جَدُّ ذُو مَرَّةٍ
وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ وُلُّوا عَنْكُمْ
حَتَّى تَكْنُفَهُ الْكُمَاةُ ، وَكُلُّهُمْ
وَلَقَدْ تَكْنُفَتْ الْأَسِنَّةُ فَارِسًا
تَسْلِي التَّرَالِ عَلَى فَارِسٍ غَالِبٍ
فَازْهَبْ عَلَى فَمَا ظَفَرَتْ بِمِثْلِهِ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِفَارِسٍ مِّنْ غَالِبٍ
أَعْنَى الَّذِي جَزَعَ الْمَذَادَ بِمَهْرِهِ

جَزَعَ الْمَذَادَ وَكَانَ فَارِسٍ يَكْلِيلُ (٢)
يَبْغَى الْقِتَالَ بِشَكْوَةٍ لَمْ يَنْكُلِ
أَنَّ ابْنَ عَبْدِ فِيهِمْ لَمْ يَعْجَلِ
يَبْغَى مَقَاتِلَهُ وَلَيْسَ بِمُؤْتَلَى (٣)
بِجَنُوبِ سَلْعٍ غَيْرِ نَحْسٍ أَمِيلِ
بِجَنُوبِ سَلْعٍ ، لَيْتَهُ لَمْ يَنْزِلِ
فَخَرًّا وَلَا لَاقِيَتْ مِثْلَ الْمُغْضِلِ
لَاقَى حِمَامَ الْمَوْتِ لَمْ يَتَحَلَّحْ (٤)
طَلَبًا لِنَارٍ مَعَاشِرَ لَمْ يَخْذُلِ

• هُبَيْرَةُ يُرْثِي عَمْرُو بْنَ عَبْدِ وَدَّ :

قال ابن إسحاق : وقال هبيرة بن أبي وهب يعتذر عن فراره ، ويبكى عمرو
ويذكر قتل على إياه :

لَعَمْرِي مَا وَلَيْتَ ظَهْرِي مُحَمَّدًا
وَلَكِنِّي قَلْبْتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ
وَأَصْحَابَهُ جُبْنَا وَلَا خِيفَةَ الْقَتْلِ
لِسَيْفِي غَنَاءٌ إِنْ ضَارِبَتْ وَلَا نَبْلِي

(١) المذكى : شديد القوة ، صبي السيف : وسطه ، النجاد : حمائل السيف .

(٢) جزع : أى قطع ، المذاد : مكان بالمدينة حيث بُنى الخندق ، يلليل : واد فى بدر .

(٣) ليس بمؤتلى : أى ليس بمقصر . (٤) لم يتحلل : أى لم يتزحزح ولم يهرب .

وَقَفْتُ فَلَمَّا أَجِدُ لِي مَقْدَمًا صَدَرْتُ كَضَرْغَامٍ هَزْبَرِ أَبِي شَبَلٍ (١)
 ثَنَى عَظْفُهُ عَنْ قَرْنِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ مَكْرًا وَقَدَمًا كَانَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِي
 فَلَا تَبْعُدَنَّ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا وَحَقَّ لِحُسْنِ الْمَدْحِ مِثْلُكَ مِنْ مِثْلِي
 وَلَا تَبْعُدَنَّ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا فَقَدْ بَنَتْ مَحْمُودُ الثَّنَا مَا جَدَ الْأَصْلَى (٢)
 فَمَنْ لَطَرَا الْحَيْلِ تَقْدَعُ بِالْقَنَى — وَلِلْفَخْرِ يَوْمًا عِنْدَ قَرْقَرَةِ الْبَزْلِ (٣)
 هُنَالِكَ لَوْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ لَزَارِهَا وَقَرَجَهَا حَقًّا فَتَى غَيْرَ مَا وَغَلٍ (٤)
 فَعَنِكَ عَلَى لَا أَرَى مِثْلَ مَوْقِفِ وَقَفْتُ عَلَى نَجْدِ الْمَقْدَمِ كَالْفَحْلِ (٥)
 فَمَا ظَفَرْتُ كَفِّكَ فَخْرًا بِمِثْلِهِ أَمَنْتَ بِهِ مَا عَشْتِ مِنْ زَلَةِ النَعْلِ (٦)
 * فَخْرُ حَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ بِقَتْلِ عَمْرُو:

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا في شأن عمرو بن عبد ود :

أَمْسَى الْفَتَى عَمْرُو بْنُ عَبْدِ يَبْتَغَى بَجَنُوبٍ يَشْرِبُ ثَارَهُ لَمْ يَنْظُرِ
 فَلَقَدْ وَجَدَتْ سَيُوفُنَا مَشْهُورَةً وَلَقَدْ وَجَدَتْ جِيَادَنَا لَمْ تُقْصِرْ
 وَلَقَدْ لَقِيتَ غَدَاةَ بَدْرِ عَصْبَةٍ ضَرْبُوكَ ضَرْبًا غَيْرَ ضَرْبِ الْحَسْرِ (٧)
 أَصْبَحْتَ لَا تُدْعَى لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ يَا عَمْرُو أَوْ لِحَسْبِ أَمْرِ مُنْكَرٍ
 قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

(١) الهزبر : الشديد القوى ، الشبل : ولد الأسد .

(٢) الثنا : السيرة الحسنة والذكرى الطيبة .

(٣) قرقرة البزل : أصوات الإبل الكريمة .

(٤) الوغل : الفاسد .

(٥) عنك : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد .

(٦) الحق يقال أن كل ما قيل من شعر تمجيداً ومدحاً في عمرو بن عبد ود كان بحق

شهادة تقدير للإمام على كرم الله وجهه ، ورضى عنه - ودليلاً على بطولته وشجاعته ، وأنه

كان نصيراً للإسلام ومثله كل صحابة رسول الله ﷺ .

(٧) الحسر : أى الذى لا درع له .

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا هِذْمٍ رَسُـوْلًا
مُغْلَغَلَةً تَخِبُ بِهَـا الْمَطِيُّ (١)
أَكُنْتُ وَلِيكُمْ فِي كُلِّ كُرْهٍ
وَمِنْكُمْ شَهِيدٌ وَلَقَدْ رَأَيْتُ
* حَسَانَ يَبْكِي سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في يوم بني قريظة يبكي سعد بن معاذ ويذكر حكمه فيهم :

لَقَدْ سَجَمْتُ مِنْ دَمْعِ عَيْنِي عِبْرَةً
قَتِيلِ ثَوِي فِي مَعْرَكٍ فَجَعْتُ بِهِ
عَلَى مَلَّةِ الرَّحْمَنِ وَارِثَ جَنَّةٍ
فَإِنْ تَكُ قَسْدٌ وَدَعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا
فَأَنْتَ الْوَلَدِيُّ يَا سَعْدُ أَبْتَ بِمَشْهَدٍ
بِحُكْمِكَ فِي حَيِّ قُرَيْظَةَ بِالَّذِي
فَوَافِقَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمُكَ فِيهِمْ
فَإِنْ كَانَ رَبُّ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأَلَى
فَنَعَمْ مَصْنِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دَعَوْا
وَحَقَّ لَعِينِي أَنْ تَفِيضَ عَلَى سَعْدٍ
عُيُونُ ذَوَارِي الدَّمْعِ دَائِمَةُ الْوَجْدِ (٢)
مَعَ الشَّهْدَاءِ ، وَفَذَهَا أَكْرَمَ الْوَفْدِ
وَأَمْسَيْتُ فِي غُيْرَاءَ مَظْلَمَةِ اللَّحْدِ
كَرِيمٍ وَأَثْرَابِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ
قَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ
وَكَمْ تَعَفَّ إِذْ ذُكِرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدٍ
شَرَوْا هَـذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَاتِهَا الْخُلْدِ
إِلَى اللَّهِ يَوْمًا لِلْوَجَاهَةِ وَالْقَصْدِ

* * *

(١) المغلغلة : الرسالة الخطية المحمولة من بلد إلى بلد .

(٢) ذواري : أى ساكنة .

مَقْتَلُ سَلَامٍ بن أَبِي الْحَقِيقِ (١)

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق ، وأمر بنى قريظة ، وكان سلام بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب (٢) على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف ، في عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق ، وهو بخير فآذن لهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبد الله ابن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله به لرسول الله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام . قال : فلا يتتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ ، قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبداً ، قال : فتذكروا : من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق ، وهو بخير فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله ، فآذن لهم .

الذين قتلوا ابن أبي الحقيق :

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة ، الحارث بن ربيع ، وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا

(١) كان من اليهود المعاندين أشد العناد والمعادين أشد العداوة لرسول الله ﷺ وللمسلمين فأراحهم الله منه .

(٢) حزب الأحزاب : أي هو الذي تسبب في جمعهم ضد الرسول وتآليهم عليه .

دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله ، قال :
 وكان في عليّة له إليها عجلة ^(١) قال : فأسندوا فيها ، حتى قاموا على بابه فاستأذنوا
 عليه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ناسٌ من العرب نلتمس
 الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا
 علينا وعليها الحجرة ، تخوفاً أن تكون دونه مجاورة تحول بيننا وبينه ، قالت :
 فصاحت امرأته فنوّهت ^(٢) بنا وابتدروا ، وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلنا
 عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ^(٣) ملقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ،
 جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهى رسول الله ﷺ فيكف يده ^(٤) ،
 ولولا لذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن
 أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قَطْنِي قَطْنِي : أي حسبي حسبي ،
 قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر قال : فوقع من الدرجة
 فوثئت ^(٥) يده وثناً شديداً ^(٦) ، وحملناه حتى نأتى به منهراً من عيونهم ، فدخل
 فيه . قال : فأوقدوا النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا قال : حتى إذا يثسوا
 رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضي بينهم . قال فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن
 عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم فانطلق حتى دخل
 في الناس ، قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في
 وجهه ، وتحديثهم وتقول أما والله فلقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكذبت نفسي

(١) العجلة : جذع النخلة ينقر في أماكن منه للصعود عليه .

(٢) نوّهت : شهرت .

(٣) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع في مصر .

(٤) وهنا يتضح لنا جلياً كيف كان الصحابة يطبقون تعاليم الإسلام ورسول الإسلام
 دون تزيّد منهم أو اجتهاد ، ويتضح أيضاً مدى ورعهم وتقواهم في تنفيذ ما أمرهم به
 الرسول ﷺ .

(٥) وثئت : أي أصابت اللحم فقط ولم تصب العظم .

(٦) قال ابن هشام : وثئت رجله .

ابن إسحاق —

وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت ، فاظ (١)
 وإله يهود ، فما سمعت من كلمة كانت ألد إلى نفسى منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر
 فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا
 عنده فى قتله ، كلنا يدعيه . قال : فقال رسول الله ﷺ هاتوا أسايكم ،
 قال : فجئناه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس ، هذا قتله ، أرى فيه أثر
 الطعان (٢) .

* شعر حسان فى قتل ابن الأشرف وابن أبى الحقيق :

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن
 الأشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق :

يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف لله در عصاة لاقيتهم
 مرحا كاسد فى عرين معرف (٣) يسرون بالبيض الخفاف إليكم
 فسقوكم حنفا بيض ذقف حتى أتوكم فى محل بلادكم
 مستصغرين لكل أمر مجحف مستبشرين لنصر دين نبيهم

* * *

(١) أى مات .

(٢) وهذا يبين مدى ذكاء وفطنة وفراسة النبى ﷺ .

(٣) أى ملتف بالأغصان ومحصن .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي ، قال حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجلا من قريش ، كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرًا ، وإنني قد رأيت أمرًا ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم ^(١) ، فجمعنا له أدما كثيرًا ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ^(٢) ، أهديت إلي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدما كثيرًا ، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطينيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه ، ثم

(١) الأدم : الجلد المدبوغ .

(٢) كان عمرو يسافر كثيرا إلى الحبشة ويأخذ معه هدايا للنجاشي فصار معروفاً وكان يكرمه ويحسن ضيافته .

قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، إنه كذلك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أظعنى واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهروا على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ^(١) ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ^(٢) .

المشرك

* اتفاق عمرو وخالد على الإسلام :

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ^(٣) ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ^(٤) . قال : والله لقد استقام المنسم ^(٥) وإن الرجل لنبي ، أذهبُ والله فأسلم فحتى متى ، قال : قلت والله ما جئت إلا لأسلم قال : فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ فتقدم خالد ابن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر ، قال : فقال رسول الله ﷺ يا عمرو بايع ، فإن الإسلام يَجِبُ ^(٦) ما كان قبله ، وأن الهجرة تَجِبُ ما كان قبلها ، فبايعته ، ثم انصرفت .

* إسلام عثمان بن طلحة :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، كان معهما ، أسلم حين أسلما .

(١) وهذا دليل على أن النجاشي كان مسلماً وقتها ، ولذلك لما مات صلى الرسول ﷺ عليه صلاة الغائب ، وأمر من معه من المسلمين بالصلاة عليه .

(٢) ليس خوفاً منهم ولكن حتى لا يضغطوا عليه ويجعلوه يرجع عن الإسلام بعدما تبين له أنه الحق مما عرفه من النجاشي .

(٣) أي فتح مكة .

(٤) كنية خالد بن الوليد .

(٥) أي تبين الأمر .

(٦) أي يحو ، والمراد ليس عليك ذنب مما مضى .

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزبير السهمي :

أنشد عثمان بن طلحة حلفنا
وما عقد الأبناء من كل حلفه
أفتاح بيت غير بيتك تبتغي
فلا تأمن خالداً بعد هذه
وملقى نعال القوم عند المقبل^(١)
وما خالد من مثلها بمحليل
وما يبتغي من مجد بيت مؤثر
وعثمان جاء بالدهيم المعضل^(٢)

وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة ، وولى تلك الحجة
المشركون .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) المقبل : موضع الحجر الأسود .

(٢) الدهيم : أى الداهية .

غزوة بنى لحیان

* خروج النبي ﷺ إلى بنى لحیان :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهرى ربيع ، وخرج فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بنى لحیان يطلب بأصحاب الرجيع ^(١) : خبيب بن عدى وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة ^(٢) .

قال ابن إسحاق : فسلك على غراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على محيص ، ثم على البتراء ، ثم صفق ^(٣) ذات اليسار ، فخرج على بين ، ثم على صحيرات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ ^(٤) السير سريعًا ، حتى نزل على غران ، وهى منازل بنى لحیان ، وجران واد بين أمج وعسفان ، إلى بلد يقال له : ساية ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رؤوس الجبال ، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غرتهم ما أراد . قال : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة ، فخرج فى مثنى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ، ثم كر وراح رسول الله ﷺ قافلا .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعًا : آيئون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعشاء السفر ^(٥) وكآبة ^(٦) المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال .

(١) وهم من خيرة القراء قتلوهم يوم الرجيع .

(٢) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

(٣) صفق : عدل . (٤) أغذ : أسرع .

(٥) وعشاء السفر : شدته .

(٦) الكآبة : الحزن .

والحديث في غزوة بني لحيان ، عن عاصم بن عمرو بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان :

- | | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| لو أن بني لحيان كانوا تناظروا | لقوا عصبا في دارهم ذات مصدق (١) |
| لقوا سرعانا يملا السرب روعه | أمام طحون كالمجرة فيلق (٢) |
| ولكنهم كانوا وبارا تتبعت | شعاب حجاز غير ذي متنفق (٣) |

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

-
- (١) تناظروا : انتظرونا ، العصب : الجماعات .
 (٢) سرعان : من يتقدمون الجيش ، السرب : الطريق ، الطحون : الكتيبة الضخمة ،
 المجرة : مجموعة من النجوم ، الفيلق : الكتيبة .
 (٣) الوبار : جمع وبر وهي دويبة صغيرة تشبه الهرة ، المتنفق : الذي له منفذ
 ينفذ منه .

غزوة ذي قرد

* سبب الغزوة :

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يقيم بها إلا ليالي قلائل ، حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، في خيل من غطفان على لقاح (١) لرسول الله ﷺ بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح .

* ما حدث لابن الأكوع :

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كل قد حدث عن غزوة ذي قرد بعض الحديث : أنه كان أول من نذر (٢) بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، غدا (٣) يريد الغابة متوشحاً قوسه (٤) ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سلع (٥) ، ثم خرج يشتد في آثار القوم ، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم ، فجعل يردهم بالنبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع ، فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضع ، قال : فيقول قائلهم : أو يكعنا هو أول النهار .

* تسابق الفرسان :

قال وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الفزع فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ .

(١) اللقاح : الإبل الحوامل . (٢) نذر : علم .

(٣) غدا : أي ذهب مبكراً ، الغداة أول النهار .

(٤) متوشحاً قوسه : أي حامله مستعداً للقتال .

(٥) سلع : اسم جبل قريب من المدينة .

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو ، وهو الذي يقال له : المقداد بن الأسود ، حليف بنى زهرة ثم كان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار ، عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء أحد بنى عبد الأشهل وسعد بن زيد أحد بنى كعب بن عبد الأشهل وأسيد بن ظهير ، أخو بنى حارثة بن الحارث ، يشك فيه ، وعكاشة بن محصن أخو بنى أسد ابن خزيمه ، ومحرز بن نضلة أخو بنى أسد بن خزيمه ، وأبو قتادة الحارث بن ربيع ، أخو بنى سلمة ، وأبو عياش ، وهو عبيد بن زيد بن الصامت أخو بنى زريق ، فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمر عليهم سعد بن زيد فيما بلغنى ، ثم قال : اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس .

* نصيحة الرسول لأبى عياش :

وقد قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى عن رجال من بنى زريق ، لأبى عياش : يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله ، أنا أفرس الناس ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرى بى خمسين ذراعاً حتى طرختنى ، فعجبت أن رسول الله ﷺ يقول : لو أعطيته أفرس منك ، وأنا أقول أنا أفرس الناس ، فزعم رجال من بنى زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبى عياش معاذ بن ماعص . أو غائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وكان ثامنا ، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أسيد بن ظهير ، أخا بنى حارثة والله أعلم أى ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ فارسا ، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجله . فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا .

محرز بن نضلة ومقتله : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرو بن قتاده : أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، أخو بنى أسد بن خزيمه - وكان يقال لمحرز : الأخرم ، ويقال له قمير ، وأن الفزع لما كان . جال فرس لمحمود بن مسلمة فى الحائط ، حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرسا صنيعا جاما ، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل ، حين رأين الفرس يجول فى الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه : يا قمير ، هل لك فى أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطينه إياه . فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذ الخيل بجمامه ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال :

قفوا يا معشر بنى اللكيعة ^(١) حتى يلحق بكم من وراءكم من أديباركم من المهاجرين والأنصار . قال : وحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس ، فلم يقدر عليه حتى وقف على آرية ^(٢) من بنى عبد الأشهل فلم يقتل من المسلمين غيره .

* أفراسُ المسلمين :

قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللمة ^(٣) .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرراً إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن ، يقال له الجناح ، فقتل محرراً واستلب الجناح .

* قتلى المشركين :

قال ابن إسحاق : فإذا حُبِبَ مُسْجَى ببرد أبى قتادة ، فاسترجع الناس ^(٤) وقالوا قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله ﷺ ليس بأبى قتادة ، ولكنه قتل أبى قتادة وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه ^(٥) .

* ما قيل من شعر يوم ذى قرد :

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي ، في يوم ذى قرد : لعينة ابن حصن ، وكان عينة بن حصن يكنى بأبى مالك :

فَهَلَّا كَرَّرْتَ أَبَا مَالِكٍ وَخَيْلُكَ مُذْبِرَةٌ تُقْتَلُ
ذَكَرْتَ الْإِيَابَ إِلَى عَسْجَرٍ وَهِيَ هَاتِ قَدْ بَعْدَ الْمَقْفَلِ ^(٦)

(١) اللكيعة : اللثيمة .

(٢) يقصد بالآرية هنا الموضع الذى يربط به الفرس .

(٣) اللمة : أى الشديدة .

(٤) المقصود بالناس هنا أى المسلمون ، استرجعوا : قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٥) أى أنه الذى قتله .

(٦) عسجر : موضع قريب من مكة .

وَطَمَنْتَ نَفْسَكَ ذَا مِيعَةٍ مَسَحَ الْفَضَاءَ إِذَا يُرْسَلُ (١)
 إِذَا قَبَضَتْهُ إِلَيْكَ الشَّمَا لَ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَ الْمَرْجَلُ
 فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الْإِلَهِ هِ لَمْ يَنْظُرَ الْآخِرَ الْأَوَّلُ
 عَرَفْتُمْ فَوَارِسَ قَدْ عَوَّدُوا طُرَادَ الْكُمَاةِ إِذَا أَسْهَلُوا (٢)
 إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشْقَى بِهِمْ فَضَّاحًا وَإِنْ يَطْرُدُوا يَنْزِلُوا
 فَيَعْتَصِمُوا فَوَى سَوَاءَ الْمَقَا مَ بِالْبَيْضِ أَخْلَصَهَا الصِّقْلُ

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

(١) ذامِعة : ذو نشاط ، المسح : كثير الجري .
 (٢) أسهلوا : أى نزلوا السهل .

غزوة بنى المصطلق فى شعبان سنة ست

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة ^(١) ، فى شعبان سنة ست .

سببها : قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كلٌ قد حدثني بعض حديث بنى المصطلق ، وقالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله ﷺ . فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له : المريسيع ^(٢) ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

إصابة ابن صبابه خطأ : وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر . يقال له : هشام بن صبابه ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

الفتنة بين المهاجرين والأنصار : فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار ، يقال له : جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسانان بن وبر ^(٣) الجهنى ، حليف بنى عوف بن

(١) وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة ، فجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصلح وهو رفع الصوت .

(٢) المريسيع ، وهو ماء لخزاعة ، وهو من قولهم : رسعت عين الرجل : إذا دمعت من فساد .

(٣) وقيل إنه : سنان بن تميم ، من جهينة بن سود بن أسلم حليف الأنصار . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ٣ / ١٥ .

ابن
الخزرج
معشر
قومه
فى با
ياكلك
حضر
وقاس
فسمع
الله
ابن
محم
عليه
حين
به
أص
الرج
إنها
ينبغي
ثلاثة
فى
إلا
الشر
فإنه
بالإ

الخزرج على الماء ، فاقْتَتَلَا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ^(١) : فغضب عبد الله بن أبي ابن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أو قد فعلوها ، قد نافرونا وكثرونا في بلادنا ، والله ما أعدنا وجلايب قريش ^(٢) إلا كما قال الأوك : سَمْنُ كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ . ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مر به عباد ابن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذن بالرحيل ، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرحل فيها ، فارتحل الناس .

نفاق ابن أبي : وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قال ، ولا تكلمت به . وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ، حدبا على ابن أبي ابن سلول ودفعاً عنه .

(١) وفي الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما قال : دعوها فإنها منتنة ، يعني : إنها كلمة خبيثة ، لأنها من دعوى الجاهلية ، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً واحداً ، فإنما ينبغي أن تكون الدعوة يا للمسلمين ، فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداءً بأبي موسى الأشعري في جلده النابغة الجعدي خمسين سوطاً حين سمع يا لعامر ، فأقبل يشتد بعصبة له .
والقول الثاني : إن فيها الجلد دون العشرة لنهييه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا في حد .

والقول الثالث : اجتهد الإمام في ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد .
فإن قيل : إن النبي ﷺ لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها ؟ قلنا : قد قال دعوها فإنها منتنة ، فقد أكد النهي ، فمن عاد إليها بعد هذا النهي ، وبعد وصف النبي ﷺ لها بالإتيان وجب أن يؤدب .
(٢) لفظ أطلقته قريش على المهاجرين .

* لقاء أسيد بن حضير برسول الله ﷺ :

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يا نبي الله ، والله لقد رحت في ساعة مبكرة ، ما كنت تروح في مثلها ، فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبي ، قال : وما قال ؟ قال زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، وهو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال : يا رسول الله أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وأن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه يرى أنك قد أسلبته ملكاً ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً وإنما فعل رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أبي .

* ما فعله عبد الله بن عبد الله بن أبي :

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة ، أن عبد الله أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي (١) فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به (٢) فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخرز ما كان لها من رجل أبر ، بوالده مني ، وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس ، فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار (٣) ، فقال رسول الله ﷺ : بل تفرق به ونحسن صحبته ما بقي معنا (٤) .

مُخَادَعَةُ مَقِيس : قال ابن إسحاق : وقدم مَقِيس بن صَبَابَة من مكة مسلماً ،

(١) أي أبيه . (٢) أي مرني بقتله .

(٣) وهنا يتضح قوة إيمانه وتمسكه بدينه .

(٤) من أجل الولد الصالح المؤمن عفى الرسول ﷺ عن أبيه الكافر ، ومن هنا نعلم أن الولد الصالح ينفع والديه في الدنيا وفي الآخرة ، وصدق رسول الله ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » والمقصود بالولد : الذكر والأنثى .

فيما يظهر فقال : يا رسول الله ، جئتكم مسلما ، وجئتكم أطلب دية أخى ، قتل خطأ .
فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابه ، فأقام عند رسول الله ﷺ
غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدًا ، فقال فى شعر
يقوله :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ مَاتَ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا تَضَرَّجَ ثَوْبِيهِ دِمَاءُ الْأَخْدَاعِ (١)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تَلَمَّ فَتَحْمِينِي وَطَاءَ الْمُضَاجِعِ
حَلَلْتُ بِهِ وَتَرَى وَأَدْرَكْتَ تُورَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
ثَأَرْتُ بِهِ فَهَرًّا وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ سُرَاةَ بَنَى النِّجَارِ أَرْبَابَ فَارِعِ (٢)
وقال مقيس بن صبابه أيضا :

جَلَّلْتُهُ ضَرْبَةً بَاتَ لَهَا وَشَلَّ مِنْ نَافِعِ الْجَوْفِ يَعْلُوهُ وَيَنْصَرِمُ
فَقَلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسْرَتَهُ لَا تَأْمَنُ بَنَى بَكْرٍ إِذَا ظَلَمُوا

قتلى بنى المصطلق : قال ابن إسحاق : وأصيب من بنى المصطلق يومئذ
ناس ، وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين ، مالكا وابنه ، وقتل عبد الرحمن بن
عوف رجلا من فرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أحيمر .

جويرية بنت الحارث رضى الله عنها : وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم
سبيا كثيرا ، فشا قسمه فى المسلمين ، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية
بنت الحارث بن أبى ضرار ، زوج رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ،
عن عائشة ، قالت : لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق ، وقعت جويرية
بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على

(١) الأخداع : يريد الأخدعان : وهما عرقان بالقفا .

(٢) فارع : حصن لبى النجار بالمدينة .

نفسها ^(١) وكانت امرأة حلوة ملاحه ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأنت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابها ^(٢) ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيته على باب حجرتي فكرهتها ^(٣) وعرفت أنه سيري منها ﷺ ما رأيته . فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ، ما لم يخف عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي ، قال فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت وما هو يا رسول الله قال : أقضى عنك كتابتك ^(٤) وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت ^(٥) .

قالت ^(٦) : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما بأيديهم ^(٧) قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

(١) كاتبتة على نفسها : أى عقدت عقداً بينها وبينه على أن تدفع له مبلغاً معيناً ثم يعتقها ويطلق سراحها .

(٢) أى تطلب منه المساعدة بالمال .

(٣) أى غارت منها : لخوفها أن يعطف عليها الرسول ﷺ ويتزوجها ويعتقها .

(٤) أى أدفع عنك ما اتفقت على دفعه .

(٥) وكان نظره ﷺ لجويرية حتى عرف من حسننها ما عرف ؛ فإنما ذلك لأنها امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ؛ لأنه لا يكره النظر إلى الإماء ، وجائز أن يكون نظر إليها لأنه نوى نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التي قالت له : إني قد وهبت لك نفسي يا رسول الله ، فصعد فيها النظر ثم صوب ثم أنكحها غيره ، وقد ثبت عنه ﷺ الرخصة في النظر للمرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة : « اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » .

(٦) أى عائشة : وهى التى تروى هذا الحديث .

(٧) أرسلوا ما بأيديهم : أى أطلقوا سراح من أسروهم من بني المصطلق لأجل السيدة

جويرية رضى الله عنها .

* وجوب التأكد من الأخبار :

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أن رسول الله ﷺ بعث إليهم ^(١) بعد إسلامهم : الوليد بن عقبة بن أبي معيط فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ^(٢) فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ^(٣) ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم رسول الله ﷺ بأن يغزوهم فيبناهم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله : سمعنا برسولك حين بعثته إلينا : فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر ^(٤) راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقتله ، والله ما جئنا لذلك ^(٥) ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ * واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ٠٠٠ ﴿ ^(٦) إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، كما حدثني من لا أتهم عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ، حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة في سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

* * *

(١) أى إلى بنى المصطلق .

(٢) أى خافهم .

(٣) وهذا ظن منه واعتقاد لم يتثبت منه .

(٤) أى أسرع راجعاً .

(٥) ومن هنا وجب التأكد من الأخبار حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه بسبب الفهم

الخطأ .

(٦) سورة الحجرات : الآيات ٦ - ٧ .

خَبَرُ الْإِفْكَ ^(١) فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمِصْطَلِقِ

* إقْرَاعُ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ نِسَائِهِ عِنْدَ السَّفَرِ :

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهري عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جبير عن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كلُّ قد حدثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى ^(٢) له من بعض ، وقد جمعت لك الذي حدثني القوم .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا يحدث بعضهم مالم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه ، فخرج بي رسول الله ﷺ .

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق ^(٣) لم يهجهن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رحل لي بعيري جلست في هودجي ^(٤) ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، وجه قافلا ^(٥) ، حتى إذا كان قريبا من المدينة فنزل

(١) الإفك : أى الكذب والخداع ، واختلاق الأحاديث الكاذبة .

(٢) أوعى : أى أحفظ من غيره وأوثق منه .

(٣) العلق : جمع علقة ، وهو ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية .

(٤) الهودج : عبارة عن صندوق ، كان مخصصا للنساء يجلسن فيه وهو مغلق من جميع النواحي ما عدا ناحية الدخول وإذا أغلقت لم ير منها شيء ويوضع فوق الناقة أو الجمل .

(٥) قافلا : راجعاً .

منزلا
وخر
انسل
أجد
فالت
فرغ
البعير
الناس

قد ا
الس
الناس
عليه

تكن
ابن

يسق
الإف
يرت
وذ
أست
حد
رجا

منزلاً ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي ^(١) ، وفي عنقي عقد لى ، فيه جزع ظفار ^(٢) ، فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتسمه في عنقي ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه ، فالتسمته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه ^(٣) ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب . قد انطلق الناس .

* صفوان يحمل عائشة على بعيره :

قالت : فتلففت بجلبابى ، ثم اضطجعت فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افتقدت لرُجع إلىَّ قالت : فوالله إنى لمضطجعة إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ^(٤) ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى ^(٥) ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى . قيل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رأتى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، طعينة رسول الله ﷺ !

(١) أى لقضاء حاجتها .

(٢) الجزع : الخرز ، ظفار : مدينة ينسب إليها هذا الخرز .

(٣) وذلك لأنها - ﷺ - وكانت خفيفة الحمل ، لدرجة أنهم حملوا الهودج ولم تكن فيه فلم يعرفوا ولم يدركوا أنها ليست بداخله .

(٤) وهو صفوان بن ربيعة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهسة ابن سليم السلمى . الذكوانى ، يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساق العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإفك ما قالوا ، وقد روى فى تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان ثقیل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحة هذا حديث أبى داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلى النبى ﷺ وذكرت أشياء منها أنه لا يصلى الصبح ، فقال صفوان : يا رسول الله إنى امرؤ ثقیل الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمس ، فقال له النبى ﷺ : فإذا استيقظت فصل ، وقد ضعف البزار حديث أبى داود هذا فى مسنده ، وقتل صفوان بن المعطل شهيداً فى خلافة معاوية ، واندقت رجله يوم قتل فطاعن بها وهى منكسرة حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمطاط .

(٥) أى شخصى .

ابن إسحاق —

وأنا متلفة في ثيابي : قال : ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرب البعير ، فقال : اركبي ، واستأخر عني . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير . فأنطلق سريعا ، يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت ^(١) حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي ، فقال أهل الإفك ^(٢) ما قالوا ، فارتعج ^(٣) العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك ^(٤) .

* الرسول يهجر عائشة :

ثم قدمنا المدينة ، فلم ألث أن اشتكيت شكوى شديدة ^(٥) ، ولا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ ، وإلى أبوي لا يذكرون لي منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي ، كنت إذا اشتكيت رحمني ، ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك : فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليّ وعندى أمي تمرضني ^(٦) قال : كيف تيكمن ^(٧) ، لا يزيد علي ذلك .

* عائشة تغادر بيت الرسول ﷺ إلى بيت أبيها :

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وجدت في نفسي ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائه لي : لو أذنت لي ، فانتقلت إلى أمي ، فمرضتني ؟ قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمي ، ولا علم لي بشيء مما كان ^(٨) ، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عربا لا نتخذ في بيوتنا هذه

- (١) أي لم يشعر أحد بعدم وجودي في اليهودج وتخلي عنهم .
- (٢) وهم الكذابون الذين رموها بالفحش وهي أظهر نساء العالمين رضي الله عنهن .
- (٣) ارتعج : اضطرب .
- (٤) أي لم تعلم بما اتهموها به وأنهم رموها بالفحش ، ولم تعلم شيئا .
- (٥) أي مرضت مرضا شديدا .
- (٦) أي تقوم على الرعاية والاهتمام بها ومداواتها ، وهي أم رومان .
- (٧) أي كيف حال من عندكم ، أو كيف حال تلك - يقصد عائشة .
- (٨) أي حتى تلك اللحظة لم تعرف ولم تسمع شيئا عما حدث .

الكنف (١) التي تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهاها ، إنما كنا نذهب في فصح المدينة ، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعى أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر ابن كعب بن تيم ، خالة أبي بكر الصديق ﷺ : قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذا عثرت في مرطها (٢) ، فقالت : تعس مسطح ! ومسطح لقب واسمه عوف ، قالت : قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت وما الخبر ؟ .

فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتي (٣) ، ورجعت فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي : قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئًا ! قالت : أى بنية ، خفضى عليك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كثرن وكثر الناس عليها .

* خطبة الرسول في الناس :

قالت : وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ، ولا يقولون عليهم غير الحق ، والله . ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى (٤) .

(١) الكنف : جمع كنيف وهو دورة المياه ، وعادة العرب حقاً حتى الآن ممن يسكنون الصحراء لا يبنون كنيفاً فى بيوتهم ، ويقضون حاجتهم خارج المنزل .
(٢) فى مرطها : كسائها .

(٣) لشدة حزنها وصدمتها - ﷺ - وذهولها من هول ما سمعت والصدمة الشديدة التى هزتها لتهمتها التى هى منها براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، ولذلك قيل : إن تهمة البرىء أثقل من السماوات والأرض .

(٤) وهو مسطح بن أثانة وكان ابن خالة سيدنا أبى بكر ويعتبر عم السيدة عائشة ﷺ .

* من تزعم نشر حديث الإفك :

قالت (١) : وكان كبر ذلك (٢) عند عبد الله بن أبي ابن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمئة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصبنى (٣) في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حمئة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضادني لأختها ، فشقيت بذلك .

* أثر الخطبة :

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير : يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ، قالت : فقال سعد بن عباد ، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ، قالت : وتثاور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر . ونزل رسول الله ﷺ ، فدخل على .

* الرسول عليه الصلاة والسلام يستشير الصحابة :

قالت فدعا على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى على خير ، ثم قال يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأما على فإنه قال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية ، فإنها ستصدقك ، فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها ، قالت : فقام إليها على بن أبي طالب ، فضربها ضرباً شديداً ، ويقول : اصدقني رسول الله ﷺ فتقول والله ما أعلم إلا خيراً ، وما

(١) أي السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) أي إثمه ، فهو الذي تولى وتزعم هذا .

(٣) في الأصول : تناصيني ولكن السهيلي قال : إن الحديث في تناصيني من المناصاة

أي المساواة ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ٤ / ٢١ .

كنت أعيب على عائشة شيئاً ، إلا أنى كنت أعجن عجيني ، فأمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله (١) .

* براءة عائشة من فوق سبع سماوات :

قالت : ثم دخل رسول الله ﷺ ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، فجلس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبواى أن يجيبا عنى رسول الله ﷺ ، فلم يتكلما ، قالت : وايم الله؟ (٢) لأننا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأننا من أن ينزل الله فى قرآنا يقرأ به فى المساجد . ويصلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى نومه شيئاً يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل فى ، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبواى يتكلمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه ، قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ، قالت : فلما أن استعجما على استعبرت فبكيت (٣) ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً . والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى . قالت : ثم التمسست اسم يعقوب فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف :

(١) الحق يقال أن شهادة الإمام على - كرم الله وجهه - لا تمثل اتهاماً للسيدة عائشة ، ولكنه يحكم فيها دون مجاملة لأى أحد من الطرفين وطلب سماع شهادة الجارية عن السيدة عائشة ، وهذا لاغبار عليه ، فقد جاءت الشهادة من الجارية فى حق السيدة عائشة أنها لا تعلم عنها إلا خيراً ، ولذلك لم يقل الإمام على أية كلمة اتهاماً للسيدة عائشة .

(٢) نوع من أنواع القسم .

(٣) بكى بكاءً شديداً لعدم دفاع أبويها عنها .

﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ . قالت : فوالله ما برح ^(١) رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ^(٢) ، فسجى بثوبه ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت ولا باليت فقد عرفت أنى بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ، ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما ، فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، قالت : ثم سرى ^(٣) عن رسول الله ﷺ ، فجلس ، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان ^(٤) فى يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك ، قالت قلت : بحمد الله ^(٥) ، ثم خرج إلى الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثه ، وحسان بن ثابت ، وحمزة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدهم .

* قصة أبى أيوب مع زوجته :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى وذلك الكذب ، أكنت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك ^(٦) .

* ما نزل من القرآن فى حديث الإفك :

قالت ^(٧) : فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل

(١) أى ما ترك .

(٢) أى نزل عليه الوحي .

(٣) أى ذهب عنه .

(٤) الجمان : اللؤلؤ .

(٥) وهذا دليل إيمانها الشديد أول كلمة نطقها حمدت من برأها وأنزل فى حقها القرآن

يتلى إلى يوم القيامة .

(٦) وهذا يبين إلى أى مدى عدم تصديقهم لما قيل لأنه محال عليها فهى زوج نبي .

(٧) أى عائشة فهى الراوية .

— ابن إسحاق — ١٢١ —

الإفك فقال تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ (١) ، وذلك حسان بن ثابت . وأصحابه الذين قالوا ما قالوا (٢) .

ثم قال تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ (٣) أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه (٤) ، ثم قال : ﴿ إذ تلقونه بالستكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ﴾ (٥) .

* موقف أبى بكر من مسطح :

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال : أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقربته وحاجته (٦) . والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ، فأنزل الله فى ذلك : ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفوا وليصْفَحُوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ (٧) .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

قال ابن إسحاق : ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه ، وبمن أسلم من العرب من مضر ، فقال :

(١) سورة النور : الآية ١١ .

(٢) قال ابن هشام : والذي تولى كبره عبد الله بن أبى وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا .

(٣) سورة النور : الآية ١٢ .

(٤) أى قالوا خيراً فى حق عائشة .

(٥) سورة النور : الآية ١٥ .

(٦) وكان ذا رحم له ، ابن خالته .

(٧) سورة النور : الآية ٢٢ .

ابن إسحاق —

أَمْسَى الْجَلَابِيبُ قَدْ عَزَوْا وَقَدْ كَثُرُوا
قَدْ ثَكَلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبِهِ
مَا لِقَتِيلَى الذِّى أَغْدُو فَأَخْذُهُ
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً
يَوْمًا بِأَغْلَبِ مَنِ حِينَ تَبْصُرْنِي
أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنِّي لَنْ أَسْأَلِمَهُمْ
وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْزَلَةٍ
وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ
فَاعْتَرَضَهُ صَفْوَانُ بْنُ الْمَعْطَلِ ، فَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ قَالَ : كَمَا حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ
ابْنُ عَبْتَةَ :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غُلَامٌ إِذَا هُوجِيتَ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي : أن ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل ، حين ضرب حسان ، فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة ، فقال ، ما هذا ؟ قال : أما أعجبك ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله ، قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت (٥) ، أطلق الرجل ، فأطلقه (٦) ، ثم أتوا

(١) الجلابيب : لفظ تطلقه قريش على من أسلم منهم . بيضة البلد : أى منفرد .

(٢) البرثن : يد الأسد مع أصابعه .

(٣) يغطئل : يتحرك . العبر : جانب البحر .

(٤) أفرى : أقطع ، العارض البرد : السحاب الحامل للبرد .

(٥) اجترأت : أى تعديت حدودك ؛ لأن الرسول ﷺ لم يأمر بك بذلك .

(٦) وهنا يتبين إلى أى حد كان الصحابة رضى الله عنهم - يحترمون آراء بعضهم ، والمخطيء منهم يرجع عن خطئه إذ ذكره صاحبه ولا يتشبث برأيه ، وكانت أخلاقهم عالية لأنهم تربوا فى مدرسة رسول الله ﷺ .

ابن
رسول
ابن الم
رسول
للإسد
رسول
عوضه
ابن
فى
عائشة
ثم قتل

أجل

سامية
تأديبو
روجه

كانهم
على

رسول الله ﷺ ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان (١) ، وصفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل : يا رسول الله : آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب ، فضربته ، فقال رسول الله ﷺ لحسان : أحسن يا حسان ، أتشوهت (٢) على قومي أن هداهم الله للإسلام ، ثم قال : أحسن يا حسان في الذي أصابك ، قال : هي لك يا رسول الله .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن إبراهيم ، أن رسول الله ﷺ أعطاه عوضاً منها بيرحاء ، وهي قصر بني حذيلة اليوم بالمدينة (٣) ، وكانت مالا لأبي طلحة ابن سهل تصدق بها على آل رسول الله ﷺ ، فأعطاه رسول الله ﷺ حسان في ضربته وأعطاه سيرين ، أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان ، وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن ابن المعطل ، فوجدوه رجلاً حصوراً ، ما يأتي النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيداً .

* اعتذار حسان عن اشتراكه في حديث الإفك :

قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قاله في شأن عائشة رضي الله عنها :
 حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرسى من لحوم الغوافل (٤)
 عقيلة حى من لوى بن غالب كرام المساعى مجدهم غير زائل
 مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل سوء وباطل (٥)
 فإن كنت قد قلت الذى قد زعمتم فلا رفعت سوطى إلى أناملى

(١) ولم يحدث شيء من ضربة السيف .

(٢) أتشوهت على قومي : أى أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله ، هكذا قال السهيلي في الروض الأنف ٤ / ٢٢ .

(٣) وذلك رغم أنه كان ممن أشاعوا الإفك ومن تولوا كبره - إثمه - فيالها من أخلاق سامية عالية هي أخلاق النبوة التي علمها له الله حيث قال ﷺ : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » ومدحه ربه فقال : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ يعفو عن ظلمه ووقع في عرض روجه ، فياليتنا نتأسى بهذه الأخلاق الحميدة وبسيرة صاحب السيرة العطرة ﷺ .

(٤) حصان : فعال بفتح الحاء ، يكثر في أوصاف المؤنث ، وفي الأعلام منها ، كأنهم قصدوا بتوالى الفتحات مشكلة خفة اللفظ لخفة المعنى ، أى المسمى بهذه الصفات خفيف على النفس ، وحصان من الحصن والتحصن ، وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها .

(٥) الخيم : الطبع ، وهنا يعترف حسان أن عائشة أظهر نساء العالمين وأن الله طهرها .

وقالت جارية من العرب لأُمها :

فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا :

<http://fb.com/ranajabirabbas>

أَمْرُ الْحُدَيْبِيَّةِ ^(١) فِي آخِرِ سَنَةِ سِتٍّ

وذكر بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج في ذى القعدة معتمراً ، لا يريد حرباً ^(٢) .

* الرسول يستنفر الناس للخروج :

قال ابن إسحاق : واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذي صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ^(٣) ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب . وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربته ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر ^(٤) .

(١) يقال فيها : الحديبية بالتخفيف ، وهو الأعرف عند أهل العربية ، قال الخطابي : أهل الحديث يقولون : الحديبية بالتشديد ، والجعرانة كذلك ، وأهل العربية يقولونهما بالتخفيف ، وقال البكري : أهل العراق يشددون الياء والراء في الحديبية والجعرانة ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من لقيته ممن أثق بعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف . وقال الخطابي : سميت الحديبية لشجرة حدياء كانت في ذلك الموضع ، وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل . انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ٣ / ١٩٧ .

(٢) قال ابن هشام : واستعمل ﷺ على المدينة غيلة بن عبد الله الليثي .

(٣) وذلك لأنه ﷺ كان ذاهباً لأداء العمرة .

(٤) فيجوز الاشتراك في الهدى .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغنى ، يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة

مئة .

* ما فعلته قريش :

وخرج رسول الله حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله هذه قريش ، قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل ^(١) ، قد لبسوا جلود النمر ، وقد نزلوا بذى طوى ^(٢) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم ^(٣) قال . فقال رسول الله ﷺ : يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرین ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ^(٤) ، ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم طريقاً وعرّاً أجزل ^(٥) ، بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى ، قال رسول الله ﷺ للناس : قولوا نستغفر الله ونتوب إليه ، فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها اللحظة التى عرضت على بنى إسرائيل . فلم يقولوها ^(٦) .

فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض ، فى طريق تخرجهم على ثنية المزار مهبط الحديبية من أسفل مكة ، قال فسلك الجيش

(١) استعار العوذ المطافيل للنساء مع أولادهن . والعوذ هى الإبل حديثة التاج والمطافيل التى معها أولادها .

(٢) ذو طوى : موضع قرب مكة .

(٣) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

(٤) السالفة : صفحة العنق .

(٥) الأجرل : كثير الحجارة .

(٦) وهو قوله تعالى : ﴿ وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ ومعناها الاستغفار من الذنوب بقولهم اللهم حط عنا ذنوبنا .

— ابن إسحاق — ١٢٧ —

ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قفرة ^(١) الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا سلك في ثنية المزار بركت ناقته ، فقالت الناس : خلأت ^(٢) الناقة ، قال : ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ^(٣) . لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم قال للناس : انزلوا ، قيل له : يا رسول الله ، ما بالوادي ماء ننزل عليه ، فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به في قليب من تلك القلب : فغرز في جوفه ، فجاش بالرواء ^(٤) حتى ضرب الناس عنه بعطن ^(٥) .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم : أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم ابن عمر بن وائلة بن سهم بن مازن بن أسلم بن أفصى بن أبي حارثة ، وهو سائق بطن رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لي بعض أهل العلم : أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ ، فالله أعلم أي ذلك كان .
وقد أنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجية ، قد ظننا أنه هو الذي نزل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية في القليب يبيع على الناس ^(٦) ، فقالت :

يَا أَيُّهَا الْمَائِح دَلَّوْ دُونُكَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمِدُونَكَا
يَشْتُونَ خَيْرًا وَيَمَجِدُونَكَا

(١) القفرة : الغبار

(٢) خلأت : أي بركت ومنعت من المشي .

(٣) وذلك لحكمة إلهية اقتضت ذلك .

(٤) وهذا من معجزات النبي ﷺ .

(٥) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

(٦) يبيع على الناس : أي يملأ لهم دلاءهم .

وقال :
أيصد
وبين ما
كف عن
الثقفي
إذا جاء
لسبيعة
قومي
حتى أ
أوشاب
معها
أبدأ .

رسول
من هذ
عندي
وهو ي
الحديد
يدك
أفطع
محمد
إلا بال

الحديين

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو في القلب يميح على الناس :

قد علمت جارية يمانية
أنى أنا المائح واسمى ناجية
وطعنة ذات رشاش واهية^(١)
طعنتها عند صدور العادية

فقال الزهري في حديثه : فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء الخزاعي ، في رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه : ما الذي جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظمنا لحرمة ، وقد كان قد قال ذلك لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً هذا البيت ، فاتهموهم وجبهوهم^(٢) وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالاً ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة^(٣) ، ولا تحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهري : وكان خزاعة عيبة نصح^(٤) رسول الله ﷺ ، مسلمها ومشرکها ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة .

* رسل قريش إلى رسول الله ﷺ :

قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، أخا بني عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : هذا رجل غادر ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه ، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتألهون ، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي^(٥) في قلائده^(٦) ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، ثم رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك ، قال فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابي لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : بأن الحليس غضب عند ذلك

(١) الواهية : المسترخية من اتساعها . (٢) جبهوهم : واجهوهم بما يكرهون .

(٣) عنوة : أى بالقوة . (٤) عيبة نصح : أى موضع سره .

(٥) عرض الوادي : جانبه .

(٦) القلائد : هى ما يعلق في أعناق الإبل علامة على أنها هدى .

وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم .
أُصِدُّ عن بيت الله من جاء معظماً له ! والذي نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد
وبين ما جاء له ، أو لأنفرون بالأحابيش نفرة رجل واحد ^(١) . قال فقالوا له : مه ^(٢)
كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهري في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود
الثقفي ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد
إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وإنى ولد - وكان عروة
لسبيعة بنت عبد شمس - وقد سمعت بالذي نابكم ، فجمعت من أطاعني من
قومي ، ثم جئتمكم حتى آسيتمكم بنفسى ، قالوا صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم فخرج
حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت
أوشاب ^(٣) الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها ^(٤) بهم إنهم قريش قد خرجت
معها العوذ المطافيل . قد لبسوا جلود النمرور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة
أبدًا . وإيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدًا . قال : وأبو بكر الصديق خلف
رسول الله ﷺ قاعد ، فقال : امصص بظر اللات ، أنحن نكشف عنه ؟ قال :
من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة ، قال : أما والله لولا يد كانت لك
عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ
وهو يكلمه . قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في
الحديد ^(٥) قال : فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ، ويقول : اكفف
يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك قال فيقول عروة : ويحك ! ما
أفطعك وأغلظك ! قال : فتبسم رسول الله ﷺ ^(٦) ، فقال له عروة من هذا يا
محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، قال : أى غدر وهل غسلت سوءتك
إلا بالأمس .

(١) أى لأقلبن عليكم الأحابيش يقاتلونكم ، وكان هذا نصر من الله وسبباً فى صلح

الحديبية .

(٢) مه : أى اكفف عن الكلام مطلقاً . (٣) الأوشاب : الأخطا .

(٤) بيضتك : أى عشيرتك ، تفضها : تهلكها .

(٥) فى الحديد : أى لابساً درعه .

(٦) وهنا يتبين مدى حلم الرسول ﷺ حتى مع عدوه .

ابن إسحاق —

قال ابن إسحاق : قال الزهري ، فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً .

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يصبق بصاقاً إلا ابتدروه : ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه . والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبداً ، فروا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ ، وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش ، فخلوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس : أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين رجلاً ، وأمروهم أن يطيّفوا بعسكر رسول الله ﷺ ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا أخذاً فأتى بهم رسول الله ﷺ ، فعفا عنهم ، وخلي سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من عدى بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني ، عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، ومعظماً لحرمته .

قال ابن إسحاق : فخرج عثمان إلى مكة ، فلقه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل .

* * *

قال
حين بلغه
الناس إلى
بايعهم رس
ﷺ لم
* ق

فبايع
إلا الجذب
إليه لاصقاً
أن الذي ذ
* ال

قال
عمر بن لؤ
في صلحه
عنوة أبداً

أراد القوم
ﷺ تكل

(١)
الأسدي

(٢)

(٣) و

بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر (١) .

* تَخَلَّفَ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْمَبَايَعَةِ :

فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجد بن قيس ، أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقتة . قد ضباً (٢) إليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

* الْهَدْنَةُ :

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بني عامر بن لؤي ، إلى رسول الله ﷺ ، وقالوا له : أنت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً (٣) ، فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

(١) قال ابن هشام : وكان أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان

الأسدي .

(٢) ضباً إليها : أي لصق واحتتمى بها ، والله أعلم علة ذلك .

(٣) وهذا دليل تكبرهم .

* موقف عمر من الهدنة :

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى قال : فعلام نعطي الدنية ^(١) في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ؛ الزم غرزه ^(٢) ، فإنني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أأست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال فعلام نُعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ^(٣) ، ولن يضيعني ! قال : فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق ، من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

شُرُوط الصلح : قال : ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال ، اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو ، قال ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال : رسول الله ﷺ : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحنا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبة مكفوفة ^(٤) ، وإنه لا إسلال ولا إغلال ^(٥) ، وإنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

(١) الدنية : الذل .

(٢) الزم غرزه : الزم أمره .

(٣) أى أن هذا كان أمراً من الله ، ولذلك كان هذا الصلح خيراً وفتحاً للمسلمين علموا

ذلك بعد فتح مكة ، وندم من عارض الصلح على معارضته .

(٤) عيبة مكفوفة : أى صدور منطوية على ما فيها .

(٥) الإسلال : السرقة خفية الإغلال : الخيانة .

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، وأنتك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب السيوف فى القرب ، لا تدخلها بغيرها .

* قصة أبى جندل بن سهيل :

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد ^(١) قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتليبيه ، ثم قال : يا محمد قد لجت ^(٢) القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، فجعل يتره ^(٣) بتليبيه ، ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم ^(٤) ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم ^(٥) ، قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه . ويقول : اصبر يا أبا جندل ! فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ، قال : ويدنى قائم السيف منه قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ^(٦) ، قال : فضن ^(٧) الرجل بأبيه ونفذت القضية .

(١) أى مقيداً بالحديد ، وذلك أن أباه عذبه ليرتد عن الإسلام .

(٢) أى قد نمت . (٣) يجذبه بشدة وهو ابنه لكنه مسلم وهو مشرك .

(٤) أى على ما بهم من حزن عظيم .

(٥) وهذا الموقف العملى يبين كيف أن النبى إذا عاهد بر ، وأمر بذلك المسلمين أن يوفوا

العهد ، ولا ينقضوه فردة الرسول ﷺ للمشركين وهو مسلم وذلك طبقاً للعقد الذى بينهم ، ولعل الله بذلك يجعل له مخرجاً وفرجاً .

(٦) أى سهيل بن عمرو . (٧) أى رفض أبو جندل أن يفعل ذلك .

مَنْ شَهِدُوا عَلَى الصَّلَحِ

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجلاً من المسلمين ورجلاً من المشركين . أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبي طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

* الإِخْلَاق :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحل وكان يصلى في الحرم فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذي حلقه فيما بلغنى في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق توائبوا ينحرون ويحلقون .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصر آخرون . فقال رسول الله ﷺ : يرحم الله المحلقين ، قالوا والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين يا رسول الله قال يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين يا رسول الله قال : والمقصرين ، فقالوا : يا رسول الله : فلم ظهرت (١) الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكوا .

وقال عبد بن أبي نجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل ، في رأسه برة (٢) من فضة ، يغيب بذلك المشركين .

نزول سورة الفتح : قال الزهري في حديثه : ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (٣) .

(١) ظهرت : قويت وأكدت .

(٢) البرة : حلقة تجعل في أنف البعير ليدل بها وكانت في العادة من خشب أو شعر .

(٣) سورة الفتح : الآية ١ ، ٢ .

ثم كانت فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى من ذكر البيعة ، فقال جل ثناؤه : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾ (١) .

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفزهم للخروج معه فتباطأوا عليه : ﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا ﴾ (٢) ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ﴾ (٣) . ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن الزهري أنه قال : أولو البأس الشديد : حنيفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذا يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً * وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً * وأخرى لم تقدرها عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ (٤) .

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعنى النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : ﴿ وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوثاً أن يبلغ محله ﴾ (٥) .

(١) سورة الفتح : الآية ١٠ .

(٢) سورة الفتح : الآية ١١ .

(٣) سورة الفتح : الآية ١٥ .

(٤) سورة الفتح : الآيات ١٨ - ٢١ .

(٥) سورة الفتح : الآيات ٢٤ - ٢٥ .

ابن إسحاق —

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطوؤهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ﴾ ^(١) والمعرفة : الغرم أى : أن تصيبوا منهم معرفة بغير علم فتخرجوا ديتهم ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾ يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : ﴿ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ ^(٢) . أى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا ﴾ . أى لرؤيا رسول الله ﷺ التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف ، ويسقول : ﴿ محلقين رءوسكم ومقصرين ﴾ معه : ﴿ لا تخافون فعلم ﴾ من ذلك ﴿ ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴾ ^(٣) صلح الحديبية .

يقول الزهرى : فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل تلك الستين مثل من كان والإسلام قبل ذلك . أو أكثر ^(٤) .

* * *

(١) سورة الفتح : الآية ٢٥ .

(٢) سورة الفتح : الآية ٢٦ .

(٣) سورة الفتح : الآية ٢٧ .

(٤) قال ابن هشام : والدليل على قول الزهرى أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية فى ألف وأربعمائة ، فى قول جابر بن عبد الله ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين فى عشرة آلاف .

أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح

قصة أبي بصير : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه أبو بصير عتبة^(١) بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قدم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، والأخنس بن شريق ابن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله ﷺ ، وبعثا رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم ، فقدموا على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك ، قال : يا رسول الله ، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذي الحليفة^(٢) ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحبه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ فقال : نعم ، قال : أنظر إليه ؟ قال انظر ، إن شئت . قال : فاستله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فرعا^(٣) ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبى . فوالله : ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، وفدت ذمتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتني بيد القوم وقدامتعت بديني أن أفتن فيه ، أو يعذب بي . قال : فقال رسول الله ﷺ : ويل أمه محش حرب^(٤) لو كان معه رجال !

(١) وقيل : عبيد .

(٢) ميقات أهل المدينة ، بينها وبين المدينة ستة أميال .

(٣) لما رأى عليه من الوجوم .

(٤) وفي الصحيح : ويل أمه مسعر حرب ، ويقال : حششت النار ، وأورثتها ، وأذكيته ، وأثقلتها وسعرتها بمعنى واحد .

ابن إسحاق —

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص ، من ناحية ذى المروة ، على ساحل البحر ، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير : ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال ، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً وكانوا قد ضيقوا على قريش . لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامهم إلا آواهم فلا حاجة لهم بهم ، فأواهم رسول الله ﷺ ، فقدموا عليه بالمدينة .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم العامري ، أسند ظهره إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهري عن الكعبة حتى يودي (١) هذا الرجل فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السفه والله لا يودي .

* * *

(١) أي تُدفع ديته .

أمر المهاجرات بعد الهدنة

* هجرة أم كلثوم بنت عقبة :

قال ابن إسحاق : وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في تلك المدة ، فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة ، حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش في الحديبية فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

قال ابن إسحاق : فحدثني الزهري ، عن عروة بن الزبير ، قال : دخلت عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبي هنيذة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ (١) . ﴿ واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ﴾ (٢) .

قال : فكتب إليه عروة بن الزبير : أن رسول الله ﷺ كان صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن ولينه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام ، أبى الله أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة في الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن (٣) إليهم إن احتبس عنهم إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ﴾ . فأمسك رسول الله ﷺ النساء ورد الرجال ، وسأل الذي أمره به أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم ، مثل الذي يردون عليهم ، إن هم فعلوا ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله ﷺ النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذي بينه وبين قريش

(١) المتحنة : الآية ١٠ .

(٢) سورة المتحنة : الآية ١٠ .

(٣) أى مهورهن .

يوم الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردد لهن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمين قبل العهد .

قال ابن إسحاق : وسألت الزهري عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : ﴿ وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾ ^(١) فقال يقول إن فات أحدا منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم ، فعوضوهم من فروع إن أصبتموه ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴾ إلى قول الله عز وجل : ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ ^(٢) ، كان ممن طلق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جروول أم عبيد الله ابن عمر الخزاعية ، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم . رجل من قومه وهما على شركهما .

* * *

(١) سورة الممتحنة : الآية ١١ .

(٢) سورة الممتحنة : الآية ١٠ .

ذِكْرُ الْمَسِيرِ إِلَى خَيْبَرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر (١) .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى الهيثم ابن نصر بن دهر الأسلمى أن أباه حدثه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : انزل يا بن الأكوع ، فخذ لنا من هنالك (٢) ، قال : فنزل يرتجز برسول الله ﷺ ، فقال :

وَاللَّهُ لَوْ لَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْنَا
فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَتُبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَأَقَيْنَا

فقال رسول الله ﷺ : يرحمك الله ، فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسول الله ، لو أمتعتنا به ! فقتل يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله فيما بلغنى ، أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل ، فكلمه كلما شديداً ، فمات منه ، فكان المسلمون قد

(١) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نائلة بن عبد الله الليثى ، ودفع الراية إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

(٢) هنالك : جمع الهنة : كناية عن كل شيء لا تعرف اسمه ، أو تعرفه ، فتكنى عنه ، وأصل الهنة : هنة وهنوة . قال الشاعر :

* على هنوات شأنها متابع *

وفى البخارى : أن رجلاً قال لابن الأكوع : ألا تنزل فتسمعنا من هنيهاتك ، صغره بالهاء ، ولو صغره على لغة من قال هنوات لقال هنيهاتك . وإنما أراد ﷺ أن يحدو بهم ، والإبل تستحث بالحاء ، ولا يكون الحذاء إلا بشعر أو رجز .

شكوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو الأكوع رسول الله ﷺ عن ذلك وأخبره بقول الناس ، فقال رسول الله ﷺ : إنه شهيد وصلى عليه فصلى عليه المسلمون .

* دعاء الرسول عند دخول خيبر :

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي عن أبيه ، عن أبي معتب بن عمرو . أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله ، قال : وكان يقولها عليه الصلاة والسلام لكل قرية دخلها (١) .

* فرار أهل خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يغر عليهم حتى يصبح (٢) ، فإن سمع أذانًا أمسك ، وإن لم يسمع أذانًا أغار ، فترلنا خيبر ليلاً ، فبات رسول الله ﷺ ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذانًا ، فركب وركبنا معه ، فركبت خلف أبي طلحة ، وإن قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عمال خيبر غادين (٣) ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم (٤) . فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش ، قالوا : محمد والخميس (٥) معه فأدبروا هرباً فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حميد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك

- (١) وصار هذا الدعاء من هدى الرسول ﷺ عند دخول أى بلد يستحب للمسلم أن يقوله فى أول البلد .
- (٢) أى أنه لم يأخذهم على غرة ليلاً .
- (٣) غادين : خارجين لأعمالهم صباحاً مبكرين .
- (٤) المساحى : جمع مسحاة ، وهى الفأس من الحديد ، المكاتل جمع مكاتل وهو زنبيل يعمل من الخوص .
- (٥) الخميس : الجيش .

— ابن إسحاق — ١٤٣ —

على عصر^(١) ، فبنى فيها مسجدا ، ثم على الصهباء^(٢) ، ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه ، حتى نزل بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ .

* غطفان تحاول مساعدة خيبر :

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمنزول رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة^(٣) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حسا ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أهلهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر^(٤) .

وتدنى^(٥) رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصنا حصنا ، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القموص ، حصن بنى أبى الحقيق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا ، منهن صفية بنت حيى بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وبنتى عم لها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه^(٦) .

وكان دحية بن خليفة الكلبي^(٧) قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما أصفها لنفسه أعطاه ابنتى عمها ، وفشت السبايا من خيبر في المسلمين .
أشياء نهى عنها الرسول يوم خيبر : وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية من حمرها فقام رسول الله ﷺ ، فنهى الناس عن أمور سماها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزارى عن عبد الله ابن أبى سليط عن أبيه ، قال : أتانا نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحمر الإنسية ، والقذور تفور بها ، فكفأناها على وجوها .

(١) عصر : اسم جبل بين المدينة ووادي الفرع .

(٢) موضع قريب من خيبر .

(٣) منقلة : أى مرحلة .

(٤) وهذه حكمة إلهية حتى يتمكن الرسول ﷺ من دخول خيبر وفتحها .

(٥) تدنى : أى أخذ الأدنى فالأدنى .

(٦) وتزوجها ﷺ وكانت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

(٧) وهو الذى كان سيدنا جبريل عليه السلام يأتي فى صورته .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مكحول : أن رسول الله ﷺ نهاهم يومئذ عن إتيان ^(١) الحبالى من السبايا ، وعن أكل الحمار الأهلي ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ^(٢) ، وعن بيع المغانم حتى تقسم .

قال ابن إسحاق : وحدثني سلام بن كركرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر ابن عبد الله الأنصارى ، ولم يشهد جابر خير : أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر ، أذن لهم فى أكل لحوم الخيل .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى نجيب عن حنش الصنعانى ، قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فيها خطيباً ، فقال : يا أيها الناس ، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقوله فينا يوم خير قام فينا رسول الله ﷺ فقال : لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماؤه زرع غيره ، يعنى إتيان الحبالى من السبايا ، حتى يستبرئها ^(٣) ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى إذا أعجفها ^(٤) ردها فيه ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فىء المسلمين حتى إذا أخلقه ^(٥) رده فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، أنه حدث عن عبادة ابن الصامت قال : نهانا رسول الله ﷺ يوم خير عن أن نبيع أو نبتاع تبر ^(٦) الذهب بالذهب العين ، وتبر الفضة بالورق العين ، وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين ، وتبر الفضة بالذهب العين .

(١) إتيان : أى جماع .

(٢) مثل الأسود ، والنمور ، والوحوش المفترسة .

(٣) استبراء الحامل : أن تضع حملها فذلك استبراء رحمها .

(٤) أى أتعبها وأضعفها .

(٥) أى أبلاه .

(٦) التبر : فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال .

* حال بنى سهم :

فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : والله يا رسول الله ﷺ لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه ، فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء ، وأكثرها طعاماً وودكاً ، فغدا الناس ، ففتح الله عز وجل عليهم حصن الصعب بن معاذ ، وما بخير حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه .

* مقتل مرحب اليهودي :

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنهم : الوطيح ، والسلالم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً ، فحاصروهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل ، أخو بنى حارثة عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب اليهودي من حصنهم قد جمع سلاحه يرتجز وهو يقول :

قد علمت خير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تحرب
إن حماي للحمى لا يقرب

وهو يقول : من يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك فقال :

قد علمت خير أنى كعب مفرج الغمى جرى صلب
إذ شبت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيق غضب
تطؤكم حتى يذل الصعب نعطى الجزاء أو يفى النهب

بكف ماض ليس فيه عتب

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سهل ، عن جابر بن عبد الله

الأنصاري .

(١٠ - ابن إسحاق ج ٢)

قال : فقال رسول الله ﷺ : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله ، الموتور الثائر ، قُتل أخى بالأمس ^(١) ، فقال : فقم إليه ، اللهم أعنه عليه قال فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عمرية ^(٢) من شجر العشر ، فجعل أحدهما يلوذ بها ^(٣) من صاحبه ، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها ^(٤) ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فنن ^(٥) ، ثم حمل ^(٦) مرحب على محمد بن مسلمة ، فضربه ، فاتقاه بالدرقة ، فوقع سيفه ، فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

* مَقْتَلُ يَاسِرِ أَخِي مَرْحَب :

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، وهو يقول ، من يبارز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابني يا رسول الله ؟ ! قال : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقيا ، فقتله الزبير ^(٧) .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة : أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عضباً ، قال : والله ما كان صارماً ، ولكني أكرهته .

* عَلَى يَفْتَحُ خَيْر :

قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه سفيان عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر

(١) المعنى : قُتل أخى ولذلك يريد الانتقام له والأخذ بثأره من هذا اليهودي .

(٢) عمرية : أى معمرة منذ كذا أعوام .

(٣) أى يحتمى بها .

(٤) يقطع كلا منهما ما يحول بينه وبين صاحبه من فروع الشجرة .

(٥) الفنن : الغصن .

(٦) أى هجم .

(٧) وتحققت بشرى رسول الله ﷺ .

الصدِّيقُ رضى الله عنه برايته (١) ، إلى بعض حصون خيبر . فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب خيبر . فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرار . قال : يقول سلمة ، فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه ، وهو أرمَد ، ففضل في عينه ، ثم قال خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأنح (٢) يهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم (٣) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب . قال : يقول اليهودى علوتم ، وما أنزل على موسى أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه وقد ضربه رجل من يهود فطاح ترسه من يده ، فتناول على ﷺ باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نفر سبعة معى أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقله .

* حديث أبى اليسر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بريدة بن سفيان الأسلمى عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليسر كعب بن عمرو قال : والله إنا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله ﷺ :

من رجل يطعمنا من هذا الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت أنا يا رسول الله ، قال : فافعل ، قال : فخرجت أشستد مثل الظليم (٤) ، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ

(١) قال ابن هشام : وكانت بيضاء .

(٢) يأنح : يعلو صوته .

(٣) رضم من حجارة : أى حجارة مجتمعة أو كوم من حجارة .

(٤) الظليم : ولد النعام .

موليا وقال : اللهم أمتعنا به ، وقال : فأدركت الغنم وقد دخلت أولاهما الحصن ، فأخذت شاتين من أخراها ، فاحتضتهما تحت يدي ، ثم أقبلت بهما أشتد ، كأنه ليس معي شيء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ هلاكا (١) ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أمتعوا بى ، لعمرى ، حتى كنت من آخرهم هلكا .

قصة صفية رضي الله عنها : قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ القموص ، حصن بنى أبى الحقيق ، أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حُبى بن أخطب ، وبأخرى معها ، فمر بهما على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التى مع صفية صاحت ، وصكت وجهها (٢) وحشت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال : أعزبوا (٣) عني هذه الشيطانة ، وأمر بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه : فقال رسول الله ، لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال ، حين تمر بامراتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، أن قمرا وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً ، فلطم وجهها لطمه خضر عينها منها . فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

* جزاء كنانة بن الربيع :

وأتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كثر بنى النضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسول الله ﷺ رجل من يهود . فقال لرسول الله ﷺ : إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة ، فقال رسول الله ﷺ لكنانة : رأيت إن وجدناه عندك ، أقتلك ؟ قال : نعم ، فأمر رسول الله ﷺ

(١) أى موتاً .

(٢) صكت وجهها : أى ضربت ولطمت وجهها .

(٣) أعزبوا : أبعادوا .

بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كتزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقده بزند فى صدره ، حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة (١) .

صُلحُ خَيْبر : وحاصر رسول الله ﷺ ، أهل خيبر فى حصنهم الوطيح والسالام ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ، ففعل . وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها : الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من دينك الحصن ، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ويخلوا له الأموال ففعل . وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم فى ذلك محيصة بن مسعود أخو بنى حارثة فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم فى الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم . وأمر لها ، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب (٢) .

* قصة الشاة المسمومة :

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية (٣) ، وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقبل لها : الذراع ، فأكثر فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ ، تناول الذراع ، فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم (٤) ، ثم دعا بها فاعترفت فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : أبلغت

(١) أى اقتصاصاً لقتل أخيه .

(٢) أى بدون قتال ولا إراقه دماء .

(٣) أى شاة مشوية .

(٤) وهذا من معجزات الله لنبيه ﷺ .

ابن إسحاق —

من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيُخبر^(١) ، قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التي أكل .

وقال ابن إسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه . ودخلت أم بشر بنت البراء ابن معرور تَعُوده : يا أم بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى^(٢) من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخير . قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

جزاء الغال^(٣) من الغنيمة : قال ابن إسحاق : فحدثني ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبي هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى نزلن بها أصيلاً^(٤) مع مغرب الشمس . ومع رسول الله ﷺ غلام له ، أهده له رفاعه بن زيد الجذامي ، ثم الضبيني .

قال : فوالله إنه ليضع رحل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غرب^(٥) فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئاً له الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : كلا ، والذي نفس محمد بيده ، إن شملته الآن لتحترق عليه في النار ، كان غلاماً من فئ المسلمين يوم خيبر . قال : فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبت شراكين لنعلين لي ، قال : فقال : يقد لك مثلهما في النار^(٦) .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مغفل المزني ، قال : أصبت من فئ خيبر جراب شحم ، فاحتملته على عاتقي إلى رجلي وأصحابي . قال : فلقيني صاحب المغنم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم هذا نقسمه

(١) أي سيخبره الله بذلك .

(٢) الأبهر : عرق من عرقين يخرجان من القلب ومنهما تتشعب الشرايين كلها .

(٣) الغال : أي الآخذ من الغنيمة قبل القسمة .

(٤) أصيلاً : أي وقت الأصيل وهو قبيل الغروب .

(٥) سهم غرب : أي مجهول الرامي ، لا يعرف من أين أتى .

(٦) وهو أيضاً دليل على عظم ذنب السارق من المال العام ، لأن الغنيمة مال عام كل له

بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيكمه ، قال : فجعل يجاذبني الجراب : قال : فرأنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك . قال : فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : لا أبا لك ، خل بينه قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رحلى وأصحابي ، فأكلناه .

* زواج الرسول بالسيدة صفية وحراسة أبي أيوب له :

قال ابن إسحاق : ولما أعرس ^(١) رسول الله ﷺ بصفية ، بخير أو ببعض الطريق ، وكانت التي جمعتها ^(٢) لرسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان ، وأم أنس بن مالك . فبات بها رسول الله ﷺ في قبة له ^(٣) ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بني النجار متوشحا سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ، ويُطيف بالقبة ، حتى أصبح رسول الله ﷺ ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة . وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك . فزعموا أن رسول الله ﷺ ، قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني .

* بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر :

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لما انصرف رسول الله ﷺ من خير ، فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ^(٤) ؟ قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك . فنزل رسول الله ﷺ ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلي ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلي . ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفجر يرمقه ، فغلبته عينه ، فنام فلم يوقظه إلا مس الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هب ^(٥) ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله أخذ بنفسى الذي أخذ بنفسك ، قال : صدقت ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ثم

(١) أعرس : أى دخل على عروسه .

(٢) أى التى ربتها .

(٣) أى خيمة له .

(٤) يحفظ علينا الفجر : أى يظل مستيقظا حتى يوقظنا لصلاة الفجر .

(٥) أى قام .

أمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى رسول الله بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال :
إذ نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ (١) .

* شعر ابن لقيم فى فتح خير :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى قد أعطى ابن لقيم العبسى ، حين افتتح خير ، ما بها من دجاجة أو داجن (٢) وكان فتح خير فى صفر فقال ابن لقيم العبسى فى خير :

رَمِيت نَطَاةً مِنَ الرُّسُولِ بِفَيْلَقٍ شَهْبَاءَ ذَاتِ مَنَاقِبٍ وَفَقَارٍ (٣)
وَأَسْتَيْقِنْتُ بِالذُّلِّ لَمَّا شِيعَتْ وَرِجَالٌ أَسْلَمَ وَسَطَهَا وَغِفَارٍ
صَبَحَتْ بَنَى عَمْرٍو بْنِ زُرْعَةَ غُدُوَّةٍ وَالشَّقَّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بَنَهَارٍ (٤)
جَرَتْ بِأَبْطَحِهَا الذُّيُولُ فَلَمْ تَدَعْ إِلَّا الدَّجَاجَ تَصِيحُ فِي الْأَسْحَارِ
وَلِكُلِّ حِصْنٍ شَاغِلٍ مِنْ خَيْلِهِمْ مِنْ عَبْدٍ أَشْهَلَ أَوْ بَنَى النِّجَارِ
وَمُهَاجِرِينَ وَقَدْ أَعْلَمُوا سِيْمَاهُمْ فَوْقَ الْمَغَافِرِ لَمْ يَنْوُوا لِفِرَارِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَيَغْلِبَنَّ مُحَمَّدٌ وَلِيَثْوِينَ بِهَا إِلَى أَصْفَارٍ (٥)
فَرَّتْ يَهُودٌ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَعَى تَحْتَ الْعِجَاجِ غَمَائِمُ الْأَبْصَارِ (٦)
* حديث المرأة الغفارية :

قال ابن إسحاق : وشهد خير مع رسول الله ﷺ نساء من المسلمين فرضخ لهن (٧) رسول الله ﷺ من الفء ، ولم يضرب لهن بسهم .

(١) سورة طه : الآية ١٤ .

(٢) الداجن : هو كل ما يربيه الناس عما يالفونه فى بيوتهم كالشاة وغير ذلك .

(٣) نطاة : حصن بخير ، الشهباء : كثيرة الاستعداد .

(٤) الشق : حصن بخير أيضاً .

(٥) يثوين : يقمن ، الثواء : الإقامة .

(٦) العجاج : غبار الحرب .

(٧) أرضخ لهن : أى أعطاهن أقل من سهم المقاتل .

قال ابن إسحاق : حدثني سليمان بن سحيم ، عن أمية بنت أبي الصلت ، عن امرأة من بنى غفار ، قد سماها لى ، قالت : أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من بنى غفار ، فقلنا يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خير فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا فقال على بركة الله .

قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حدثثة ^(١) ، فأردفنى رسول الله ﷺ على حقيبة رحله ، قالت : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح وأناخ ، ونزلت عن حقيبة رحله وإذا بها دم منى ، وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتقبضت إلى الناقة واستحييت ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بى ورأى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نفست ، قالت : قلت : نعم ، قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خذى إناء من ماء ، فاطرحى فيه ملحاً ، ثم اغسلى به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك .

قالت ^(٢) : فلما فتح رسول الله ﷺ خير ، رضح لنا من الفء ، وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنقى فأعطانيها ، وعلقها بيده فى عنقى ، فوالله لا تفارقنى أبداً .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصيت أن تدفن معها قالت : وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت فى طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت .

شهداء خير : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخير من المسلمين ، من قریش . ثم من بنى أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن بكر بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد . وثقيف بن عمرو ، ورفاعة بن مسروح .

* من بنى أسد :

ومن بنى أسد بن عبد العزى : عبد الله الهيب ، بن أهيب بن سحيم بن غيرة ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

(١) أى صغيرة السن .

(٢) أى الجارية .

* من بنى سلمة :

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بشر بن البراء بن معرور ، مات من الشاة
التي سُم فيها رسول الله ﷺ . وفضيل بن النعمان . رجلان .

* من بنى زريق والأوس :

ومن بنى زريق : مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق .
ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عدى
ابن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

* من بنى عمرو بن عوف :

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن
امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن
سراقة ، وأوس بن القائد ، وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثلة ، وطلحة بن يحيى
ابن مليل بن ضمرة .

* من بنى غفار وأسلم :

ومن بنى غفار : عمارة بن عقبة ، رمى بسهم .
ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم .
ومن استشهد بخير فيما ذكر ابن شهاب الزهري ، من بنى زهرة : مسعود بن
ربيعة ، حليف لهم من القارة .

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف : أوس بن قتادة .

* قصة الأسود الراعى وإسلامه ثم استشهاده :

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعى فيما بلغنى : أنه أتى رسول
الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له ، كان فيها أجيراً لرجل
من يهود فقال : يا رسول الله ، أعرض على الإسلام ، فعرضه عليه ، فأسلم ،
وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه ، فلما
أسلم قال : يا رسول الله ، إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ،

فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب في وجوها ، فإنها سترجع إلى ربها ^(١) - أو كما قال - فقال الأسود : فأخذ حفنة من الحصى فرمى بها في وجوها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصبحك أبداً ، فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقا تل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط فأتى به رسول الله ﷺ فوضعه خلفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا : يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زوجتيه من الحور العين ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح أنه ذكر له : أن الشهيد إذا ما أصيب تدلت له زوجته من الحور العين : عليه تنفضان التراب عن وجهه وتقولان : ترب الله وجه من تربك وقتل من قتلك .

حديث الحجاج بن علاط السلمى : قال ابن إسحاق : ولما فُتحت خيبر ، كلم رسول الله ﷺ ، الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى ، فقال يا رسول الله ، إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبه بنت أبى طلحة - وكانت عنده ، له منها معرض ابن الحجاج ، ومال متفرق فى مجاز أهل مكة ، فأذن لى يا رسول الله ، فأذن له ، قال : إنه لابد لى يا رسول الله من أن أقول قال : قل . قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، ريفا ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما راوئى قالوا : الحجاج بن علاط قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى - عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ، قال قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم . قال :

(١) أى صاحبها .

(٢) يا لها من منزلة عظيمة ، ألا وهى الشهادة فى سبيل الله ، فقد كشف الله الحجاب لنبىه ﷺ وهذه من المعجزات ليرى الحور العين مع هذا الرجل الذى استشهد فى المعركة وكان قد أسلم وأخلص النية لله ودخل المعركة .

فالتبطوا بجنبى ناقتى ^(١) يقولون : إيه يا حجاج ، قال ، قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا : لانقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى ، فإنى أريد أن أقدم خير ، فأصيب من فل ^(٢) محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك .

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كآحث ^(٣) جمع سمعت به قال : وجئت صاحبتي فقلت : مالى ، وقد كان لى عندها مال موضوع ، لعلنى ألحق بخير ، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ، قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عنى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الخبر الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم . قال : قلت فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء ، فإنى فى جمع كما ترى ، فأنصرف عنى حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ على حديثى يا أبا الفضل . فإنى أخشى الطلب ثلاثاً ، ثم قل ما شئت ، قال : أفعل قلت فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم . يعنى صفية بنت حبي ولقد افتتح خير وانتثل ^(٤) ما فيها وصارت له ولأصحابه فقال : ما تقول يا حجاج ؟ قال : قلت : أى والله فاكم عنى ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالى فرقاً من أن أغلب عليه فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرى فهو والله على ما تحب قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق ^(٥) وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رآه قالوا يا أبا الفضل هذا والله

(١) التبطوا : ساروا ملازمين لها .

(٢) الفل : المنهزمون .

(٣) كآحث : كأسرع .

(٤) انتثل : استخرج .

(٥) تخلق : تطيب بطيب .

التجلى لحر المصيبة ، قال : كلا ، والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خير وترك عروساً على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه ، قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً ، فأخذ ماله ، فانطلق ليحرق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه ، قالوا : يا لعباد الله ، انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال : ولم ينشئوا أن جاءهم الخبر بذلك .

* شعر حسان فى فتح خير :

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم خير قول حسان بن ثابت :

بئسما قاتلت خيابر^(١) عما جمعوا من مزارع ونخيل
كرهوا الموت فاستبيح حماهم وأقروا فعل اللئيم الذليل
أمن الموت تهربوا فإن الموت موت الهزال غير جميل

قال ابن إسحاق : وقال ناجية بن جنوب الأسلمى :

يا لعباد الله فيم يُرغب ما هو إلا مأكَل ومشرب
وجنة فيها نعيم معجب

* تقسيم أموال خير :

قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خير ، على الشق ونطاة والكتيبة فكانت الشق ونطاة فى سهمان المسلمين ، وكانت الكتيبة خمس الله ، وسهم النبى ﷺ ، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطعم أزواج النبى ﷺ وطعم رجال مشوا بين رسول الله ﷺ وبين أهل فذك بالصلح ، ومنهم محيصة بن مسعود ، أعطاه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقا^(٢) ، من شعير ، وثلاثين وسقا من تمر ، وقسمت خير على أهل الحديبية ، من شهد خير ، ومن غاب عنها ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها ، وكان وادياها وادى السريرة ، ووادى خاص^(١) ، وهما اللذان قسمت

(١) أهل خير .

(٢) الوسق : يريد به هنا إما حمل البعير أو ستين صاعاً ، ومن معانيه أيضاً حمل

النخلة وليس مراداً هنا . (١) قال السهيلي فى الروض الأثف : إنه وادى خلص .

عليهما خير ، وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهماً ، نطاة من ذلك خمسة أسهم ،
والشق ثلاثة عشر سهماً ، وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم ، وثمانمائة سهم .
وكانت عدة الذين قسمت عليهم خير من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم
وثمانمائة سهم ، برجالهم وخيلهم . الرجال أربع عشرة مئة ، والخيل مئتا فرس فكان
لكل فرس سهمان ، ولفارسه سهم^(١) ، وكان لكل راجل^(٢) سهم ، فكان لكل
سهم رأس جمع إليه مئة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهماً جمع .
قال ابن إسحاق : فكان على بن أبي طالب رأساً ، والزبير بن العوام ، وطلحة
ابن عبيد الله وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدي أخو
بنى العجلان ، وأسيد بن حضير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم
بنى بياضة ، وسهم بنى عبيدة ، وسهم بنى حرام من بنى سلمة ، وعبيد السهام .
قال ابن إسحاق وسهم ساعدة ، وسهم غفار وأسلم ، وسهم النجار وسهم
حارثة ، وسهم أوس . فكان أول سهم خرج من خير بنطاة سهم الزبير بن العوام ،
وهو الخزع^(٣) ، وتابعه السريز ، ثم كان الثاني سهم بياضة ، ثم كان الثالث سهم
أسيد ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى
عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم ، وفيه قتل محمود بن مسلمة فهذه نطاة .
ثم هبطوا إلى الشق^(٤) ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدي ،
أخى بنى العجلان ، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ ، ثم سهم عبد الرحمن بن
عوف ، ثم سهم ساعدة ثم سهم النجار ، ثم سهم على بن أبي طالب رضوان الله
عليه ، ثم سهم طلحة بن عبيد الله ، ثم سهم غفار وأسلم ، ثم سهم عمر بن
الخطاب ، ثم سهم سلمة بن عبيد وبنى حرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عبيد
السهام ، ثم سهم أوس ، وهو سهم اللقيف ، جمعت إليه جهينة ومن حضر خير
من سائر العرب ، وكان حذوه سهم رسول الله ﷺ ، الذى كان أصابه فى سهم
عاصم بن عدي^(٥) .

(١) قال ابن هشام : وفى يوم خير عرب رسول الله ﷺ العربى من الخيل ، وهجن
الهجين . (٢) أى الذى يحارب سيراً على قدميه بدون فرس .
(٣) مكان قريب من خير . (٤) حصن بخير .
(٥) ويتضح فى كل ما سبق مدى عدالته ﷺ فى التوزيع والقسمة وعندما قسم بعد
ذلك الكتيبة قسم - كما قال ابن هشام - على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى المطلب
أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

ثم قسم رسول الله ﷺ الكتيبة ، وهى وادى خاص (١) ، بين قرابته وبين نسائه وبين رجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته مئتي وسق ، ولعلی بن أبی طالب مئة وسق ، ولأسامة بن زيد مئتي وسق وخمسين وسقاً من نوى ، ولعائشة أم المؤمنين مئتي وسق ، ولأبى بكر بن أبى قحافة مئة وسق ، ولعقيل بن أبى طالب مئة وسق وأربعين وسقاً ، ولبنى جعفر خمسين وسقاً ، ولربيعة بن الحارث مئة وسق وللصلت بن مخزومة وابنيه مئة وسق للصلت منها أربعون وسقاً ، ولأبى نبقة (٢) خمسين وسقاً ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقاً ، ولقيس بن مخزومة ثلاثين وسقاً ، ولأبى القاسم بن مخزومة أربعين وسقاً ، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنة الحصين بن الحارث مئة وسق ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وسقاً ولابن أوس بن مخزومة ثلاثين وسقاً ولمسطح بن أثانة وابن إلياس خمسين وسقاً ، ولأم رميثة أربعين وسقاً ، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقاً ، ولبحينة بنت الحارث ثلاثين وسقاً ، ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقاً ، ولأم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب (٣) ثلاثين وسقاً ، ولجماعة بنت أبى طالب ثلاثين وسقاً ، ولابن الأرقم خمسين وسقاً ، ولعبد الرحمن بن أبى بكر أربعين وسقاً ، ولحمئة بنت جحش ثلاثين وسقاً ، ولأم الزبير أربعين وسقاً ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقاً ولابن أبى خنيس ثلاثين وسقاً ولأم طالب أربعين وسقاً ، ولأبى بصرة عشرين وسقاً ، ولنميلة الكلبي خمسين وسقاً ، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقاً لابنيه منها أربعين وسقاً ، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقاً ، ولملكوم بن عبدة ثلاثين وسقاً ، ولنسائه ﷺ سبع مئة وسق .

* * *

(١) قال السهيلي فى الروض : وادى خلص .
 (٢) هو علقمة بن المطلب ، ويقال : عبد الله بن علقمة ، وقال أبو عمر : هو مجهول وقال ابن الفرضي : أبو نبقة بن المطلب بن عبد مناف ، واسم أبى نبقة : عبد الله ، ومن ولده محمد بن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبى نبقة ، ومن ولده : أبو الحسين المطلبى إمام مسجد رسول الله ﷺ وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبى نبقة بن المطلب بن عبد مناف .
 (٣) الصحيح أنها أم حكيم وهى بنت الزبير بن عبد المطلب أخت ضباغة ، وكانت تحت ربيعة بن الحارث ، أما أم الحكم فهى بنت أبى سفيان وهى من مسلمة الفتح ، وهى لم تشهد خيبر ولم تكن مسلمة وقتها .

ذَكَرُ مَا أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ مِنْ قَمَحٍ خَيْرٍ

* نَصِيبُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةَ :

قسم لهن مئة وسق وثمانين وسقا ، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقا ولأم رميثة خمسة أوسق . شهد عثمان بن عفان ، وعباس وكتب .

وصية الرسول عند موته : قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : لم يوص رسول الله ﷺ عند موته إلا بثلاث ، أوصى للرهاويين بجاد مئة وسق من خير ، والداريين بجاد مئة وسق ، من خير ، وللسبائيين ، وللأشعريين بجاد مئة وسق من خير ، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة ، وألا يترك بجزيرة العرب دينان .

خبر فذك : قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خير قذف الله الرعب في قلوب أهل فذك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خير ، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصلحونه على النصف من فذك ، فقدمت عليه رسلهم بخير ، أو بالطائف أو بعد ما قدم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فذك لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب (١) .

* * *

(١) ولكن يصلح لاقتال فيه .

تَسْمِيَةُ النَّفَرِ الدَّارِيِّينَ

الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر

وهم بنو الدار بن حبيب بن ثمارة بن لحم ، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام : تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعرفة بن مالك ، سماء رسول الله ﷺ عبد الرحمن .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن نعمان ، وجبله بن مالك ، وأبو هند بن بر ، وأخوه الطيب بن بر ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله .

فكان رسول الله ﷺ ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا ^(١) بين المسلمين ويهود ، فيخرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال : إن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاما واحداً ، ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله ، فكان جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بني سلمة ، هو الذي يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم ، حتى عدوا في عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل ، أخى بني حارثة ، فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري عن سهل بن أبي حثمة ، وحدثني أيضاً بشير بن يسار مولى بني حارثة ، عن سهل بن أبي حثمة ، قال : أصيب عبد الله بن سهل بخيبر ، وكان خرج إليها في أصحاب له يمتار منها تمراً ، فوجد في عين قد كسرت عنقه ، ثم طرح فيها ، قال فأخذوه فغيبوه ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ ، فذكروا له شأنه ، فتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمه حُوَيْصَةُ ومُحِيصَةُ ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنًا ^(٢) . وكان

(١) الخارص : الذي يقدر الشيء نظراً بلا وزن ولا كيل ، من الخرص : وهو الظن .

(٢) أى أصغرهم سنًا .

صاحب الدم . وكان ذا قدم في القوم . فلما تكلم قبل ابني عمه قال رسول الله ﷺ : الكبر الكبير (١) .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن عبد الرحمن بن بجيد بن قيطي : أخى بنى حارثة ، قال محمد بن إبراهيم . وايم الله (٢) ، ما كان سهل بأكثر علماً منه . ولكنه كان أسن منه . إنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلاً أوهم ، ما قال رسول الله ﷺ : احلفوا على ما لا علم لكم به . ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار أنه قد وجد قتيل بين أياتكم فدوه (٣) ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه . ولا يعلمون له قاتلاً فوداه (٤) رسول الله ﷺ من عنده .

* إجلاء اليهود عن خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بجيد إلا أنه قال في حديثه : ودوه أو ائذنوا بحرب ، فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ، فوداه رسول الله ﷺ من عنده .

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهري : كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم ، حين أعطاهم النخل على خرجها ، أبت ذلك لهم حين قبض أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرني ابن شهاب : أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسول الله ﷺ ، خمسها رسول الله ﷺ ، وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله ﷺ ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقركم ما أقركم الله ، فقبلوا ، فكانوا يعملونها ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة ، فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم في الخرص ، فلما توفى الله نبيه ﷺ ، أقرها أبو بكر رضي الله عنه ، بعد

(١) أي قدموا الأكبر .

(٢) أي أقسم بالله .

(٣) فعل أمر معناه ادفعوا ديته .

(٤) أي دفع ديته .

رسول الله ﷺ بأيديهم ، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ ، حتى توفي ، ثم أقرها عمر رضي الله عنه صدرًا من إمارته . ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ، ففحص عمر ذلك ، حتى بلغه الثبت ، فأرسل إلى يهود ، فقال إن الله عز وجل قد أذن في جلائكم ، قد بلغني أن رسول الله ، قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود به ، أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود ، فليتهجز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم .

* عمر يجلى اليهود من خير :

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا ، قال : فعدي على تحت الليل ، وأنا نائم على فراشي ، ففدعت^(١) يداي من مرفقي ، فلما أصبحت استصرخ على صاحباي ، فأتياي فسألاني : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدري ، قال : فأصلحنا من يدي ، ثم قدما بي على عمر رضي الله عنه ، فقال : هذا عمل يهود ، ثم قام في الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عدوهم على الأنصارى قبله ، لا نشك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به ، فإنني مخرج يهود فأخرجهم .

عمر يقسم وادي القرى : قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن مكنف ، أخى بنى حارثة ، قال : لما أخرج عمر يهود من خيبر ركب في المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بني مسلمة ، وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم - ويزيد بن ثابت ، وهما قسما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السهمان ، التي كانت عليها .

(١) الفدع : اعوجاج في المفاصل ، كأنها أزيلت عن أماكنها .

وكان ما قسم عمر بن الخطاب من وادى القرى (١) ، لعثمان بن عفان خطر (٢) . ولعبد الرحمن بن عوف خطر ، ولعمر بن أبى سلمة خطر ، ولعامر بن أبى ربيعة خطر ، ولعمر بن سراقه خطر .

قال ابن إسحاق : ولجبر بن عتيك نصف خطر ، ولابن الحارث بن قيس نصف خطر ، ولابن حزمة والضحاك خطر ، فهذا ما بلغنا من أمر خير ووادى القرى ومقاسمهما .

* * *

— ابن

حتى به

سفيتين

أمراته أ

الحبشة

شمس

خالد .

بأرض

أمية بن

فى خلا

أبوهم

خير ،

أسر :

العائدود

(١) وادى القرى : واد بين الشام والمدينة وبالتحديد بين تيماء وخيبر ، وفيه قرى كثيرة وسمى بذلك لكثرة القرى المنظومة به ، وقيل إن هذا الوادى كان فيه منازل عاد وثمود التى أهلكها الله عليهم ، ثم سكنها اليهود فهم ملعونون مثلهم .

(٢) قال ابن هشام : الخطر : النصيب .

قُدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة

وحديث المهاجرين معه

قال ابن إسحاق : وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ إلى النجاشى عمرو بن أمية الضمري فحملهم فى سفيتين ، فقدم بهم عليه وهو بخير بعد الحديبية .

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب (١) ، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية ، وابنه عبد الله بن جعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة . قتل جعفر بمؤته من أرض الشام أميراً لرسول الله ﷺ ، رجل .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة قتل خالد بمرج الصفر (٢) فى خلافة أبى بكر الصديق بأرض الشام ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرز الكناني ، هلكت بأرض الحبشة . قتل عمرو بأجنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو أحيحة :
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ يَا عَمْرُو سَائِلًا إِذَا شَبَّ وَأَشْنَتْ يَدَاهُ وَوَسْلَحًا
أَنْتَرَكْ أَمْرَ الْقَوْمِ فِيهِ بَلَابِلٌ تَكْشِفُ غَيْظًا كَانَ فِي الصَّدْرِ مُوجِحًا (٣)
ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص ، حين أسلما ، وكان أبوهما سعيد بن العاص هلك بالظريبة ، من ناحية الطائف ، هلك فى مال له بها :

(١) ذكر الشعبى أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه - أى عانقه - وقال : ما أدرى بأيهما أنا أسر : بفتح خيبر أم بقدم جعفر ؟! ولا يظن أن هذا الموضوع ذكر قبل ذلك فإن هؤلاء العائدون لا المسافرون وأثبتناه كما وجدناه . (٢) موضع بدمشق .

(٣) البلابل : الاضطراب ، موجحا : مستورا .

أَلَا لَيْتَ مَيْتًا بِالظَّرِيبَةِ شَاهِدٌ
لَمَا يَفْتَرَى فِي الدِّينِ عَمْرُو وَخَالِدٌ
أَطَاعَا بَنَّا أَمْرَ النِّسَاءِ فَاصْبَحَا
يُعِينَانِ مِنْ أَعْدَائِنَا مِنْ نَكَابِدِ

فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أَخِي مَا أَخِي لَا شَاتِمَ أَنَا عَرْضُهُ
يَقُولُ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ
فَدَعِ عَنْكَ مَيْتًا قَدْ مَشَى لِسَبِيلِهِ
وَأَقْبِلْ عَلَى الْأَدْنَى الَّذِي هُوَ أَفْقَرُ
وَلَا هُوَ مِنْ سُوءِ الْمَقَالَةِ مُقْصِرُ
أَلَا لَيْتَ مَيْتًا بِالظَّرِيبَةِ يُنْشَرُ

ومعيقب بن أبي فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان
إلى آل سعيد بن العاص ، وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، حليف آل عتبة
ابن ربيعة بن عبد شمس ، أربعة نفر .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الأسود بن نوفل بن خويلد .
رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : جهم بن قيس بن عبد شرحبيل ، معه ابنائه
عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود هلك
بأرض الحبشة ، وابنائه لها ، رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عامر بن أبي وقاص ، وعتبة بن مسعود ، حليف
لهم من هذيل . رجلان .

ومن بنى تميم بن مرة بن كعب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كانت معه
امراته ربيعة بنت الحارث بن جبيلة ، هلك بأرض الحبشة رجل .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عثمان بن ربيعة بن أهبان .
رجل .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب . محمية بن الجزء ، حليف لهم
من زبيد ، كان رسول الله ﷺ ، جعله على خمس المسلمين ^(١) . رجل .

(١) أى حارساً على الخمس من الغنيمة .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : معمر بن عبد الله بن نضلة رجل .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ،
ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، معه امرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان
ابن عبد شمس . رجلان .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط . رجل .
وقد كان حمل النجاشى معهم فى السفيتين نساء من نساء من هلك هنالك من
المسلمين .

فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أمية الضمري فى السفيتين ، فجميع
من قدم فى السفيتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلا .

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدم إلا بعد بدر ، ولم يحمل
النجاشى فى السفيتين إلى رسول الله ﷺ ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك
بأرض الحبشة ، من مهاجرة الحبشة (١) :

من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عبيد الله بن جحش بن رثاب
الأسدى أسد خزيمه ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى
سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبى سفيان ،
وكان اسمها رملة خرج مع المسلمين مهاجرا ، فلما قدم أرض الحبشة تنصّر (٢) بها
وفارق الإسلام ، ومات هنالك نصرانيا ، فخلف (٣) رسول الله ﷺ على امرأته
من بعده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج
عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلما ، فلما قدم أرض الحبشة تنصّر ، قال : فكان
إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال : فتحنا وصأصأتم ، أى قد

(١) أى الذين هاجروا إلى الحبشة .

(٢) تنصّر : أى دخل فى النصرانية واعتنق مبادئها وارتد عن الإسلام .

(٣) أى تزوجها النبى ﷺ بعده ، وأصبحت من أمهات المؤمنين ﷺ ، وروت كثيرا
من أحاديث الرسول ﷺ .

أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تبصروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صاصاً قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلاً : أى أنا قد فتحنا أعيننا فأبصرنا ، ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق: وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمه ، وهو أبو أمية بنت قيس التي كانت مع أم حبيبة ، وامراته بركة بنت يسار ، مولاة أبي سفيان ابن حرب ، كانتا ظئري^(١) عبيد الله بن جحش ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجروا إلى أرض الحبشة . رجلاً .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد ، قتل يوم حنين مع رسول الله ﷺ شهيداً ، وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد هلك بأرض الحبشة . رجلاً .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار . رجلاً .

ومن بنى زهرة بن كلاب بن مرة : المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، معه امراته رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد^(٢) ابن سهم هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبد الله بن عبد المطلب ، فكان يقال : إن كان لأول رجل ورث أباه في الإسلام . رجل .

ومن بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤى : عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم ، قتل بالقادسية^(٣) مع سعد بن أبي وقاص رجل .

من بنى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب : هبار بن سفيان بن عبد الأسد ،

(١) الظئر : هى التى ترضع غير ولدها .

(٢) ذكر فى بعض النسخ « سعد » ، وفيما يأتى « سعيد » وهو تحريف ، قال السهيلي فى الروض الأنف : وحيثما تكرّر نسب بنى عدى بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إسحاق : « سعيد » ، والناس على خلافه ، إنما هو سعد ، وإنما سعيد بن سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم .

(٣) معركة القادسية كانت فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب وكانت بين المسلمين والفرس ، وقائدها سعد بن أبي وقاص وانتصر المسلمون فيها .

قتل بأجنادين من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وأخوه عبد الله بن سفيان قتل عام اليرموك بالشام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشك فيه أقتل أم لا : وهشام ^(١) بن أبي حذيفة بن المغيرة ، ثلاثة نفر .

ومن بنى جمع بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : حاطب بن الحارث بن معمر ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمع ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المحلل . هلك ^(٢) حاطب هناك مسلماً . فقدمت امرأته وابناه وهي أمهما في إحدى السفينتين وأخوه حطَّاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار هلك هناك مسلماً فقدمت امرأته فكيهة في إحدى السفينتين وسفيان بن معمر بن حبيب وابناه جنادة وجابر وأمهما حسنة وأخوهما لأمهما شرحبيل ابن حسنة ^(٣) وهلك سفيان وهلك ابنه جنادة وجابر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ستة نفر .

ومن بنى سهم بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم الشاعر هلك بأرض الحبشة وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم قتل يوم اليمامة ^(٤) في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وهو (رسول) ^(٥) رسول الله صلی الله علیه وسلم إلى كسرى ، والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدى وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له سعيد بن عمرو وقتل بأجنادين في

(١) هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، واسم أبي حذيفة مهشم ، وذكر الواقدي هشاماً هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قيل فيه : هاشم ولم يذكره موسى بن عقبة ، ولا أبو معشر في القادمين من الحبشة .

(٢) هلك : مات .

(٣) حسنة أمه ولذلك وجب أن نضع الألف في ابن فنقول : شرحبيل ابن حسنة ؛ لأن القاعدة تقول تحذف ألف ابن إذا كانت بين علمين الثاني منهما أبو الأول ، وهنا أمه فوجب إثباتها .

(٤) أي معركة اليمامة وهي التي قُتل فيها مسيلمة الكذاب قتله وحشى - الذي قتل حمزة ابن عبد المطلب - وكان مسلماً يوم اليمامة ويقاقل في صفوف المسلمين .

(٥) أي سفير أو مبعوث الرسول صلی الله علیه وسلم .

خلافة أبي بكر رضي الله عنه وسعيد بن الحارث بن قيس قتل عام اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والسائب بن الحارث بن قيس ، جرح بالطائف مع رسول الله صلوات الله عليه ، وقتل يوم فحل^(١) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ويقال : قُتل يوم خيبر ، يشك فيه ، وعمير بن رثاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم ، قُتل بعين التمر مع خالد بن الوليد منصرفه من اليمامة ، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه . أحد عشر رجلاً .

ومن بني عدى بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . هلك بأرض الحبشة ، وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان ، هلك بأرض الحبشة رجلان .

وكان مع عدى ابنه النعمان بن عدى ، فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فاستعمله على ميسان ، من أرض البصرة فقال أبياتا من شعر ، وهى :

أَلَا هَلْ أَتَى الْحَسَنَاءُ أَنْ حَلِيلَهَا بِمِيسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَتَمٍ^(٢)
إِذَا شِئْتُ غَتَّتْنِي دَهَاقِينَ قَرْيَةٍ وَرَقَاصَةٍ تَجْثُو عَلَى كُلِّ مَنْسَمٍ^(٣)
فَإِنْ كُنْتُ نَدَمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمَتْسَلِمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ تَنَادَمْنَا فِي الْجَوْسُقِ الْمُتَهَدِّمِ^(٤)

فلما بلغت أبياته عمر ، قال : نعم والله ، إن ذلك ليسوؤنى ، فمن لقيه فليخبره أنى قد عزلته ، وعزله فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئا مما بلغك أنى قلته قط ، ولكنى كنت امرءاً شاعراً ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء ، فقال له عمر : وايم الله ، لا تعمل لى على عمل ما بقيت ، وقد قلت ما قلت .

(١) فحل : موضع بالشام كانت فيه معركة بين المسلمين والروم .

(٢) الحتم : جرار مصبوغة بخضرة .

(٣) الدهاقين : رؤساء الأقاليم ، تجثو : تبرك على ركبتيهما . والمنسم : فى الأصل طرف خف البعير ، فاستعاره هنا لطرف قدمها .

(٤) الجوسق : الحصن .

— ابن إسحاق — ١٧١ —

ومن بني عامر بن لؤى بن غالب بن فهر : سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر . وكان رسول الله ﷺ إلى هوزة بن علي الحنفي باليمامة . رجل .

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن غنم بن زهير بن أبي شداد ، وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن فهر ، وعياض بن زهير ابن أبي شداد ثلاثة نفر .

فجميع من تخلف عن بدر ، ولم يقدم على رسول الله ﷺ مكة ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشي في السفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا .

• الهالكون منهم :

وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من بني عبد شمس بن عبد مناف : عبيد الله بن جحش بن رثاب حليف بني أمية ، مات بها نصرانيا .

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصى : عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد .

ومن بني جمح : حاطب بن الحارث ، وأخوه حطاب بن الحارث .

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس .

ومن بني عدى بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف ، وعدى بن نضلة سبعة نفر .

ومن أبنائهم من بني تيم بن مرة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر رجل .

* * *

مُهَاجِرَاتِ الْحَبْشَةِ

وَجَمِيعٌ مِنْ هَاجِرٍ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ مِنَ النِّسَاءِ ، مِنْ قَدَمَ مِنْهُمْ وَمِنْ هَلَكَ هُنَالِكَ سِتْ عَشْرَةَ امْرَأَةً ، سِوَى بَنَاتِهِنَّ اللَّاتِي وَلَدْنَ هُنَالِكَ ، مِنْ قَدَمَ مِنْهُنَّ وَمِنْ هَلَكَ هُنَالِكَ وَمِنْ خَرَجَ بِهِ مَعَهُنَّ حِينَ خَرَجْنَ :

مِنْ قُرَيْشٍ ، مِنْ بَنِي هَاشِمٍ رُقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١) .

وَمِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ : أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ ، مَعَ ابْنَتِهَا حَبِيبَةَ ، خَرَجَتْ بِهَا مِنْ مَكَّةَ وَرَجَعَتْ بِهَا مَعَهَا .

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ : أُمُّ سَكَمَةَ بِنْتُ أُمِيَّةٍ ، قَدِمَتْ مَعَهَا بَزِينَةُ ابْنَتُهَا مِنْ أَبِي سَلَمَةَ وَلَدَتْهَا هُنَالِكَ .

وَمِنْ بَنِي تَيْمٍ بِنِ مَرْءَةٍ : رَيْطَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ جَبَلَةَ هَلَكَتْ بِالطَّرِيقِ وَبَنَاتَانِ لَهَا كَانَتْ وَلَدَتْهُمَا هُنَالِكَ عَائِشَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ وَزَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ هَلَكْنَ جَمِيعًا وَأَخُوهُنَّ مُوسَى بْنُ الْحَارِثِ مِنْ مَاءِ شَرْبِهِ فِي الطَّرِيقِ وَقَدِمَتْ بِنْتُ لَهَا وَلَدَتْهَا هُنَالِكَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ وَلَدِهَا غَيْرُهَا يُقَالُ لَهَا فَاطِمَةُ .

وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ بِنِ عَمْرٍو ، رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي عَوْفٍ بِنِ ضَبِيرَةَ .

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ : لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ بْنِ غَانِمٍ .

وَمِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ : سُودَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ ، وَسَهْلَةُ بِنْتُ سَهْلٍ بْنِ عَمْرٍو ، وَابْنَةُ الْمَجْلَلِ ، وَعَمْرَةُ بِنْتُ السَّعْدِيِّ بْنِ وَقْدَانَ ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ سَهْلٍ بْنِ عَمْرٍو .

وَمِنْ غُرَائِبِ الْعَرَبِ : أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيْسٍ بْنِ النُّعْمَانِ الْخَثْعَمِيَّةِ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ

(١) وَكَانَتْ زَوْجَةَ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . وَكَانَا مِنْ أَوَائِلِ الْمُهَاجِرِينَ

إِلَى الْحَبْشَةِ .

— ١٧٣ — ابن إسحاق

صَفْوَان بن أُمَيَّة بن محرث الكنانية ، وفكيهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ،
وحَسَنَة ، أم شرحبيل ابن حَسَنَة .

من وَلَد من أبنائهم بالحِشَّة : وهذه تسمية من وَلَد من أبنائهم بأَرْض الحِشَّة :
من بني عبد شمس : محمد بن أبي حُذَيْفَة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ،
وأخته أمة بنت خالد .

ومن بني مخزوم : زينب بنت أبي سلمة بن الأسد .

ومن بني زهرة : عبد الله بن المطلب بن أزهري .

ومن بني تيم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ،
وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبي حُذَيْفَة ، وسعيد
ابن خالد ، وعبد الله بن عبد المطلب ، وموسى بن الحارث .

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبي سلمة ، وعائشة وزينب
وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عُمْرَةُ الْقَضَاءِ

فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سَبْعٍ

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع وجماديين (١) ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوال ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ﷺ . ثم خرج في ذى القعدة في الشهر الذى صدره فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدره عنها .

• سَبَبُ التَّسْمِيَةِ :

ويقال لها عُمرة القصاص (٢) ، لأنهم صدوا رسول الله ﷺ في ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست . فاقص رسول الله ﷺ ، منهم ، فدخل مكة في ذى القعدة في الشهر الحرام الذى صدره فيه ، من سنة سبع .

(١) أى جمادى الأولى وجمادى الآخرة ولا نقول الثانية .

(٢) عمرة القصاص : ، وهذا الاسم ، أولى بها لقوله تعالى : ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ﴾ (البقرة : ١٩٤) ، وهذه الآية فيها نزلت ، فهذا الاسم أولى بها . وسميت عمرة القضاء لأن النبی ﷺ قاضى قريشا عليها ، لا لأنه قضى العمرة التى صدر عن البيت فيها فإنها لم تك فسدت بصددهم عن البيت بل كانت عمرة تامة متقبلة حتى إنهم حين حلقوا رءوسهم بالحل احتملها الريح فألفتها في الحرم ، فهي معدودة في عمر النبي ﷺ - وهي أربع : عمرة الحديبية ، عمرة القضاء ، عمرة الجعرانة ، والعمرة التى قرنها مع حجة الوداع ، وفي أصح القولين أنه كان قارنا في تلك الحجة وكانت إحدى عمره عليه السلام - في شوال كذلك . روى عروة عن عائشة وأكثر الروايات أنهن كن كلهن في ذى القعدة إلا التى قرن مع حجة كذلك روى الزهرى ، وانفرد معمر عن الزهرى بأنه عليه السلام كان قارنا ، وأن عمره كن أربعاً بعمرة القرآن وأما حجاته عليه السلام فقد روى الترمذى أنه حج ثلاث حججات ثنتين بمكة ، وواحدة بالمدينة وهي حجة الوداع . ولا ينبغي أن يضاف إليه في الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج مع الناس إذ كان بمكة كما روى الترمذى ، فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج ، وكما له ، لأنه كان مغلوباً على أمره وكان الحج منقولاً عن وقته ، كما تقدم في أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخرونه =

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله في ذلك : ﴿والحرمت قصاص﴾ .

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك ، هي سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدة .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن ابن عباس ، قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع ^(١) بردائه وأخرج عضده اليماني ، ثم قال : رحم الله امرأأ أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن ، وخرج يهرول ^(٢) ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واره البيت منهم ، واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هروول كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرهما . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم . وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم ، حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها ، فمضت السنة بها .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ^(٣) ناقته يقول :

= في كل سنة أحد عشر يوماً هذا هو الذى منع النبى - ﷺ - أن يحج من المدينة ، حتى كانت مكة دار إسلام ، وقد كان أراد أن يحج مقفله من تبوك ، وذلك بإثر فتح مكة ببسير ، ثم ذكر أن بقايا المشركين يحجون ، ويطوفون عراة فأخر الحج ، حتى نبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وذلك في السنة التاسعة ، ثم حج في السنة العاشرة بعد إنحاء رسوم الشرك ، وانحسام سير الجاهلية ، ولذلك قال في حجة الوداع : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .

والعمرة واجبة في قول أكثر العلماء ، وهو قول ابن عمر وابن عباس ، وقال الشعبي : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقرؤها : « وأتموا الحج والعمرة لله » بالرفع - أى رفع لفظ العمرة على جعل « والعمرة لله » كلاماً مستأنفاً لا يعطفها على الحج ، وقال عطاء : هي واجبة إلا على أهل مكة ، ويكره مالك أن يعتمر الرجل في العام مراراً ، وهو قول الحسن وابن سيرين ، وجمهور العلماء على الإباحة في ذلك ، وهو قول على وابن عباس وعائشة والقاسم ابن محمد . قالوا : يعتمر الرجل في العام ما شاء .

(١) اضطبع : أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطى به الأيسر .

(٢) يهرول : من الهرولة وهي فوق المشى ودون الجرى .

(٣) خطام ناقته : الحبل الذى تقاد به .

أبى
بنت
عبد

واه

عبد

قرية

فقاً

ترة

فى

—

قولا

خَلُّوا بَنَى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبُّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ أَعْرِفَ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ (١)
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ (٢)
ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيَذْهَلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

• زواج الرسول ﷺ بميمونة :

قال ابن إسحاق : وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح عن عطاء بن أبي رباح ومجاهد أبي الحجاج ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث (٣) في سفره وهو حرام (٤) ، وكان الذي روجه إياها (٥) العباس بن عبد المطلب .

فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس ، فزوجها رسول الله ﷺ بمكة ، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمئة درهم .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثا ، فاتاه حُوَيْطِبُ بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، في نفر من قريش ، في اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة ؛ فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبي ﷺ : وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه قالوا : لا حاجة لنا في طعامك ، فاخرج عنا . فخرج رسول الله ﷺ ، وخلف (٦) أبا رافع ، مولاه

(١) قيله : قوله .

(٢) ويروى : اليوم نضربكم على تأويله بسكون الباء ، وهو جائز في الضرورة ، نحو قول امرئ القيس : فالיום أشرب غير مستحقب .

(٣) أمها : هند بنت عوف الكنانية .

(٤) أي وهو مُحْرَم .

(٥) روجه إياها : أي كان وليها في عقد الزواج .

(٦) أي تركه وراءه .

على ميمونة ، حتى أتاه بها بسرف (١) ، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك ، ثم
انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة .
* * *

(١) مكان قرب التميميم وبسرف كانت وفاتها ﷺ حين ماتت ، وذلك سنة ثلاث
وستين ، وقبل سنة ست وستين ، وصلى عليها ابن عباس ، وي زيد بن الأصم : وكلاهما ابن
أخت لها ، ويقال : فيها نزلت ﴿ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَيْتَ لِنَفْسِكَ لُتْنِي ﴾ في أحد الأقوال ،
وذلك أن الخطيب جاءها ، وهي على بغيرها ، فقالت : البعير وما عليه لرسول الله ﷺ .
واختلف الناس في تزويجه إياها أكان محرماً أم حلالاً فروى ابن عباس أنه تزوجها محرماً ،
واحتج به أهل العراق في جمهور تكاح المحسرم ، وخالفهم أهل الخرج ، واحتجوا بنفيه
عليه السلام عن أن يتكح المحرم أو يتكح ، وزاد بعضهم فيه : أو يخطب من رواية مالك ،
وعارضوا حديث ابن عباس بحديث يزيد بن الأصم أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال ،
وخرج الدارقطني والترمذي أيضا من طريق أبي رافع أن النبي ﷺ تزوج ميمونة ، وهو
حلال . وروى الدارقطني من طريق ضعيف عن أبي هريرة أنه تزوجها وهو محرم كرواية ابن
عباس وفي مسند البزار من حديث مسروق وعائشة ﷺ ، قالت : تزوج رسول الله (ﷺ)
وهو محرم ، واحتجهم وهو محرم ، وإن لم تذكر في هذا الحديث ميمونة ، فتكاحها أرادت ،
وهو حديث غريب ، وخرج البخاري حديث ابن عباس ، ولم يعلله هو ، ولا غيره ، وروى
عن سعيد بن المسيب أنه قال : غلط ابن عباس أو قال وهم ، ما تزوجها النبي ﷺ إلا وهو
حلال ، ولما أجمعوا عن ابن عباس أن النبي ﷺ - تزوجها محرماً ، ولم ينقل عنه أحد من
المحدثين غير ذلك استغربت استغراباً شديداً ما رواه الدارقطني في السنن من طريق أبي الأسود
يتم عروة ، ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ تزوج ميمونة ،
وهو حلال ، فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره ، لفت عليها ، فإنها غريبة عن ابن عباس ،
وهناك من يتأول قول ابن عباس : تزوجها محرماً ، أي : في الشهر الحرام ، وفي البلد
الحرام ، وذلك أن ابن عباس رجل عربي فصيح ، فتكلم بكلام العرب ، ولم يرد الإحرام
بالحج ، وقد قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله ميخدولاً

وذلك أن قتله كان في أيام التشريق ، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس ، أو لا . عن
الروض الأثف :

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل في عمرة القضاء ، فيما حدثني أبو عبيدة ﴿ لَقَدْ
صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْوَيْلَا بِالْحَقِّ لَنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسِهِمْ
وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَالِفُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَيَجْعَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ يعني بحجيرة .

ذِكْرُ غَزْوَةِ مُوتَةَ (١)

فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانٍ ، وَمَقْتَلُ جَعْفَرِ بْنِ زَيْدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَوَلَّى تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ ، وَالْمَحْرَمَ وَصَفَرًا وَشَهْرَى رَجَبٍ ، وَبَعَثَ فِي جُمَادَى الْأُولَى بَعَثَهُ إِلَى الشَّامِ الَّذِينَ أَصْبَحُوا بِمُوتَةَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ إِلَى مُوتَةَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانٍ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَقَالَ : إِنْ أَصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ ، فَإِنْ أَصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى النَّاسِ .

• بَكَاءُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ وَشَعْرُهُ لِلرَّسُولِ :

فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ثُمَّ تَهَيَّأُوا لِلْخُرُوجِ ، وَهَمَّ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ خُرُوجَهُمْ وَدَعَ النَّاسَ أَمْرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ فَلَمَّا وَدَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ مَعَ مَنْ وَدَعَ مِنْ أَمْرَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَكَى ، فَقَالُوا : مَا يَبْكِيكَ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ ؟ فَقَالَ : مَا وَاللَّهِ مَا بَى حُبِّ الدُّنْيَا وَلَا صَبَابَةٍ (٢) بِكُمْ وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٣) ، فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ بَعْدَ الْوُرُودِ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : صَحِبَكُمْ اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ :

(١) وَهِيَ مَهْمُوزَةُ الْوَاوِ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ أَرْضِ الْبَلْسَاءِ . مِنَ الشَّامِ ، وَأَمَّا الْمَوْتَةُ بِلا هَمْزَةٍ ، فَهَرْبٌ مِنَ الْجَنُّونِ « وَفِي الْحَدِيثِ إِنْ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْسَخِهِ وَنَفَثِهِ » ، وَلَفْسُهُ رَأَى الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : نَفَثَهُ : الشَّعْرَ ، وَنَفَسَهُ : الْكَبْرَ ، وَهَمْزَةُ الْمَوْتَةِ .

(٢) الصَّبَابَةُ : الْوَلَهُ وَالْعَشَقُ .

(٣) سُورَةُ مَرْيَمَ : الْآيَةُ ٧١ .

ابن إسحاق —

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً
وَضَرْبَةَ ذَاتِ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا (١)
أَوْ طَعْنَةَ بِيَدِي حَرَّانَ مَجْهُزَةً
بِحَرْبَةٍ تَنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا (٢)
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرَوْا عَلَى جَدَّتِي
أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَارٍ وَقَدْ رَشَدَا (٣)

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيئوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ فودَّعه ، ثم قال :

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا أَتَاكَ مِنْ حَسَنٍ
تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ الْبَصَرِ
أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يَحْرُمُ نَوَافِلَهُ
وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَرَى بِهِ الْقَدْرَ

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَّفَ السَّلَامَ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتُهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مَشِيعٍ وَخَلِيلٍ

ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب ، من أرض البلقاء ، في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة يقال له : مالك بن رافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ ، فنخبره بعدد عدونا ، فلما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضي له .

قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التي تكرهون ، للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فلما هي إحدى الحسينين إما ظهور (٤) وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فمضى الناس ؛ فقال عبد الله بن رواحة في محبتهم ذلك :

(١) الفرج : السعة ، والزبد في الأصل الرغوة ، ويراد هنا شدة تدفق الدم .

(٢) المجهزة : التي تجهز عليه ، أى تسرع في قتله .

(٣) الجذث : القبر . (٤) ظهور : أى نصر .

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَا وَفَرَع	تُغَرُّ مِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ (١)
حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَّانِ سَبْتَا	أَزَلْ كَانَ صَفْحَـهُ أَدِيمَ (٢)
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانِ	فَاعْقَبَ بَعْدَ فَرْتَهَا جُمُومَ (٣)
فَرَحْنَا وَالْجِيَادُ مَسْمُومَاتُ	تَنْفَسُ فِي مَنَآخِرِهَا السَّمُومُ (٤)
فَلَا وَأَبَى مَابَ لَنَا تَيْنِـهَا	وَأِنْ كَانَتْ بِهَـا عَرَبُ وَرُومُ
فَعَبَانَا أَعْتَهَا فَجَاءَتْ	عَوَابِسُ وَالْغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ (٥)
بَذَى لَجَبٍ كَانَ الْبَيْضُ فِيهِ	إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ (٦)
فَرَاضِيَةُ الْمَعِيشَةِ طَلَقَتْـهَا	أَسْتَتَهَا فَتَنَكَّحَ أَوْ تَتِيمُ (٧)

(١) أَجَا : أحد جبلى طيىء والجبل الآخر سلمى . وفرع : مكان بأجا . تغر : تطعم مرة بعد أخرى . والعكوم : جمع عكم وهو الجنب .

(٢) أى حذونها نعالاً من حديد جعله سبباً لها ، مجازاً . وصوان من الصون ، أى يصون حوافرها ، أو أخفافها ، إن أراد الإبل ، فهو فعال من الصون ، فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها ، وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوان ييس الأرض أى لا سبت له إلا ذلك ، وورنه فعالان من قولهم : نخلة خاوية أى يابسة ، وعين الفعل فى صوان ولامه واو ، وأدخل صاحب العين - أى الخليل بن أحمد الفراهيدى - فى الصاد والواو والياء هذا اللفظ فقال : صوى يصوى : إذا ييس ، ونخلة صاوية ، ولو كان لامه ياء لقل فى صوان : صيان ، كما قيل طيان وريان ، ولكن لما انقلبت الواو ياءً من أجل الكسرة ظن الحرف من ذوات الياء .

(٣) معان بفتح الميم ، وهو اسم موضع ، وذكره البكرى بضم الميم ، وقال : هو اسم جبل ، والمعان أيضاً حيث تحبس الخيل والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أمعنت النظر ، أو من الماء المعين ، فيكون ورنه فعالاً ، ويجوز أن يكون من العون ، فيكون ورنه مفعلاً ، الفترة : السكون ، الجموم : اجتماع القوة .

(٤) السموم : الريح الحار .

(٥) البريم : أصل معناه : الخيط المفتول الذى فيه لوتان مختلطان ، وهنا يريد أن لون الخيل اختلط بلون التراب .

(٦) بذى لجب : أى بجيش ذى لجب أى مختلط الأصوات ، البيض : ما يوضع على الرأس من الحديد ليحميه ، القوانس : أعالي البيض .

(٧) تئيم : تبقى دون روج .

ابن إسحاق

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس . فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم ، قال : كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك مردلي على حقيبة رحله فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

إذا أدبنتي وحملت رجلي مسيرة أربع بعد الحساء (١)
فشانك نعم وخلاك دم ولا أرجع إلى أهلي ورأبي
وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتت في الثواء
ورددك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإنحاء
هناك لا أبالي طلع بعل ولا تخلص أسافلها رواء (٢)

فلما سمعتهم منه بكيت قال : فحفظني بالدرة . وقال : ما عليك يا لكع أن يروقني الله شهادة وترجع بين شعبي الرجل !

قال : ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يا زيدُ زيدُ اليعملات الذهب تطاول الليل هديت قانول (٣)

• لقاء الروم وحلفائهم :

قال ابن إسحاق : فمضى الناس ، حتى إذا كانوا يتخوم (٤) البلقاء لقيتهم جموع هرقل (٥) ، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا (٦) العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مروة ، فالتقى الناس عندها ، فتعباً

(١) الحساء : جمع حسن وهو ماء يختل في الرمل حتى يجد مكاناً صلباً فيستقر .

(٢) البعل : من يشرب بعروقه من الزرع دون ري ، وبعل أيضاً معناه : زوج ، ومنه

قوله : « وهذا بعل شيخنا » أي زوجي شيخنا كبيراً .

(٣) اللكع : اللثيم أو الأحق .

(٤) اليعملات : النوق السريعة ، والدبل : التي أهزلها السير .

(٥) التخوم : الحدود الفاصلة بين البلاد .

(٦) هرقل : ملك الروم - وكان نصرانياً .

(٧) دنا : اقترب .

— ابن إسحاق — ١٨٣ —

لهم المسلمون ^(١) فجعلوا على ميمتهم رجلاً من بنى عذرة ، يقال له : قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية بن مالك .

• استشهاد زيد بن حارثة :

قال ابن إسحاق ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براهة رسول الله ﷺ حتى شاط ^(٢) فى رماح القوم .

• استشهاد جعفر :

ثم أخذها جعفر ^(٣) فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه ^(٤) القتال اقتحم ^(٥) عن فرس له شقراء فعقرها ^(٦) ، ثم قاتل القوم حتى قتل . فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام ^(٧) .

وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثني أبي الذى أَرْضَعْنِي وكان أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة

(١) أى تجهزوا واستعدوا لهم . (٢) شاط : أى تورع .

(٣) أى أخذ الراية . (٤) ألحمه : وقع فيه فلم يجد له مخرجاً .

(٥) اقتحم عن فرسه :رمى نفسه من عليها .

(٦) عقرها : ضرب قوائمها بسيفه . ولم يعب ذلك عليه . فدل على جواره مخافة أن يأخذها العدو ، فيقاتل عليها المسلمون ، فلم يدخل هذا فى باب النهى عن تعذيب البهائم ، وقتلها عبثاً غير أن أبا داود نخرج هذا الحديث فقال : حدثنا النخعي قال : حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال حدثني : أبي الذى أَرْضَعْنِي ، وهو أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة ، قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتل .

قال : أبو داود : وليس هذا الحديث بالقوى ، وقد جاء فيه نهى كثير عن أصحاب النبي ﷺ .

(٧) قال ابن هشام : حدثني من ألقى به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعنقه حتى قتل ﷺ - وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأنابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء .

قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يَا حَبْدًا الْجَنَّةَ وَأَقْتَرَابَهَا طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابَهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابَهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَى إِذْ لَاقَيْتُهَا ضَرَابَهَا

• استشهاد عبد الله بن رواحة :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : حدثني أبي الذي أرضعني ^(١) ، وكان أخذ بني مرة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتُنْزِلَنَّ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتَكُنَّ رَهْنَةً
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّنَةَ مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ ^(٢)
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّةٍ ^(٣)

وقال أيضاً :

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقَتِّلِي تَمَوْتِي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتُ
وَمَا تَمْنَيْتُ فَقَدْ أُعْطِيْتُ إِنْ تَفَعَّلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتُ

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرًا : ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق ^(٤) من لحم فقال : شد بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس ^(٥) منه نهسة ، ثم سمع الحطمة ^(٦) في ناحية الناس ، فقال وأنت في الدنيا ؟ ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل . فإمارة خالد : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان ، فقال : يا معشر

(١) أبي الذي أرضعني : يقصد أن يقول : أبي من الرضاعة .

(٢) الرنة : صوت يشبه البكاء .

(٣) النطفة : الماء القليل الصافي . الشنة : السقاء البالي ، ضرب بذلك مثلاً بقصر

العمر . (٤) العرق : عظم عليه بعض اللحم .

(٥) انتهس : أخذ اللحم بمقدم أسنانه وتنشه .

(٦) الحطمة : كسر الناس لبعضهم .

المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم ، وخاشى^(١) بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

الرسول يتنبأ بما حدث^(٢) قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ قال : ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ ثم قال : لقد رفعوا إلى^(٣) في الجنة ، فيما يرى النائم ، على سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً^(٤) عن سريري صاحبه ، فقلت : عم هذا ؟ فقيل لى : مضياً وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى :

حزن الرسول على جعفر : قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أم عيسى الخزاعية ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس ، قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله ﷺ وقد طحنت أربعين منا وعجنت عجيني ، وغسلت بنى ودهنتهم ونظفتهم^(٥) . قالت : فقال لى رسول الله ﷺ : اتينى بنى جعفر ؛ قالت : فأتيته بهم ، فتشممهم وذرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، ما يبكيك ؟ أبلغك

(١) والمخاشاة : المحاجزة ، وهى مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم فقد قيل : كان العدو مائتى ألف من الروم ، وخمسين ألفاً من العرب ، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين ، وفى قول ابن إسحاق : وكان العدو مائة ألف وخمسين ألفاً : وقد قيل : إن المسلمين لم يبلغ عددهم فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف ، ومن رواه حاشى بالحاء المهملة ، فهو من الخشى ، وهى الناحية ، وفى رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبة فى المعارف أنه سئل عن قوله : حاشى بهم ، فقال : معناه : انحاز بهم .

(٢) وهذه من المعجزات الخاصة بالنبي ﷺ - أخبره الله بها وكشف عنه الحجاب ، وقد قال ذلك . قبل أن يأتية الخبر ولم يكن النبی معهم فجاء الخبر كما قال لهم ﷺ وصدق الله إذ يقول : ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

(٣) رفعوا إلى : أى كشف الله الحجاب عنه حتى رأهم يتنعمون فى الجنة .

(٤) الازورار : الميل .

(٥) بنى : أى أبنائى ، دهنتهم أى مشطتهم وأحسن هيئتهم وهندامهم .

ابن إسحاق

عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم . قالت : فقامت أصبح ، واجتمعت إلى النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله ، فقال : لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم ^(١) .

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء عنيننا وفتننا ، قال فارجع إليهن فأسكتهن قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك = قال : تقول وربما ضر التكلف أهله قالت : قال فذهب لأسكتهن ، فإن أبين فاحت في أفواههن التراب ، قالت : وقلت في نفسي : أبعدك الله ! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ قالت وعرفت أنه لا يقدر على أن يحثي في أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قطبة بن قتادة العذري ، الذي كان على ميمنة المسلمين قد حمل على مالك بن رافلة فقتله ، فقال قطبة بن قتادة :

طَعَنْتُ ابْنَ رَافِلَةَ بْنِ الْأَرَا
شٍ بِرُمُحٍ مَضَى فِيهِ ثُمَّ انْحَطَمُ ^(٢)
ضَرَبْتُ عَلَى جِيَدِهِ ضَرْبَةً
فَمَالَ كَمَا مَالَ غُصْنِ السَّلْمِ ^(٣)
وَسَقْنَا نِسَاءَ بَنِي عَاصِمٍ
غَدَاةَ رَقُوتَيْنِ سَقُوقِ النَّعْمِ ^(٤)
• كَاهِنَةٌ حَدَسَ وَمَقَالَتَهَا :

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنة من حدس ^(٥) حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً ، قد قالت لقومها من حدس ، وقومها بطن يقال لهم بنو غنم - أنذرهم قوماً خزرًا ^(٦) ، ينظرون شزرا ^(٧) ويقودون الخيل تترى ، ويهرقون

(١) وهذا أصل في طعام التعزية وتسميه العرب الوضيعة ، كما تسمى طعام العرس الوليمة ، وطعام القادم من السفر ، النقيعة ، وطعام الدخول في الزواج الكبيرة ، وكان الطعام الذي صنع لآل جعفر فيما ذكر الزبير ، في حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال : فعمدت سلمى مولاة النبي ﷺ إلى شعير ، فطحنته ، ثم آدمته بزيت وجعلت عليه فلفلاً ، قال عبد الله ، فأكلت منه ، وحسنى النبي ﷺ مع إخواني في بيته ثلاثة أيام .

(٢) انحطم : انكسر . (٣) السلم : شجر العضاء ، نوع من الأشجار تؤخذ منه الصبغة .

(٤) رقوتين : اسم موضع . (٥) حدس : قبيلة من لحم باليمن .

(٦) الخزر : من يضيّقون عيونهم وينظرون ، وهو الذي ينظر بمؤخرة عينه .

(٧) الشزر : نظر العداوة .

— ابن إسحاق — ١٨٧ —

دمًا عكرًا . فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لحم ، فلم تزل بعد أثرى حدس .
وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدس ، فلم يزالوا قليلاً بعد .
فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً .

• عودة الجيش والتقاء النبي بهم :

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ،
قال : فلما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون . قال : ولقيهم
الصبيان يشتدون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة . فقال : خذوا
الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر ، فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه .
قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون يا فرار ، فررتم في
سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله ﷺ ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن
شاء الله تعالى (١) .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عامر بن عبد الله بن
الزبير عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله عن أم سلمة زوج النبي ﷺ ،
قال : قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة : ما لي لا أرى
سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع
أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فرار ، فررتم في سبيل الله ، حتى قعد في
بيته فما يخرج .

* * *

(١) ورواية غير ابن إسحاق أنهم قالوا للنبي ﷺ : نحن الفرارون يا رسول الله ؟
فقال : بل أنتم الكرارون ، وقال لهم : أنا فئتكم ، يريد . أن من فر متحيزاً إلى فئة المسلمين
فلا حرج عليه ، وإنما جاء الوعيد فيمن فر عن الإمام ، ولم يتحيز إليه ، أى لم يلجأ إلى
حوزته ، فيكون معه فالمتحيز متفيعل من الحوز ، ولو كان وزنه متفعلاً كما يظن بعض الناس
لقيل فيه : متحور ، وروى أن عمر بن الخطاب حين بلغه قتل أبي عبيد بن مسعود وأصحابه
في بعض أيام القادسية ، قال : هلا تحيزوا إلينا ، فإننا فئة لكل مسلم .

ما قيل من الشعر في غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومخاشاته بالناس

وانصرافه بهم ، قيس بن المسحّر اليعمرى ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

قَوَالَهُ لَا تَنْفَكْ نَفْسِي تَلُومُنِي عَلَى مَوْقِفِي وَالْخَيْلَ قَابَعَةُ قُبُلُ^(١)

وَقَفْتُ بِهَا لَا مُسْتَجِيرًا فَنَافِذًا وَلَا مَانِعًا مَنْ كَانَ حَمَّ لَهُ الْقَتْلُ

عَلَى أَنْنِي آسَيْتُ نَفْسِي بِخَالِدٍ عَلَى خَالِدٍ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ

وَجَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ مِنْ نَحْوِ جَعْفَرٍ بِمُؤْتَةٍ إِذْ لَا يَنْفَعُ النَّابِلُ النَّبْلُ

وَضَمَّ إِلَيْنَا حِجْزَتَهُمْ كُلِيهِمَا مُهَاجِرٌ لَا مُشْرِكُونَ وَلَا عَزْلُ^(٢)

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا

الموت ، وحقق انحياز خالد بمن معه .

قال ابن إسحاق وكان مما بكى به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ

قول حسان بن ثابت :

شعر حسان في غزوة مؤتة :

وَهُمْ إِذَا مَا نَوْمَ النَّاسِ مَسْهَرُ

سَفُوحًا وَأَسْبَابُ الْبُكَاءِ التَّذَكُّرُ

وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يَتْلَى ثُمَّ يَصْبِرُ

شُعُوبٌ وَخُلُوفًا بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ

بِمُؤْتَةٍ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ

جَمِيعًا وَأَسْبَابُ الْمَنِيَّةِ تَخْطُرُ

إِلَى الْمَوْتِ مَيِّمُونَ النَّقِيَّةُ أَزْهَرُ

تَأَوَّبَنِي لِي——لْ يَثْرِبُ أَعْسَرُ

لِذَكَرَى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِي عِبْرَةً

بَلَى إِنَّ فَقْدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيَّةُ

رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا

فَلَا يَبْعُدَنَّ اللَّهُ قَتْلِي تَتَابَعُوا

وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا

غَدَاةً مَضَوْا بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ

(١) القُبْل : إقبال نظر كل من العينين على الآخر .

(٢) حِجْزَتِهِمْ : ناحيتهم .

أَغْرُ كَضْوِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالَ غَيْرِ مَوْسِدٍ
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابَهُ
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
هُمْ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسِ حَوْلَهُمْ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ
وَحُمَزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ
بِهِمْ تَفَرُّجُ الْأَوَاءِ فِي كُلِّ مَآزِقٍ
هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ
• شَعْرَ حَسَّانٍ فِي رِثَاءِ جَعْفَرٍ :

وقال حسان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :

وَلَقَدْ بَكَيْتُ وَعَزَّ مَهْلِكُ جَعْفَرٍ
وَلَقَدْ جَزَعْتُ وَقُلْتُ حِينَ نُعِيَتْ لِي
أَوْ الْبَيْضِ حِينَ تُسَلُّ مِنْ أَغْمَادِهَا
بَعْدَ ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ جَعْفَرٍ (٦)
رَزَاءً وَأَكْرَمَهَا جَمِيعًا مُحْتَدًا
لِلْحَقِّ حِينَ يَنْوِبُ غَيْرُ تَنْحُلٍ
حُبُّ النَّبِيِّ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
مِنْ لِلْجَلَادِ لَدَى الْعِقَابِ وَظَلَمًا (٤)
ضَرْبًا وَانْهَالِ الرُّمَاحِ وَعَلَّهَا (٥)
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلَهَا
وَأَعَزَّهَا مُتَظَلِّمًا وَأَذَلَّهَا
كَذِبًا ، وَأَنَسَدَا يَدَا ، وَأَقْلَهَا

(١) الرضام : الحجارة المرصومة ، وهي المجموعة فوق بعضها . الطود : الجبل .

(٢) البهاليل : السادة .

(٣) العماس : المظلم .

(٤) العقاب : اسم راية من رايات الرسول ﷺ .

(٥) الإنهال : الشرب الأول وعليها : شربها الثاني .

(٦) فاطمة هي بنت أسد بن هاشم أم سيدنا علي بن أبي طالب وأم جعفر .

فحشا ، وأكثرها إذا ما يَجْتَدِي فَضْلاً ، وأبذلها نَدَى ، وأبْلها (١)
بالعرف غير محمّد لآ مثله حَيٌّ من أحياء البرية كلها

• أَسْمَاءُ شُهَدَاءِ مُؤْتَةٍ :

من قريش ثم من بنى هاشم :

جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه - وزيد بن حارثة -- رضي الله عنه - .

• من بنى عدى :

ومن بنى عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة .

• من بنى مالك :

ومن بنى مالك بن حسل وهب بن سعد بن أبى سرح .

• من الأنصار :

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رَوَاحَة وعبادة

ابن قيس .

• من بنى غَنَمَ بن مالك بن النجار :

الحارث بن النعمان بن إساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .

• ومن بنى مَازَنَ بن النجار :

سراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء .

قال ابن هشام وعن استشهد يوم مؤتة فيما ذكر ابن شهاب .

• من بنى مَازَنَ بن النجار :

أبو كليب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول وهما لأب وأم .

• من بنى مالك بن أَفْصَى :

عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن

مالك بن أفصى .

* * *

(١) الاجتداء : طلب المعروف .

ذِكْرُ الْأَسْبَابِ الْمَوْجِبَةِ لِلْسِيرِ إِلَى مَكَّةَ ، وَذِكْرُ فَتْحِ مَكَّةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثته إلى مؤتة جمادى الآخرة
ورجبا .

ما وقع بين بنى بكر وخزاعة : ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على
خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوثير ، وكان الذى هاج ما بين
بنى بكر وخزاعة أن رجلا من بنى الحضرمي ، واسمه مالك بن عباد - وحلف
الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رزن ^(١) - خرج تاجرا ، فلما توسط أرض
خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة
فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزن الديلي - وهم مفخر
بنى كنانة وأشرفهم - سلمى وكلثوم وذؤيب - فقتلوهم بعرفة عند أنصاب
الحرم ^(٢) .

قال ابن إسحاق . وحدثني رجل من بنى الديل ، قال : كان بنو الأسود بن
رزن يودون في الجاهلية ديتين ديتين ، ونودي دية دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق : فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ،
وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، كان
فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم ، كما حدثني الزهري ، عن عروة بن
الزبير : عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من
أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل

(١) ذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أن أبا الوليد أصلحه : رزنا بكسر الراء ، قال :
والرزن : نقرة في حجر يمسك الماء ، وفي كتاب العين : الرزن أكمة تمسك الماء ، والمعنى
متقارب ، وذكر أن بنى رزن من بنى بكر ، وقد قيل فيه : الدئل .
(٢) أنصاب الحرم هنا : حجارة توضع بين الحل والحرم للفصل بينهما .

فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ،
ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وعهده .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الدليل من بنى بكر من
خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم بينى الأسود
ابن رزن ، فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الدليل ، وهو يومئذ قائدهم ،
وليس كل بنى بكر تابعه حتى بيت خزاعة وهم على الوتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم
رجلاً ، وتحاوروا واقتتلوا ، ورفدت بنى بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من
قريش من قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حاروا ^(١) خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا
إليه ، قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك ، فقال : كلمة
عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتسرقون فى
الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟! وقد أصابوا منهم ليلة بيتوهم بالوتير رجلاً يقال له
منبه وكان منبه رجلاً مفثوداً ^(٢) خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ،
وقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك فأما أنا فوالله إني لميت ، قتلوني أو تركوني ،
لقد انبت ^(٣) فؤادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبه فقتلوه ، فلما دخلت
خزاعة مكة ، لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء . ودار مولى لهم يقال له رافع ، فقال
تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه :

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِي نَفَاةٍ أَقْبَلُوا	يَغْشَوْنَ كُلَّ وَتِيرَةٍ وَحِجَابٍ ^(٤)
صَخْرًا وَرَزْنًا لَا عَرِيبَ سِوَاهُمْ	يَزْجُونَ كُلَّ مُقْلَصٍ خَنْابٍ ^(٥)
وَذَكَرْتُ ذَحْلًا عِنْدَنَا مُتْقَادِمًا	فِي مَا مَضَى مِنْ سَالَفِ الْأَحْقَابِ ^(٦)
وَنَشِيتُ رِيحَ الْمَوْتِ مَنْ تَلْقَائِهِمْ	وَرَهْبْتُ وَقَعَ مُهَنْدٍ قَضَابٍ ^(٧)

(١) حاروا : ساقوا . (٢) مفثوداً : ضعيف الفؤاد .

(٣) انبت : انقطع .

(٤) الوتيرة : الأرض الممتدة . الحجاب : ما اطمأن من الأرض .

(٥) لا عريب : لا أحد . المقلص : الفرس طويل القوائم ، منضم البطن . الخناب :

واسع المنخرين .

(٦) الدحل : طلب الثأر . (٧) نشيت : شممت .

وَعَرَفْتُ أَنْ مَنْ يَنْقَفُوهُ يَتْرَكُوا لَحْمًا لِمَجْرِيَةٍ وَشَلَوْ غُرَابٍ (١)
 قَوْمَتْ رَجُلًا لَا أَخَافُ عَثَارَهَا وَطَرَحْتُ بِالْمَتْنِ السَّعْرَاءِ ثِيَابِي (٢)
 وَنَجَوْتُ لَا يَنْجُو نَجَائِي أَحَقْب عِلَجَ أَقْبٍ مَشْمَرِ الْأَقْرَابِ (٣)
 تَلَحَّى وَلَوْ شَهِدَتْ لَكَانَ نَكِيرَهَا بَوْلًا يَبْلُ مُشَافِرَ الْقَبْقَابِ
 الْقَوْمُ أَعْلَمَ مَا تَرَكْتُ مِنْهَا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَاسَأَلِي أَصْحَابِي

قال ابن إسحاق : وقال الأخرز بن لعط الديلي ، فيما كان بين كنانة وذكر
 ذحلاً عندنا متقادماً عن أبي عبيدة ، وقوله « خَنَاب » و « عِلَجَ أَقْبٍ مَشْمَرِ الْأَقْرَابِ »
 عنه أيضاً .

• شعر الأخرز :

قال ابن إسحاق : وقال الأخرز بن لعط الديلي ، فيما كان بين كنانة وخزاعة
 فى تلك الحرب :

أَلَا هَلْ أَتَى قَضَى الْأَحَابِيشِ أَنَّنَا رَدَدْنَا بَنِي كَعْبٍ بِأَفُوقِ نَاصِلِ (٤)
 حَبَسْنَاهُمْ فِي دَارَةِ الْعَبْدِ رَافِعٍ وَعِنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبَسًا غَيْرَ طَائِلِ
 بِدَارِ الدَّلِيلِ الْآخِذِ الضَّيْمِ بَعْدَمَا شَقِينَا النُّفُوسَ مِنْهُمْ بِالْمَنَاصِلِ
 حَبَسْنَاهُمْ حَتَّى إِذَا طَالَ يَوْمُهُمْ نَفَّحْنَا لَهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْبٍ بِوَابِلِ (٥)
 نَذْبَحُهُمْ ذَبْحَ الثُّيُوسِ كَأَنَّنَا أُسُودٌ تُبَارَى فِيهِمْ بِالْقَوَاصِلِ

(١) المجرية : اللبوة التى لها أجراء أى أبناء . الشلو : بقية الجسد .

(٢) المتن : ظهر الأرض .

(٣) نجوت : أسرعت . والأحقب : جمار الوحش أبيض العجز . عِلَجَ : غليظ .

أَقْبٍ : ضامر البطن . مشمر الأقرب : منقبض الخواصر .

(٤) الأحابيش : من تعاهدوا مع قريش وليسوا منهم . الأفوق : السهم الذى انكسر

طرفه الذى يلى الوتر ، والناصل : الذى زال نصله .

(٥) نفحنا : وسعنا ، والشعب : ما استوى بين الجبلين . الوابل : فى الأصل المطر

الشديد وأراد به هنا الدفعة من الخيل .

هُمْ ظَلَمُونَا وَاعْتَدُوا فِي مَسِيرِهِمْ وَكَانُوا لَدَى الْأَنْصَابِ أَوَّلَ قَاتِلٍ
كَانَهُمْ بِالْجَزْعِ إِذْ يَطْرُدُونَهُمْ بِفَأَثُورِ حَفَانِ النِّعَامِ الْجَوَافِلِ (١)

خَزَاعَةُ تَسْتَنْجِدُ بِالرَّسُولِ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا تَظَاهَرَتْ بَنُو بَكْرِ وَقُرَيْشٌ عَلَى خَزَاعَةِ وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا أَصَابُوا ، وَنَقَضُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ بِمَا اسْتَحْلَوْا مِنْ خَزَاعَةٍ ، وَكَانُوا فِي عَقْدِهِ وَعَهْدِهِ ، خَرَجَ عَمْرُو بْنُ سَالِمِ الْخَزَاعِيِّ ثُمَّ أَحَدَ بَنِي كَعْبٍ ، حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا هَاجَ فَتَحَ مَكَّةَ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ ، فَقَالَ :

يَا رَبُّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدًا حَلَفَ آبَاؤُنَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا
قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا (٢)
فَانْصِرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا اعْتَدَا وَأَدْعَ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدًا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا إِنْ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمَوْكِدَا وَجَعَلُوا لِي فِي كُدَاءٍ رَصَدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا وَهُمْ أَذِلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
هُمْ بَيْتُونَا بِالْوَتِيرِ هَجَدَا وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا
يَقُولُ : قَتَلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا (٣)

(١) الجزع : ما انعطف من الوادى . بفأثور : اسم جبل بمكة .
(٢) يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك : قُصِيَّ أُمُّهُ : فَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدِ الْخَزَاعِيَّةِ . وَالْوَكْدُ بِمَعْنَى الْوَلَدِ : وَقَوْلُهُ : ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا . هُوَ مِنَ السَّلَامِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا آمَنُوا بَعْدَ ، غَيْرِ أَنَّهُ قَالَ : رُكَّعًا وَسُجَّدًا ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مَنْ صَلَّى لِلَّهِ ، فَقَتَلَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٣) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُرْوَى أَيْضًا :

فَانْصِرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَبَدَا

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : نُصرت يا عمرو بن سالم . ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان ^(١) من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب .

ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله ﷺ للناس : كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ، ويزيد في المدة . ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان ابن حرب بعسفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ ، ليشد العقد ، ويزيد في المدة ، وقد رهبوا الذي صنعوا ، فلما لقي أبو سفيان بديل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ ، قال : تسيرت في خزاعة في هذا الساحل ، وفي بطن هذا الوادي ، قال : أو ما جئت محمداً ؟ قال : لا ، فلما راح بديل إلى مكة ، قال أبو سفيان : لئن جاء بديل المدينة لقد علف بها النوى ، فأتى مبرك راحلته ، فأخذ من بعرها ففته ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً .

أبو سفيان يطلب الصلح : ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ، فقال : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ، قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه ، فلم يرد عليه شيئاً . ثم ذهب إلى أبي بكر ، فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها . وعندها حسن بن علي ، غلام يدب بين يديها ، فقال : يا علي ، إنك أمس القوم بي رحماً ، وإنني قد جئت في حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لي إلى

(١) عنان : سحاب .

رسول الله ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك أن تأمرى بُنيك هذا فيجبر بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بُنى ذلك أن يجبر بين الناس وما يجبر أحد على رسول الله ﷺ قال : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدت على ، فانصحنى قال : والله ما أعلم لك شيئاً ، ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك قال : أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان إلى المسجد ، فقال : أيها الناس ، إنى أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما رد على شيئاً ، ثم جئت ابن أبى قحافة ، فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو (١) .

قال ابن إسحاق : ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار على بشيء صنعته ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئاً أم لا ؟ قالوا : ويم أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجبر بين الناس ، ففعلت ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويلك ! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنك ما قلت . قال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

• الاستعداد لفتح مكة :

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاد ، وأمر أهله أن يجهزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها ، وهى تحرك بعض جهازى ﷺ ، فقال : أى بُنية : أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز . قال : فأين تريه يريد ؟ قالت : لا والله ما أدرى . ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها . فتجهز الناس .

فقال حسان بن ثابت يحرض الناس ، ويذكر مصاب رجال خزاعة :

(١) قال ابن هشام : أعدى العدو .

عَنَانِي وَكَمْ أَشْهَدَ بِيَطْحَاءَ مَكَّةَ
بَايَدِي رِجَالٍ لَمْ يَسْلُوا سَيُوفَهُمْ
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَنَالَن نَصْرَتِي
وَصَفْوَانِ عَوْدٍ حَزَّ مِنْ شَفَرِ اسْتِهِ
فَلَا تَأْمَنَّا يَا ابْنَ أُمِّ مُجَالِدٍ
وَلَا تَجْزَعُوا مِنَّا فَإِنْ سُوفُنَا
رِجَالٌ بَنَى كَعْبٌ تَحْزُرْقَابَهَا
وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تَجْنِ ثِيَابَهَا (١)
سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَخَزَاهَا وَعِقَابُهَا
فَهَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ شَدَّ عَصَابُهَا
إِذَا احْتَلَبْتَ صَرْفًا وَأَعْصَلَ نَابَهَا (٢)
لَهَا وَقَعَةٌ بِالْمَوْتِ يَفْتَحُ بَابَهَا

حَاطِبٌ يُحَذِّرُ أَهْلَ مَكَّةَ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَخَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ وَغَيْرِهِ مِنْ عِلْمَائِنَا ، قَالُوا : لَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ كِتَابًا إِلَى قُرَيْشٍ يَخْبِرُهُمْ بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَمْرِ فِي السَّيْرِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً ، زَعَمَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ أَنَّهَا مِنْ مَزِينَةَ ، وَزَعَمَ لِي غَيْرُهُ أَنَّهَا سَارَةُ ، مَوْلَاةٌ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، وَجَعَلَ لَهَا جُعْلًا عَلَى أَنْ تَبْلُغَهُ قُرَيْشًا ، فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسِهَا ، ثُمَّ قَتَلَتْ عَلَيْهِ قُرُونَهَا ، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ . وَاتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَبَرَ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبٌ ، فَبَعَثَ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَقَالَ : أَدْرَكَا امْرَأَةً قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ بَكْتَابَ إِلَى قُرَيْشٍ ، يَحْذَرُهُمْ مَا قَدْ أَجْمَعْنَا لَهُ فِي أَمْرِهِمْ ، فَخَرَجَا حَتَّى أَدْرَكَاهَا بِالْخَلِيقَةِ ، خَلِيقَةُ بَنِي أَبِي أَحْمَدَ ، فَاسْتَنْزَلَاهَا ، فَالْتَمَسَاهُ فِي رَحْلِهَا ، فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا ، فَقَالَ لَهَا عَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ : إِنِّي أَحْلَفُ بِاللَّهِ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا كُذِّبْنَا ، وَلَتُخْرِجَن لَنَا هَذَا الْكِتَابَ أَوْ لَنُكْشِفَنَّكَ (٣) فَلَمَّا رَأَتْ الْجَدَّ مِنْهُ ، قَالَتْ : أَعْرَضَ ، فَأَعْرَضَ ، فَحَلَّتْ قُرُونَ رَأْسِهَا ، فَاسْتَخْرِجَتْ الْكِتَابَ مِنْهَا فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ ، فَاتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبًا ، فَقَالَ : يَا حَاطِبُ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، مَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأَةً لَيْسَ لِي فِي الْقَوْمِ مِنْ أَصْلِ

(١) تَجْنُ : تَسْتَرُ ، يَرِيدُ أَنَّهُمْ قَتَلُوا وَلَمْ يَسْتَرُوا بِالْدَفْنِ .

(٢) أَعْصَلَ : أَعْوَجَ .

(٣) أَى نَكْشَفَ مَا عَلَيْكَ مِنْ مَلَابِسٍ وَنَفْتَشَكَ .

ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعنى فلاضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالى فى حاطب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾ ، إلى قوله : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ إلى آخر القصة (١) .

• خروج الرسول إلى مكة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم ، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام رسول الله ﷺ ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد ، بين عسفان وأمعج أفطر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين فسبعت (٢) سليم وبعضهم يقول ألف (٣) سليم ، وألفت مزينة ، وفى كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا يدرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ، وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله ﷺ ببعض الطريق .

إسلام أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أمية : قال ابن إسحاق : وقد كان

(١) سورة الممتحنة : الآية ١ : ٤ .

(٢) صارت سبعمائة .

(٣) ألف : صارت ألفاً .

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنيق العقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، قال : لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى ، فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال . قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سفيان بُنى له . فقال : والله ليأذن لى أو لآخذن بيدي بنى هذا ، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما ، ثم أذن لهما ، فدخلتا عليه ، فأسلما .

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله فى إسلامه ، واعتذر إليه مما كان مضى منه ، فقال :

لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ	لَعَمْرِكَ إِنِّ يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةَ
فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى وَأَهْتَدَى	لِكَالْمَدْلَجِ الْحِيرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
مَعَ اللَّهِ مِنْ طَرَدَتْ كُلُّ مُطْرَدٍ	هَدَانِي هَادٍ غَيْرَ نَفْسِي وَنَالِي
وَأَدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ	أَصْدُ وَأَنَايَ جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ
وَإِنْ كَانَ ذَا رَأَى يَلْمُ وَيَفْنَدُ (١)	هُمْ مَا هُمْ مِنْ لَمْ يَقْلُ بِهِوَاهِم
مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أَهْدِ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ (٢)	أُرِيدُ لَأَرْضِيهِمْ وَلَكُنْتُ بِلَايَطُ
وَقُلْ لثَقِيفِ تِلْكَ : غَيْرَى أَوْعَدَى	فَقُلْ لثَقِيفٍ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا
وَمَا كَانَ جَرًّا لِسَانِي وَلَا يَدِي (٣)	فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرًا
نَزَائِعَ جَاءَتْ مِنْ سِهَامٍ وَسَرَدٍ	قِبَائِلَ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ

● قِصَّةُ إِسْلَامِ أَبِي سُفْيَانَ :

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد (٤) رسول الله ﷺ قوله :

(١) يفند : يكذب .

(٢) لا ط : لصق .

(٣) جرا : جراء .

(٤) أى أنشد أبو سفيان لرسول الله ﷺ .

« ونالني مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله ﷺ في صدره ،
وقال : أنت طردتني كل مطرد .

فلما نزل رسول الله ﷺ من الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب .
فقلت : واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوا
فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر . قال : فجلست على بغلة رسول الله
ﷺ البيضاء . فخرجت عليها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلي أجد
بعض الخطابة ^(١) أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله
ﷺ ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة ، قال : فوالله إني
لأسير عليها ، والتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء :
وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً ، قال :
يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها ^(٢) الحرب . قال : يقول أبو سفيان : خزاعة
أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، قال : فعرفت صوته فقلت : يا
أبا حنظلة ، فعرف صوتي فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ، قال : ما لك ؟
فذاك أبي وأمي ، قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله ﷺ في
الناس ، واصباح قريش والله . قال : فما الحيلة ؟ فذاك أبي وأمي ، قال قلت :
والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتى بك
رسول الله ﷺ فاستأمنه لك ، قال : فركب خلفي ورجع صاحبه ، قال : فجئت
به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله
ﷺ وأنا عليها ، قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلته ، حتى مررت بنار عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إليّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز
الدابة ، قال : أبو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم
خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ . وركضت البغلة فسبقت بما تسبق الدابة البطيئة
الرجل البطيء ، قال : فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل
عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد
ولا عهد ، فدعني فلاضرب عنقه ، قال : قلت : يا رسول الله ، إني قد أجرته ،

(١) الذين يجمعون الخطب .

(٢) أحرقتها .

ثم جلست إلى رسول الله ﷺ ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يتاجيه الليلة دوني رجل ، فلما أكثر عمر في شأنه ، قال : قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن لو كان من بني عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف ، فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله ﷺ : اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأنتى به . قال : فذهبت به إلى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئاً . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل إن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ^(١) ، فاجعل له شيئاً . قال : نعم ^(٢) ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : يا عباس ، احبسه بمضييق الوادى عند خطم الجبل ^(٣) ، حتى تمر به جنود الله ^(٤) فيراها . قال : فخرجت حتى حبسته بمضييق الوادى ، حيث أمرنى رسول الله ﷺ أن أحبسه .

عَرَضَ الجيش على أبى سفيان : قال : ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : ما لى وسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : ما لى ولمزينة ، حتى

(١) أى الاعتزاز وارتفاع مكانته .

(٢) وهذا دليل على أن الرسول ﷺ كان ينزل الناس منازلهم ويعرف لهم حقهم وقدرهم وكل ذلك لأجل تأليف القلوب ، وهى أخلاق وجب على المسلم التحلى بها .

(٣) الخطم : الأنف وهى شئ يخرج من الجبل يضيق به الطريق .

(٤) أى جيش المسلمين وأبطال الموحدين والذين نصرروا الدين وآزروا رسول

رب العالمين .

نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا يسألني عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : ما لي ولبنى فلان ، حتى مر رسول الله ﷺ وسلم في كتيبة الخضراء .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ، قال : قلت يا أبا سفيان ، إنها النبوة قال : فنعم إذن ^(١) .

• تحذير أبي سفيان أهل مكة :

قال : قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم ^(٢) به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمس ^(٣) قبح من طليعة قوم قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد ^(٤) .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء وأن رسول الله

(١) وهذه شهادة منه لقوة الإسلام وقوة الرسول ﷺ والمسلمين وتأيد الله لهم .

(٢) أى لا طاقة لكم به .

(٣) الحميت : الزق ، نسبة إلى الضخم والسمن ، والأحمس الذى لا خير عنده ، من قولهم عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر ، وزاد عبد بن حميد فى حديثه أنها قالت : يا آل غالب اقتلوا الأحمق ، فقال لها أبو سفيان . والله لتسلمن أو لأضربن عنقك ، وفى إسلام أبى سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدتها ، ثم استقرأ على نكاحهما ، وكذلك حكيم ابن حزام مع امرأته حجة للشافعى ، فإنه لم يفرق بين أن تسلم قبله أو يسلم قبلها ، ما دامت فى العدة وفرق مالك بين المسألتين على ما فى الموطأ وغيره .

(٤) ويدل هذا على أنهم خضعوا وسلموا واستسلموا .

ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى أن عثونه ليكاد يمس واسطة الرجل .

• إسلام أبي قحافة :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنة (١) له من أصغر ولده : أي بنية اظهرى بى على أبي قيس (٢) قالت : وقد كف بصره .

قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أي بنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك مُقبلاً ومُدبراً ، قال : أي بنية ، ذلك الوازع يعنى الذى يأمر الخيل ، ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دفعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى ، فانحطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طوق من ورق (٣) ، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه ، يقوده فلمـاً رآه رسول الله ﷺ قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتـيه فيه ؟ قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت . قال : قالت : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلم ، فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر ، وكأن رأسه ثغامة (٤) ، فقال رسول الله ﷺ : غيروا هذا من شعره (٥) ،

(١) واسمها : أم فروة زوجة تميم الدارى ومن بعده الأشعث بن قيس . أو هى قرية تزوجها قيس بن سعد بن عبادة .

(٢) أبو قيس : جبل بمكة .

(٣) الطوق : القلادة تطوق العنق . الورق : الفضة .

(٤) الثغامة : واحدة الثغام ، نبات أبيض الشجر والزهر ، يشتد بياضه إذا يبس .

(٥) هو على الندب ، لا على الوجوب ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام

أنه لم يغير شيبه ، وقد روى من طريق أبي هريرة أنه خضب . وقال من جمع بين الحديتين : إنما كانت شيبات يسيرة يغيرها بالطيب . وقال أنس : لم يبلغ النبى ﷺ حد الخضاب وفى البخارى عن عثمان بن موهب : قال : أرتنى أم سلمة شعراً من شعر رسول الله ﷺ - وفيه أيضاً عن ابن موهب قال : بعثنى أهلى بقدح إلى أم سلمة ، وذكر الحديث ، وفيه اطلعت فى =

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ، فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أى أختية ^(١) احتسبى طوقك ، فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

• دخول مكة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرق جيشه من ذى طوى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كُدَى ، وكان الزبير على المجنبه اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء ^(٢) .

• تخوف المهاجرين على قُريش من سَعْد :

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلاً ، قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمه ، فسمعها رجل من المهاجرين ^(٣) .

= الجلجل فرأيت شعرات حمراً ، وهذا كلام مشكل وشرحه فى مسند وكيع بن الجراح قال : كان جلجلا من فضة صنع صيوناً لشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله ﷺ . فإن قيل فهذا يدل على أنه كان مخضوب الشيب ، وقد صح من حديث أنس وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنما كانت شعيرات تُعد .

فالجواب : أنه لما توفى خضب من عنده شئ من شعره : تلك الشعرات ليكون أبقى لها كذلك . قال الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ له ، وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم ، وكان عمر يخضب بالصفرة ، وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر . ^(١) تصغير أخت .

^(٢) هى ثنية كداء ، بفتح الكاف والمد ، وهى بأعلى مكة ، وكُدَى من ناحية عرفة ، وبمكة موضع ثالث يقال له : كُدا ، بضم الكاف والقصر وأنشدوا فى كَدَاء ، وكُدَى : أقفرت بعد عبد شمس كداء فكُدَى فالركن والبطحاء

ويكداء وقف إبراهيم - عليه السلام - حين دعا لذريته بالحرم ، كذلك روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ، فقال : ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ﴾ فاستجيب دعوته ، وقيل له : ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً ﴾ ألا تراه يقول : يأتوك ، ولم يقل : يأتونى ، لأنها استجابة لدعوته فمن ثم - والله أعلم - استجب النبى ﷺ إذا أتى لمكة أن يدخلها من كداء لأنه الموضع الذى دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم .

^(٣) قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب .

— ابن إسحاق — ٢٠٥ —

فقال : يا رسول الله : اسمع ما قال سعد بن عباد ، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة ، فقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب : أدركه ، فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها (١) .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه . أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ، فدخل من الليط ، أسفل مكة ، في بعض الناس . وكان خالد على المجنبه اليمنى ، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله ﷺ ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هنالك قبته .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر : أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخدمة ليقاتلوا ، وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر ، يعد سلاحا قبل دخول رسول الله ﷺ ، ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله أنى لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال :

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عَلَّهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَإِلَّاهُ (٢)
وَذُو غَرَارِينَ سَرِيعَ السَّلَّةِ (٣)

ثم شهد الخدمة مع صفوان وسهيل وعكرمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال ، فقتل كرز بن جابر ، أحد بني محارب ابن فهر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بني منقذ ، وكانا في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعاً ، قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر ، فجعله كرز بن جابر بين رجله ، ثم قاتل عنه حتى قتل ، وهو يرتجز ويقول :

(١) وهذا خير دليل على سماحة ورحمة الرسول وأنه لا يريد إراقة دماء .

(٢) الإلهة : الحربة ذات السنان الطويلة .

(٣) غرارين : حدين .

قَدْ عَلِمَتْ صَفْرَاءُ مِنْ بَنِي فَهْرٍ نَقِيَّةَ الْوَجْهِ نَقِيَّةَ الصَّدْرِ^(١)

لأَبْنِ الْيَوْمِ عَنْ أَبِي صَخْرٍ

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر ، قالوا : وأصيب من جهينة سلنة بن الميلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلاً ، أو ثلاثة عشر رجلاً ، ثم انهزموا ، فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ، ثم قال لامراته : اغلقي على بابي قالت : فأين كنت تقول ؟ فقال :

إِنَّكَ لَوْ شِئْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ	إِذْ فَرَّ صَفْرَاءُ وَفَرَّ عِكرِمَهُ
وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمَوْتِ	وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةُ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُجُمِهِ	ضَرْبًا فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا غَمَ غَمَهُ ^(٢)
لَهُمْ نَهْيَتْ خَلْفَنَا وَهَمَّهُمْ	لَمْ تَنْطَقِ فِي اللَّيْلِ أَدْنَى كَلِمَةٍ ^(٣)

• شعار المسلمين يوم فتح مكة :

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحنين والطائف ، شعار المهاجرين : يا بني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بني عبد الله ، وشعار الأوس : يا بني عبيد الله .

• الذين أمر النبي ﷺ بقتلهم :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد في نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد أخو بني عامر بن لؤي .

(١) قوله : من بني فهْر بكسر الهاء وأبو صخر : هذا على مذهب العرب في الوقف على ما أوسطه ساكن ، فإن منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل في الوقف ، وذلك إذا كان الاسم مرفوعاً أو مخفوضاً ولا يفعلون ذلك في النصب وعلله مستقصاة في كتب النحو فانظرها .

(٢) الغمغمة : أصوات غير مفهومة .

(٣) النهيت : صوت الصدر ، والهمهمة : صوت في الصدر أيضاً :

• السبب الذي دعا الرسول إلى الأمر بقتل عبد الله بن سعد :

وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي ، فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش ، ففر إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له ، فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً ، ثم قال : نعم ، فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلى يا رسول الله ؟ قال : إن النبي لا يقتل بالإشارة (١) .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خطل رجل من بنى تميم بن غالب ، وإنما أمر بقتله إنه كان مسلماً ، فبعثه رسول الله ﷺ مصداً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً ، فنزل منزلاً ، وأمر المولى أن يذبح له تيساً (٢) ، فيصنع له طعاماً ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع شيئاً ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركاً .

• أسماء من أمر النبي ﷺ بقتلهم :

وكانت له قبتان : فرتنى وصاحبتهما ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه .

والخويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي ، وكان ممن يؤذيه بمكة (٣) .

قال ابن إسحاق ومقيس بن صبابه : وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله ، لقتل الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركاً ، وسارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، وعكرمة بن أبي جهل ، وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت

(١) قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ذلك فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

(٢) التيس : الذكر من المعز والظباء إذا أتى عليه عام . انظر المعجم الوجيز ص ٨٠ .

(٣) قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ

من مكة يريد بهما المدينة فنخس بهما الخويرث بن نقيذ فرمى بهما إلى الأرض .

له من رسول الله ﷺ فأمّنه ، فخرجت في طلبه إلى اليمن ، حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فأسلم ، وأما عبد الله بن خطل ، فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي ، اشتركا في دمه ، وأما مقيس بن صبابه فقتله غيلة ابن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مقيس في قتله :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْزَى نُمَيْلَةَ رَهْطُهُ وَفَجَعَ أَضْيَافَ الشَّتَاءِ بِمَقْيِسِ
فلله عيناً من رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تخرس^(١)

• ما قاله عليه السلام على باب الكعبة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة ودم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة ، مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها . يا معشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾^(٢) الآية كلها . ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل فيكم ، قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء^(٣) .

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد ، فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله : اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان : اليوم يوم بر ووفاء^(٤) .

(١) التخريس : نوع من الطعام يصنع للمرأة بعد ولادتها .

(٢) الحجرات : الآية ١٣ .

(٣) وهذا قمة العفو عند المقدرة والصفح الجميل مع القدرة على قطع رقابهم وكان بإمكان النبي ﷺ إشارة لأصحابه أن يقتلوهم جميعاً .

(٤) قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح : فرأى فيه صورة الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزام ؟ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين . ثم =

• قصة خراش مع قاتل أحمر :

قال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن أبي سندر الأسلمي ، عن رجل من قومه قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا . وكان رجلاً شجاعاً ، وكان إذا نام غط غطيظاً^(١) منكراً لا يخفى مكانه ، فكان إذا بات في حيه بات معتزاً^(٢) ، فإذا بات الحى^(٣) صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد لا يقوم لسبيله شيء ، فأقبل غزى من هذيل يريدون حاضره^(٤) حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلي : لا تعجلوا حتى أنظر ، فإن كان في الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فإن له غطيظاً لا يخفى ، قال فاستمع ، فلما سمع غطيظه مشى إليه حتى وضع السيف في صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغد من يوم الفتح ، أتى ابن الأثوع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شركه ، فرأته خزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدر مكة ، يقولون : أنت قاتل أحمر ، قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فمه ؟ قال : إذا أقبل خراش بن أمية مشتملاً على السيف ، فقال : هكذا عن الرجل^(٥) والله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه ، فلما انفرجنا عنه حمل عليه فطعنه بالسيف في بطنه ، فوالله لكأنى أنظر إليه وحشوته^(٦) تسيل من بطنه ، وإن عينيه لترنقان^(٧) في رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يا معشر خزاعة ؟ حتى انجعف^(٨) . فقال رسول الله ﷺ : يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتال ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأدينه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي ، عن سعيد بن

المسيب .

= أمر بتلك الصور كلها فطمست ، وذكر ابن هشام أيضاً أن رسول الله ﷺ صلى بالكعبة ومعه بلال .

- (١) الغطيظ : ما يسمع من صوت الإنسان إذا نام .
- (٢) معتزاً : منفرداً .
- (٣) بيت : غزى ليلاً .
- (٤) الحاضر : النازلون على الماء .
- (٥) أى تنحوا عنه .
- (٦) حشوته : ما اشتعل عليه جوفه من الأحشاء .
- (٧) ترنقان : قربنا على الانغلاق .
- (٨) انجعف : سقط بكل ثقله .

قال : لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية قال : إن خراشاً لقتال ، يعيبه لذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي شريح الخزاعي ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير ^(١) مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جثته ، فقلت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله ﷺ ، حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً ، فقال : يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك فيها دماً ، ولا يعضد ^(٢) فيها شجراً لم تحلل لأحد كان قبلي ، ولا تحل لأحد يكون بعدي ، ولم تحل لي إلا هذه الساعة ، غضباً على أهلها ألا ، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله ﷺ قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحللها لكم ، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع . لقد قتلتم قتيلاً لأدينه ، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين . إن شاءوا قدم قاتله ، وإن شاءوا فعقله ^(٣) ، ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبي شريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالغ طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إني كنتُ شاهداً وكنتُ غائباً ، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتكَ ، فأنت وشأنك ^(٤) .

(١) هذا وهم من ابن هشام . وصوابه : عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وهو الأشدق . . . وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائي في روايته ، من أجل أن عمرو ابن الزبير كان معادياً لأخيه عبد الله ومعيناً لبني أمية ، هذا ما ذهب إليه السهيلي في الروض الأنف : (٢) يعضد : يقطع . (٣) عقله : أي أخذ دية ، العقل : أخذ الدية . (٤) قال ابن هشام : وبلغني عن يحيى بن سعيد : أن النبي ﷺ حين فتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أهدت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله ﷺ ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قتلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي ﷺ : معاذ الله ! المحيا محياكم ، والممات مماتكم .

— ابن إسحاق — ٢١١ —

وأما قيتنا ابن خطل فقتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد ، فأمنها ، وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هند ، عن أبي مرة ، مولى عقيل بن أبي طالب ، أن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة ، فرأى إلى رجلان من أحمائي ، من بني مخزوم ، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، قالت : فدخل علي علي بن أبي طالب أخى ، فقال : والله لأقتلهما ، فأغلقت عليهما باب بيتي ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إلى ، فقال : مرحبا وأهلا يا أم هانئ ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي ، فقال : قد أجرنا من أجرت ، وأمنا من أمنت ، فلا يقتلهما .

الرسول يدخل الحرم : قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صفية بنت شيبة ، أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة ، واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحلته ، يستلم الركن بمحجن^(١) في يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس^(٢) في المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ، ألا كل مأثرة^(٣) أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سdanaة^(٤) البيت .

(١) المحجن : عصا معقفة الرأس .

(٢) استكف : اجتمع .

(٣) المأثرة : ما يتحدث به من المكارم .

(٤) السdanaة : الخدمة .

• الرسول ﷺ يُعْطِي الْأَمَانَ لَصَفْوَانَ :

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك ، ليقذف نفسه في البحر فأمنه صلى الله عليه وسلم ، قال : هو آمن ، قال : يا رسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك ، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل بها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : يا صفوان فذاك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئت بك به ، قال : ويحك ! أغرب عني فلا تكلمني ، قال : أي صفوان ، فذاك أبي وأمي أفضل الناس ، وأبرُّ الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، ومملكه ملكك ، قال : إني أخافه على نفسي ، قال : هو أحلم من ذاك وأكرم . فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله ﷺ فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني قال : صدق ، قال : فاجعلني فيه بالخيار شهرين ، قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر (١) .

إسلام رؤوس أهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري : أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وفاخته بنت الوليد - وكانت فاخنة عند صفوان بن أمية ، وأم حكيم عند عكرمة بن أبي جهل - أسلمتا ، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله ﷺ لعكرمة ، فأمنه فلحقت به باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : قال : رمى حسان : ابن الزبيري وهو بنجران بيت واحد ما زاده عليه :

لَا تَعْدِمَنَّ رَجُلًا أَحْلَكَ بَغْضُهُ نَجْرَانٌ فِي عَيْشٍ أَحَدٌ لَيْمٍ (٢)

فلما بلغ ذلك ابن الزبيري خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، فقال حين أسلم :

(١) وهذا خير دليل على كرم الرسول ﷺ وعفوه وسماحته .

(٢) الأخذ : القليل .

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي
إِذَا أَبَارَى الشَّيْطَانَ فِي سِنَنِ الْغَى
رَأَيْتُ مَا فَتَقْتُ إِذَا أَنَا بُورٌ (١)
وَمَنْ مَالٌ مِثْلَهُ مَثْبُورٌ (٢)
أَمِنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَ لِرَبِّي
إِنِّي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيًّا
ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدَ أَنْتَ النَّذِيرُ
مَنْ لَوْى وَكَلَّهْمَ مَغْرُورُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبير أيضا حين أسلم :

مَنْعَ الرُّقَادِ بَلَابِلَ وَهُمْ—
مِمَّا أَتَانِي أَنْ أَحْمَدَ لِأَمْنِي
وَاللَّيْلِ مُعْتَلِجَ الرِّوَاقِ بِهَيْمِ (٣)
فِيهِ فَبِتُّ كَأَنِّي مَحْمُومٌ
عِيرَانَةَ سَرَحِ الْيَدَيْنِ غَشُومٌ (٤)
إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الْوَدَى
أَيَّامَ تَأْمُرُنِي بِأَغْوَى خَطَاةٍ
أَسَدَيْتُ إِذَا أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمُ
سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْزُومٌ
وَأَمِدَ أَسْبَابَ الرَّدَى وَيَقُودُنِي
قَالِيَوْمَ آمَنُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
مَضَتْ الْعَدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا
فَاغْفِرْ— فَدَى لَكَ وَالْدَايَ كِلَاهُمَا
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِكِ عِلَامَةٌ
أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بُرْهَانُهُ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنْ دِينَكَ صَادِقٌ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنْ أَحْمَدَ مُصْطَفَى
قَرَمَ عَلَا بَنِيَانَهُ مِنْ هَاشِمِ

(١) الراتق : الساد . بور : هالك .

(٢) أبارى : أجارى . مثبور : هالك .

(٣) البلابل : وساوس الأحزان . معتلج : مضطرب ، والبهيم : شديد الإظلام .

(٤) العيرانة : الناقة الشديدة تشبه العير . سرح اليدين : شديدتهما . غشوم : لا ترد

عن وجهها .

(٥) القرم : السيد . الأروم : مفردهما أرم وهو الأصل .

● بقاء هُبيرة على كُفره :

قال ابن إسحاق : وأما هُبيرة بن أبي وهب المخزومي فأقام بها حتى مات كافراً ، وكانت عنده أم هانئ بنت أبي طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانئ :

أشأقتك هند أم أتك سؤالها
وقد أرقّت في رأس حصن مُمنع
وعاذلة هبت بلبيل تلو منى
وتزعّم أنى إن أطعت عشيرتى
فإنى لمن قوم إذا جدّ جدّهم
وإنى لحام من وراء عشيرتى
وصارت بأيديها السيوف كأنها
وإنى لأقلى الحاسدين وفعلهم
وإن كلام المرء فى غير كُنهه
فإن كنت قد تابعت دين محمد
فكونى على أعلى سحيق بهضبة
كذاك النوى أسبابها وانفتالها (١)
بنجران يسرى بعد ليل خيالها
وتعذلى بالليل ضل ضلالها
سأردى وهل يردّين إلا ريالها (٢)
على أى حال أصبح اليوم حالها
إذا كان من تحت العوالى مجالها (٣)
مخاريق ولدان ومنها ظلالها (٤)
على الله رزقى نفسها وعيالها
لكانبل تهوى ليس فيها نصالها
وعطفت الأرحام منك حبالها
مكلمة غبراء يبس بلالها (٥)

قال ابن إسحاق : ويروى : « وقطعت الأرحام منك حبالها » .

عدة من فتح مكة : قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف . من بنى سليم سبعمائة . ويقول بعضهم : ألف ، ومن بنى غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأَنْصار وحلفائهم ، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

(١) انفتالها : قلبها من حال إلى حال .

(٢) يردّين : أى يهلكن ، ريالها : ذهابها .

(٣) العوالى : الرماح .

(٤) المخاريق : ما يلعب به الأطفال من الخرق المقتولة .

(٥) مكلمة : مستديرة .

ما قيل من الشعر في فتح مكة : وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول
حسان بن ثابت الأنصاري :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلأ (١)
ديار من بنى الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء (٢)
وكانت لا يزال بها أنيس خلل مروجها نعم وشاء
فدع هذا ، ولكن من لطيف يؤرقني إذا ذهب العشاء
لشعائ التلى قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء (٣)
كان خبيثه من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء (٤)
إذا ما الأشربات ذكرن يوماً فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملاممة إن المنا إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنها اللقاء (٥)
عدمنا خيلنا إن لم تروها تُثير النقع موعدها كداء (٦)
ينازعن الأعنة مصغيات على اكتافها الأسل الظماء (٧)
تظل جيادنا متمطرات يَلطمهن بالخمير النساء (٨)

- (١) عفت : تغيرت . ذات الأصابع ، والجواء : موضعان بالشام . والجواء . كان منزل الحارث بن أبي شمر الغساني . وكان حسان كثيراً ما يرد على ملوك غسان يمدحهم . وعذراء : قرية على بريد من دمشق قتل بها حجر بن عدي وأصحابه .
- (٢) بنو الحسحاس : حى من بنى أسد . وقوله : الروامس والسماء ، يعنى : الرياح والمطر والسماء لفظ مشترك يقع على المطر وعلى السماء المعروفة .
- (٣) شعائ : اسم امرأة وهى زوجته ، ومنت كاهن الأسلمية . وقيل : امرأة من خزاعة .
- (٤) الخبيثة : الخمر المضمون بها ، وبيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمير الجيد .
- (٥) ينهنها : يزجرنا .
- (٦) كداء : موضع بمكة ، ثنية فى أعلى مكة دخل منها الرسول ﷺ يوم الفتح .
- (٧) المصغيات : المنحرفة للطعن . الأسل : الرماح .
- (٨) متمطرات : متسييات . يَلطمهن : يضربهن ، يقول السهيلي فى الروض : قال ابن دريد فى الجمهرة : كان الخليل يروى « يَلطمهن » وينكر « يَلطمهن » ويجعله بمعنى ينفض النساء بخرهن ما على الخيل من الغبار (انظر الروض ٤ / ١١٨) .

فَأَمَّا تُعْرَضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا
وإلا فاصبروا لجلادِ يومِ
وجبريلَ رَسولِ اللهِ فينا
وَقَالَ اللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ
وَقَالَ اللهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَن مَّعَدَ
فَنَحْكُمُ بِالْقَوَافِي مَن هَجَانَا
أَلَا أَبْلَغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي
بَأَن سَيُوفِنَا تَرْكُكَ عَبْدًا
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتَ عَنْهُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفَاءٍ
هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا
أَمَّنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ
فَإِن أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرَضِي
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ

وكان الفتحُ وانكشفَ الغطاءُ
يَعِينُ اللهُ فِيهِ مِنْ يَشَاءُ
وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كَفَاءُ^(١)
يَقُولُ الْحَقُّ إِنَّ نَفْعَ الْبَلَاءِ^(٢)
فَقَلْتُمْ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
هَمُّ الْأَنْصَارِ عَرَضَتْهَا اللَّقَاءُ^(٣)
سَبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ^(٤)
مُغْلَغَلَةٌ فَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ^(٥)
وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتَهَا الْإِمَاءُ
وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
فَشَرَكُمَا لَخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ^(٦)
أَمِينُ اللهِ شِيَمَتُهُ الْوَفَاءُ
وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ ؟!
لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
وَبَحْرَى لَا تُكْذِرُهُ الدَّلَاءُ

(١) كَفَاءُ : مثل .

(٢) الْبَلَاءُ : الاختبار .

(٣) عَرَضَتْهَا : عَادَتْهَا .

(٤) نَحْكُمُ : نَمْنَعُ .

(٥) الْمُغْلَغَلَةُ : الرِّسَالَةُ الْمَكْتُوبَةُ .

(٦) فَشَرَكُمَا لَخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ : فِي ظَاهِرِ اللَّفْظِ بَشَاعَةٌ ، لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ أَنَّ لَا يُقَالُ هُوَ شَرُّهُمَا إِلَّا وَفِي كِلَيْهِمَا شَرٌّ ، وَكَذَلِكَ : شَرُّ مَنْكَ ، وَلَكِنْ سَبَّوْهُ قَالَ فِي كِتَابِهِ : تَقُولُ مَرَرْتُ بِرَجُلٍ شَرُّ مَنْكَ : إِذَا نَقَصَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ ، وَهَذَا يَدْفَعُ الشَّنَاعَةَ عَنِ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ ، وَنَحْوُ مِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « شَرُّ صُفُوفِ الرِّجَالِ آخِرُهَا » يُرِيدُ : نَقْصَانُ حَظِّهِمْ عَنِ حَظِّ الْأَوَّلِ ، كَمَا قَالَ سَبَّوْهُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ التَّفْضِيلَ فِي الشَّرِّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زُنيَم الديلي يعتذر إلى رسول الله ﷺ
 بما كان فيهم عمرو بن سالم الخزاعي :

أَنْتَ الَّذِي تَهْدِي مَعْدَ بِأَمْرِهِ بَلِ اللَّهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهَدُ
 وَمَا حَمَلْتَ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَبْرًا. وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
 أَحَثَّ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْبَغَ نَائِلًا إِذَا رَاحَ كَالسَيْفِ الصَّقِيلِ الْمَهْنَدِ
 وَأَكْسَى لُبْرِدِ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَايِهِ وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمُتَجَرِّدِ (١)
 تَعَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخَذِ بِالْيَدِ
 تَعَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِينَ وَمَنْجَدِ (٢)
 تَعَلَّمَ بِأَنَّ الرِّكْبَ رَكْبَ عَوِيْمٍ هُمُ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلَفُونَ كُلُّ مَوْعِدِ
 وَنَبَّوْا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّنِي هَجَوْتُهُ فَلَا حَمَلَتْ سَوَطِي إِلَى إِذْنِ يَدِي
 سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ وَيْلٌ أَمْ فِتْنَةٍ أَصِيبُوا بِنَحْسٍ لَا بَطْلَقٍ وَأَسْعَدِ (٣)
 أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ كِفَاءً فَعَزَتْ عِزَّتِي وَتَبَلَّدِي (٤)
 فَإِنَّكَ قَدْ أَخْفَرْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيَا يَعْبُدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةُ مَهْودِ
 ذُوَيْبٍ وَكُلْثُومٍ وَسَلْمَى تَتَابَعُوا جَمِيعًا فَلَا تَدْمَعُ الْعَيْنُ أَكْمَدِ
 وَسَلْمَى، وَسَلْمَى لَيْسَ حَيٌّ كَمِثْلِهِ وَأَخَوْتَهُ وَهَلْ مُلُوكٌ كَأَعْبَدِ !؟
 فَإِنِّي لَا دِينَا فَتَقْتُ وَلَا دِمَا هَرَقْتُ تَبَيَّنَ عَالَمُ الْحَقِّ وَأَقْصَدِ

- (١) الخال : نوع من البرود اليمنية وهو من رفيع الثياب وسمى بالخال الذي بمعنى الخلاء . والسابق : الفرس السابق ، والمتجرد : الذي يتجرد من الخيل فسبقها .
 (٢) الصرم : البيوت المجتمعة . متهمين : ساكنين في التهام ، وهي المنخفض من الأرض . منجد : من سكن في نجد .
 (٣) الطلق : الأيام السعيدة .
 (٤) تبلدى : تحيرى .

فأجابه بُدَيْل بن عبد مناف بن أمِ أَصْرَمَ ، فقال :

بكى أنس رَزْنَا فَأَعُوله البكا
بكيتُ أبا عَبَسَ لِقُربِ دِمَائِها
أَصَابهم يَوْمَ الحَنَادِمِ فَنِيَّةُ
هُنَالِكَ إِنْ تَسْفَحَ دُمُوعَكَ لَا تَلَمُ
فَالأُ عَدِيَا إِذْ تَطُلُ وَتَبْعُدُ (١)
فَتُعْذِرُ إِذْ لَا يُوقِدُ الحَرْبَ مُوقِدُ
كَرَامٍ فَسَلْ ، مِنْهم نُقِيلُ وَمَعْبُدُ (٢)
عَلَيْهم وَإِنْ لَمْ تَذْمَعْ العَيْنُ فَاكْمَدُوا

قال ابن إسحاق : وقال بُجَيْر بن زهير بن أبي سلمى فى يوم الفتح .

نَفَى أَهلَ الحَبْلِقِ كُلَّ فَجٍّ
ضَرَبْنَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ
صَبَحْنَاهُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سُلَيْمٍ
نَطًا اكْتَفَاهُمْ ضَرْبًا وَطَعْنًا
تَرَى بَيْنَ الصَّفُوفِ لَهَا حَفِيفًا
فَرَجْنَا وَالْجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ
فَأَبْنَا غَائِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا
وَأَعْطَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَّا
وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَتَنَا فَهَمُّوا
مُزِينَةَ غُدُوَّةٍ وَبَنُو خُفَافٍ (٣)
النَّبِىُّ الحَيْرُ بِالْبَيْضِ الخِفَافِ
وَأَلْفٌ مِنْ بَنَى عُثْمَانَ وَافٍ
وَرَشَقًا - بِالْمَرِيشَةِ اللُّطَافِ
كَمَا انْصَاعَ الفُوقِ مِنَ الرِّصَافِ
بَارْمَاحٍ مُقَوِّمَةِ الثَّقَافِ
وَأَبَوْا نَادِمِينَ عَلَى الخِلَافِ
مَوَاتِقْنَا عَلَى حُسْنِ التَّصَافِ
غَدَاةَ الرُّوعِ مَنَّا بِانْصِرَافِ

* * *

(١) تطل : يبطل دماها ويصير هدرًا .

(٢) الحنادم : أراد يوم الخندمة ، والخدم : جبل بمكة .

(٣) الحبلىق : أرض يسكنها قبائل من مُزينة ، وقيس ، والحبلىق : الغنم الصغار ، ولعله أراد بقوله : أهل الحبلىق أصحاب الغنم ، وبنو عثمان هم مُزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن أد ابن طابخة ، ومُزينة أهم بنت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاة ، وأختها : الحواب التى عرف بها ماء الحواب المذكور فى حديث عائشة حين قال رسول الله ﷺ لنسائه ما معناه : من منكن تنبها كلاب الحواب . فنبحت الكلاب عائشة رضي الله عنها فى قصة وقعة الجمل ، وأصل الحواب فى اللغة القدح الضخم الواسع وبنو خفاف بطن من سليم .

— ابن إسحاق — مَسِيرُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بَعْدَ الْفَتْحِ إِلَى بَنِي جُذَيْمٍ مِنْ كِنَانَةٍ^(١) وَمَسِيرِ عَلِيٍّ لِتَلَاْفِي خَطَا خَالِدٍ

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة سرايا تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً^(٢) ، ولم يبعثه مقاتلاً ، فوطئ بني جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن منصور ، ومُدْلَج ابن مرة ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يا بني جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار^(٣) ، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس أسلموا ووضعوا السلاح ، ووضع الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد^(٤) .

(١) تسمى أيضاً غزوة الغميط ، وهو ماء لبني جذيمة ، كما ذكر السهيلي في الروض الأثف ٤ / ١٢٠ .

(٢) أي داعياً إلى الإسلام . (٣) أي الأسر .

(٤) وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يأمره بالقتال وإنما أمره بالدعوة ونشر الإسلام .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال : ثم دعا رسول الله ﷺ ، علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال : يا علي ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه ليدى لهم ميلغة الكلب ^(١) ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإني أعطيتكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطا لرسول الله ﷺ ، مما يعلم ولا تعلمون ، ففعل . ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر . فقال : أصبت وأحسن ! قال ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه ، حتى ليرى مما تحت منكبیه ، يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال : ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي ، وقال : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن إسحاق : وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد بيني جذيمة : يا بني جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغني ، كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام . فقال : إنما ثارت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك ثارت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شر ^(٢) . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقت في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته ^(٣) .

● ما كان بين قريش وبنی جذيمة في الجاهلية :

وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد عوف ابن عبد الحارث بن زهرة ، وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا

(١) ميلغة وميلغ : مسقاة تصنع من خشب ليلغ فيها الكلب ، والجمع : مياغ ، وموالغ .

(٢) أي كاد الخلاف أن يؤدي إلى الشجار بينهما .

(٣) دليلاً على منزلة السابقين إلى الإسلام - رضى الله عنهم - .

تجاراً إلى اليمن . ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جذيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته ^(١) ، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقتلوه ، فقتل عوف والفاكه بن المغيرة ونجاء عفان بن أبي العاص وابن عثمان ، وأصابوا مال الفاكه ابن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهتت قريش بغزو بني جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملائنا ، إنما عدا عليهم قوم بجهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

وقد قال قائل من بني جذيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سلمى :

ولولا مقال القوم للقوم أسلموا للاقّت سليم يوم ذلك ناطحاً
لما صعبهم بسر وأصحاب جحدم ومرة حتى يتركوا البرك ضابحاً ^(٢)
فكائن ترى يوم الغميصاء من فتى أصيب وكم يجرح وقد كان جارحاً ^(٣)
ألظت بخطاب الأيامى وطلقت غداً تذ منهم من كان ناكحاً ^(٤)
قال ابن إسحاق : فأجابه عباس بن مرداس ، و يقال بل الجحاف بن حكيم

السلمي :

دعى عنك تقوال الضلال كفى بنا لكبش الوغى في اليوم والأمس ناطحاً
فخالد أولى بالتعذر منكم غداة علا نهجا من الأمر واضحاً
معانا بأمر الله يزجي إليكم سوانح لا تكبرو له وبوارحاً
نعوا مآلكا بالسهل لما هبطته عوابس في كابي الغبار كوالحاً ^(٥)
فإن نك أنكلناك سلمى فما لك تركتم عليه نائحات ونائحا

(١) وهذا من أخلاق الجاهلية الحميدة التي أقرها الإسلام وهي خلق الأمانة فإذا كان أولئك المشركون حملوا مال من مات معهم غريباً عن بلده إلى أهله وورثته وقتلوا من أراد أخذ هذا المال حتى يحول بينهم وبين ورثة الرجل ، فأولى بالمسلمين اليوم أن يتحلوا بهذه الأخلاق التي أقرها الإسلام ومدحها فقال عليه السلام : « لا دين لمن لا أمانة له » .

(٢) الماصعة : المضاربة بالسيوف : البرك : الإبل الباردة .

(٣) الغميصاء : هو ما يخرج من العين ، والمراد هنا موضع في بادية العرب قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر .

(٤) ألظت : لزمت . والأيامى : من لا زوج لها .

(٥) كابي : مرتفع ، الكوالح : العوابس .

خبر ابن أبي حدرد مع بني جذيمة : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ابن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري ، عن ابن أبي حدرد الأسلمي ، قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد ، فقال لي فتى من بني جذيمة ، وهو في سني ، وقد جمعت يده إلى عنقه برمة ^(١) ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى ، فقلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة ، فقائدني إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي إليهن حاجة ، ثم تردني بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسير ما طلبت . فأخذت برمته فقدته بها ، حتى وقف عليهن ، فقال : اسلمي حبش ، على نقد من العيش ^(٢) :

أَرَيْتُكَ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِحِيلَةٍ أَوْ الْقَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ ^(٣)
 أَلَمْ يَكُ أَهْلًا أَنْ يَنْوُلَ عَاشِقٌ تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ ^(٤)
 فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعَا أَثْبَى بَوْدَ قَبْلِ إِحْدَى الصَّفَائِقِ ^(٥)
 أَثْبَى بَوْدَ قَبْلِ أَنْ تُشْحِطَ النَّوَى وَيَنَآيَ الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ
 فَإِنِّي لَا ضَيَّعْتُ سِرَّ أَمَانَةٍ وَلَا رَاقٍ عَيْنِي عَنْكَ بَعْدَكَ رَاقٍ
 سِوَى أَنْ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ عَنِ الْوُدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ النَّوَامِقِ ^(٦)

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري عن ابن أبي حدرد الأسلمي قال : قالت : وأنت فحييت سبعا وعشرا ، وترا وثمانيا ترى قال : ثم انصرفت به . فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبو فراس بن أبي سنبله الأسلمي ، عن أشياخ منهم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه ، فأكبت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده .

● شعر أحد بني جذيمة :

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بني جذيمة :
 جَزَى اللَّهُ عَنَا مُدْجَا حَيْثُ أَصْبَحْتَ جَزَاءَ بُؤْسِ حَيْثُ سَارَتْ وَحَلَتْ
 أَقَامُوا عَلَى أَقْضَاضِنَا يَقْسُمُونَهَا وَقَدْ نَهَلَتْ فِينَا الرُّمَاحُ وَعَلَتْ

- (١) الرمة : الحبل البالي . (٢) نقد العيش : فناؤه . (٣) الحلية والخوانق : موضعان .
 (٤) الإدلاج : السير ليلا ، الدوائق : جمع وديقة وهي شدة الحر .
 (٥) الصفائق : النوايب . (٦) التوامق : شدة الحب .

فَوَاللَّهِ لَوْ لَا دِينَ آلِ مُحَمَّدٍ لَقَدْ هَرَبْتُ مِنْهُمْ خُيُولَ فَشَلْتُ
وَمَا ضَرَّهُمْ أَنْ لَا يَعِينُوا كِتَابِيَةَ كَرَجَلٍ جَرَادٍ أُرْسَلَتْ فَاشْمَعَلْتُ (١)
فَإِمَّا يُنْيَبُوا أَوْ يَثُوبُوا لِأَمْرِهِمْ فَلَا نَحْنُ نَجْزِيهِمْ بِمَا قَدْ أَضَلَّتْ
• رد ابن وهب عليه :

فأجابه ابن وهب رجل من بنى ليث فقال :

دَعَوْنَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْحَقَّ عَامِرَا فَمَا ذَنْبُنَا فِي عَامِرٍ إِذْ تَوَلَّتْ
وَمَا ذَنْبُنَا فِي عَامِرٍ لَا أَبَا لَهُمْ لِأَنَّ سَفَهْتَ أَحْلَامَهُمْ ثُمَّ ضَلَّتْ
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ :

لَيْهَنِي بَنِي كَعْبٍ مُقَدِّمُ خَالِدٍ وَأَصْحَابُهُ إِذْ صَبَحْتُنَا الْكَتَائِبُ
فَلَا تَرَةً تَسْعَى بِهَا ابْنُ خُوَيْلِدٍ وَقَدْ كُنْتُ مُكْفِيًا لَوْ أَنَّكَ غَائِبٌ (٢)
فَلَا قَوْمُنَا يَنْهَوْنَ عَنَّا غَوَاتِهِمْ وَلَا الدَّاءُ مِنْ يَوْمِ الْغَمِصَاءِ ذَاهِبٌ
خَالِدٌ يَهْدِمُ الْعِزَّى : ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعِزَّى
وَكَانَتْ بَنَخْلَةً ، وَكَانَتْ بَيْتًا يَعُظَّمُهُ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قَرِيشٍ وَكِنَانَةٍ وَمُضَرٍّ كُلِّهَا ، وَكَانَتْ
سَدَنَتُهَا وَحِجَابُهَا بَنِي شَيْيَانَ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ حُلَفَاءُ بَنِي هَاشِمٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ صَاحِبُهَا
السَّلْمَى بِمَسِيرِ خَالِدٍ إِلَيْهَا ، عَلِقَ عَلَيْهَا سَيْفَهُ ، وَأَسْنَدَ فِي الْجَبَلِ (٣) الَّذِي هِيَ فِيهِ وَهُوَ
يَقُولُ :

أَيَا عِزُّ شَدَى شَدَى لَا شَوَى لَهَا عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْقِنَاعَ وَشَمَّرَى (٤)
يَا عِزُّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا فَبَوِّئِي بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنْصُرِي
فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا خَالِدٌ هَدَمَهَا ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
ابن مسعود قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة :
قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمان :

* * *

(١) اشمعلت : تفرقت . (٢) الترة : طلب الثار . (٣) أسند في الجبل : ارتفع فيه .

(٤) لا شوى لها : أى لا تذر شيئاً

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ - بَعْدَ الْفَتْحِ

قال ابن إسحاق : ولما سَمِعَتْ هِوَاظُنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النُصْرِي ، فاجتمع إليه مع هِوَاظُنَ ثَقِيفٍ كُلِّهَا ، واجتمعت نُصْرٌ وَجُشْمٌ كُلُّهُمَا ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدوها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هِوَاظُنَ كَعْبٍ وَلَا كِلَابٍ ، ولم يشهدوها منهم أحدٌ له اسم ، وفي بني جُشْمٍ دريد بن الصمة شيخ كبير ، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرباً ، وفي ثَقِيفٍ سيدان لهم ، في الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ، وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النُصْرِي . فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم ، فلما نزل بأوطاس ^(١) اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُرَيْدُ ابن الصمة في شجار ^(٢) له يقاد به ، فلما نزل قال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس قال : نعم مجال الخيل ! لا حزن ضرر ^(٣) ، ولا سهل دهس ^(٤) ، مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ، ودعى له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبنائهم ونساءهم ، قال : ولم ذاك ؟ قال :

(١) ويقال لها أيضاً غزوة أوطاس سميت بالموضع الذى كانت فيه الوقعة وهو من وطست الشيء وطساً إذا كدرته ، وأثرت فيه . والوطيس : نقرة فى حجر توقد حوله النار ، فيطبخ به اللحم ، والوطيس التنور ، وفى غزوة أوطاس قال النبى ﷺ : الآن حمى الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهى من الكلم التى لم يسبق إليها ﷺ . راجع الروض الأنف ، وراجع أيضاً المجازات النبوية للشرىف الرضى . تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط مصطفى الحلبي .

(٢) الشجار : مركب أصغر من الهودج مكشوف أعلاه .

(٣) الحزن : المرتفع : ضرر : ما فيه حجارة مدببة .

(٤) دهس : لين التراب .

أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ، ليقاتل عنهم ، قال : فانقض به ^(١) . ثم قال : راعى ضأن ، والله ! وهل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منهم أحد ، قال : غاب الحد والجد ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر . قال : ذاك الجذعان ^(٢) من عامر ، لا ينفعان ، ولا يضران ، يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة ^(٣) هوازن إلى نحور الخيل شيئا ، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعلياً قومهم ، ثم ألق الصباء ^(٤) على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك أفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأى فقالوا : أطعناك ، فقال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ، ولم يفتني :

يا ليتني فيها جذع أخبُ فيها وأضع ^(٥)
أقودُ وطفاءَ الزمَع كأنها شاةٌ صدع ^(٦)

• قصة الملائكة وعيون مالك بن عوف :

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون ^(٧) سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد . قال : وحدثني أمية بن عبد الله بن عثمان أنه حدث : أن مالك بن عوف بعث عيوناً ^(٨) من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ،

(١) انقض به : زجره .

(٢) الجذعان : مثني جذع : الشاب الحدث ، ويريد بهما هنا أنهما ضعيفان خاليان عن التجربة .

(٣) البيضة : الجماعة . (٤) الصباء : يقصد بهم المسلمين .

(٥) الجذع : الشاب الحدث ، ويريد به هنا قوة الشباب .

(٦) الوطفاء : طويلة الشعر . والشاة : الوعل . صدع : متوسط بين العظيم

والحقير .

(٧) أي غطاء سيوفكم وهو الغمد . (٨) أي جواسيس يلتمسون الأخبار .

فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ فقالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلسق^(١) ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي حدرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبي حدرد . فقال ابن أبي حدرد : إن كذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر ، فقد كذبت من هو خير مني . فقال عمر : يا رسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد ؟ فقال رسول الله ﷺ : قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر^(٢) .

• الرسول ﷺ يستعير أدرع صفوان :

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعاً^(٣) وسلاحاً . فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : يا أبا أمية ، أعرنا^(٤) سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً ، فقال صفوان : أغصبا يا

(١) وهم الملائكة أيد الله بهم المسلمين وأنزلهم لنصرة المسلمين ، ومن المعجزات أن المشركين رأوهم وهم في صور فرسان على خيل جياد فألقى الله في قلوبهم الرعب وفروا هاربين وسبق أن أنزل الله الملائكة تقاتل في صفوف المسلمين يوم بدر مع رسول الله ﷺ وكان هذا هو العون الحق والنصر المبين ، ورأى المشركون أيضاً يومها الملائكة وهم يقاتلونهم فيضربون الواحد منهم ضربة يموت بها ، وهذا وعد الله رسوله الذي وعده حيث قال : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ .

(٢) أى كان ضالاً في الجاهلية فهداه الله بالإسلام ، وفي هذا يقول عمر معتزاً بذلك : كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام . وقال عنه النبي ﷺ : « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين أى عمر بن الخطاب ، أو عمرو بن هشام (أبو جهل) » رجا الرسول ﷺ إسلام أحدهما فهدى الله عمر بن الخطاب فأسلم وأضل عمرو بن هشام فغوى .

(٣) جمع درع : وكذلك دروع .

(٤) أى أقرضنا .

محمد ؟ قال : بل عارية ^(١) ومضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأل أن يكفيهم ^(٢) حملها ، ففعل .

• خروج الرسول ﷺ إلى هوازن :

قال : ثم خرج رسول الله ﷺ ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء ^(٣) هوازن .

قصيدة ابن مرداس : فقال عباس بن مرداس السلمى :

أَصَابَتْ الْعَامُ رَعْلًا غَوْلُ قَوْمِهِمْ وَسَطَ الْبُيُوتِ وَكَوْنُ الْغَوْلِ أَلْوَانُ ^(٤)
يَا لَهْفَ أُمِّ كَلَابٍ إِذْ تَبَيْتَهُمْ خَيْلُ ابْنِ هَوْدَةَ لَا تُنْهَى وَإِنْسَانُ ^(٥)
لَا تَلْفُظُوهَا وَشِدُّوا عَقْدَ ذِمَّتِكُمْ إِنَّ ابْنَ عَمَكُم سَعْدٌ وَدُهْمَانُ ^(٦)
لَنْ تَرْجِعُوهَا وَإِنْ كَانَتْ مُجَلَّلَةً مَا دَامَ فِي النَّعْمِ الْمَاخُودُ أَلْبَانُ
شَنْعَاءُ جُلُجُلٍ مِنْ سَوَاتِهَا حُضْنُ وَسَالِ ذُو شَوَّغَرٍ مِنْهَا وَسَلْوَانُ ^(٧)
لَيْسَتْ بِأَطْيَبَ مِمَّا يَشْتَوِي حَذَفُ إِذْ قَالَ : كُلُّ شَوَاءٍ الْعِيرِ جَوْفَانُ ^(٨)

(١) أى نستعيرها .

(٢) أى ينقلها لهم .

(٣) أى حربهم .

(٤) رعل : قبيلة من سليم . وفى الحديث : قنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو على رعل وذكوان وعُصية ، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة ، وقد مضى حديثهم فيما تقدم من السيرة . الغول : الداهية .

(٥) إنسان : قبيلة من قيس ثم من بنى نصر . وقيل هم من بنى جشم بن بكر .

(٦) سعد ودهمان : ابنا نصر بن معاوية بن بكر .

(٧) حضن : جبل فى نجد . ذو شوغر وسلوان : واديان .

(٨) حذف : اسم رجل . العير : حمار الوحش ، الجوفان : غرموله (ذكره) .

وفى هوازن قوم غير أن بهم
 فيهم أخ لو وفوا أو بر عهدهم
 أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها
 أنى أظن رسول الله صابحكم
 فيهم أخوكم سليم غير تارككم
 وفى عضادته اليمى بنو أسد
 تكاد ترجف منه الأرض رهبتة
 داء اليماني فإن لم يغدروا خانوا
 ولو نهكناكم بالطعن قد لأنوا
 منى رسالة نصح فيه تبيان
 جيشاً له فى فضاء الأرض أركان
 والمسلمون عباد الله غسان
 والأجربان بنو عبس وذبيان^(١)
 وفى مقدمه أوس وعثمان
 قال ابن إسحاق : أوس وعثمان : قبيلة مزينة :

• قصة الشجرة ذات أنواط :

قال ابن إسحاق : فحدثني ابن شهاب الزهري ، عن سنان بن أبي سنان
 الدؤلى عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله
 ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية^(٢) ، قال : فسرنا معه إلى حنين قال :
 وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات
 أنواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون
 عليها يوماً . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدره خضراء عظيمة ،
 قال فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات
 أنواط . قال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، قلتم ، والذي نفس محمد بيده ، كما
 قال قوم موسى لموسى : ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾^(٣)
 إنها السنن ، لتركن سنن من كان قبلكم .

• لقاء هوازن وثبات الرسول ﷺ :

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن
 جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من

(١) سماهما بالأجربين تشبيهاً بالأجرب الذى لا يقرب .

(٢) أى أسلموا حديثاً .

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٣٨ .

أودية تهامة أجوف خطوط ، إنما تنحدر فيه انحداراً ، قال : وكان في عمية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكمنوا لنا في شعبه وأحناؤه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتاب قد شدوا علينا شدة رجل واحد وانشمر^(١) الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد . وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلموا إلي ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، قال : فلا شيء ، حملت الإبل بعضها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقى مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

• من ثبت مع الرسول ﷺ :

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وابنه ، والفضل بن العباس ، وربيع بن الحارث وأسامة بن زيد ، وأمين ابن أم أمين بن عبيد قتل يومئذ .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل ، أمام هوازن ، وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفأة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزام لمعه في كنانته . وصرخ جبلة بن الحنبل^(٢) ، وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربنى رجل من قريش أحب إلي من أن يربنى رجل من هوازن .

شيبه بن طلحة يحاول قتل الرسول ﷺ : قال ابن إسحاق : وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أدرك ثأري ، وكان

(١) انشمروا : أي رجعوا سراعاً .

(٢) قال ابن هشام : كلدة بن الحنبل ، وذكر ابن هشام أحياناً لحسان بن ثابت يهجو بها كلدة منها :

رأيت سواداً من بعيد فراعني أبو حنبل ينزو على أم حنبل

أبوه قتل يوم أحد ، اليوم أقتل محمداً . قال : فأدرت برسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع مني .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل مكة أن رسول الله ﷺ قال حين فصل من مكة إلى حنين ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن تغلب اليوم من قلة .
قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلاً من بني بكر قالها .
● النصر بعد الهزيمة :

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس ابن عبد المطلب ، قال : إني لمع رسول الله ﷺ آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها قال : وكنت امرأةً جسيماً شديد الصوت ، قال : ورسول الله يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أرَ الناس يلوون على شيء . فقال : يا عباس اصرخ ، يا معشر الأنصار : يا معشر أصحاب السمرة ، قال : فأجابوا : لبيك ! لبيك ! قال : فيذهب الرجل ليثنى بغيره ، فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه ، فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بغيره ! ويخلي سبيله فيؤم الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا وكانت الدعوى أول ما كانت يا للأنصار . ثم خلصت أخيراً : يا للخزرج . وكانوا صبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه . فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون . فقال : الآن حمى الوطيس .

● شجاعة الإمام على :

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة يصنع ما يصنع إذ هوى له على بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه على بن أبي طالب من خلفه ، فضرب عرقوبى الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصارى على الرجل ، فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساق ، فأنجفع عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ .

قال : والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثفر بغلته ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك يا رسول الله .

• أم سليم في المعركة :

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أم سليم بنت ملحان ^(١) وكانت مع زوجها أبي طلحة ^(٢) وهي حازمة وسطها ببرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة وقد خشيت أن يعزها الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام ، فقال لها رسول الله ﷺ : أم سليم ؟ قلت : نعم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسول الله ﷺ : أو يكفي الله يا أم سليم ؟ قال : ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميضاء .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ ، حين وجه إلى حنين ، قد ضم بنى سليم الضحاك بن سفيان الكلابي ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه :

أقدم محاج إنه يوم نكر	مثلى على مثلك يحمى ويكر
إذا أضيع الصف يوما والدبر	ثم احزألت زمر بعد زمر ^(٣)
كتائب يكل فيهن البصر	قد أظعن الطعنة تقذى بالسبر ^(٤)
حين يذم المستكين المنجحر	وأظعن النجلاء تعوى وتهر ^(٥)
لها من الجوف رشاش منهمر	تفهق تارات وحينا تنفجر ^(٦)

(١) واسمها : مليكة ، ويقال : رميلة ، وقيل : سهيلة .

(٢) واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام .

(٣) احزألت : ارتفعت .

(٤) السبر : جمع سبير وهو الفتل يسبر به الجرح .

(٥) النجلاء : الطعنة الواسعة . تعوى وتهر : أى يسمع لخروج الدم منها أصوات

كالعواء والهدير .

(٦) تفهق : تنفتح .

وَتَعَلَّبُ الْعَامِلُ فِيهَا مُنْكَسِرٌ يَا زَيْدُ يَا بَنِي هَمَّهِمَ أَيْنَ تَفِرُ (١)
 قَدْ نَفَذَ الضَّرْبَ وَقَدْ طَالَ الْعَمْرُ قَدْ عَلِمَ الْبَيْضُ الطَّوِيلَاتِ الْخَمْرُ
 إِنِّي فِي أَمْثَالِهَا غَيْرُ غَمِرٍ إِذْ تَخْرُجُ الْحَاصِنُ مِنْ تَحْتِ السِّتْرِ

• قصة أبي قتادة وسلبه (٢) :

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن أبي قتادة الأنصاري قال : وحدثني من لا أتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بني غفار أبي محمد بن أبي قتادة ، قال : قال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان ، مسلماً ومشرکاً ، قال : وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأتيته ، فضربت يده فقطعتها ، وأعتقني بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم (٣) وكاد يقتلني فلولا أن الدم نزفه لقتلني ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضني عنه القتال ، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه (٤) ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رسول الله ﷺ : من قتل قتيلاً فله سلبه (٥) . فقلت : يا رسول الله ، والله لقد قتل قتيلاً ذا سلب ، فأجهضني عنه القتال ، فما أدري من استلبه فقال رجل من أهل مكة : صدق يا رسول الله ، وسلب ذلك القتيلى عندي ، فأرضه عنى من سلبه (٦) ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا والله ، لا يرضيه منه ، تعمد إلى أسد من أسد الله . يقاتل عن دين الله ، تقسامه سلبه ؟! اردد عليه سلب قتيله ، فقال رسول الله ﷺ : صدق فاردد عليه سلبه فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مخرفاً (٧) فإنه لأول مال اعتقلته .

-
- (١) الثعلب : عصا الرمح الداخلة فى السنان . العامل : أعلى الرمح .
 (٢) السلب : هو ما يكون مع المحارب من متاع وأموال وسلاح .
 (٣) قال ابن هشام : يروى : ريح الموت . (٤) أى أخذ متاعه وما معه .
 (٥) وصار هذا فى عهد الرسول ﷺ وبعده أن من قتل قتيلاً فى المعركة فله أن يأخذ متاعه وأمواله وسلاحه .
 (٦) يريد أن يقاسمه سلبه أو يأخذ منه شيئاً .
 (٧) مخرف بفتح الراء : نخلة واحدة أو نخلات أقل من العشرة ، والمخرف بكسر الميم الآلة التى تخترف بها الثمرة .

— ابن إسحاق — ٢٣٣ —

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن أبي سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا .

الملائكة تحضر القتال : قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، أنه حدث عن جبير بن مطعم ، قال : رأيت - قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون - مثل البجاد ^(١) الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبثوث ، قد ملأ الوادي لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .
قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حنين ، وأمكن رسوله ﷺ منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبت خيل الله خيل اللات والله أحق بالثبات

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث ابن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار ^(٢) ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرني عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسول الله ﷺ قتله ، قال : أبعد الله ، فإنه كان يبغض قريشا .

• قصة الغلام الأغرل ^(٣) :

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصراني أغرل ، قال : فبينما رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف ، إذا كشف العبد يسلبه ، فوجده أغرل . قال : فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب : يعلم الله أن ثقيفا غرل . قال المغيرة بن شعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت : لا تقل ذاك ، فذاك أبي وأمي ، إنما هو غلام لنا نصراني . قال ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختنين كما ترى .

(١) البجاد : يعنى الكساء من النمل مبثوثا . (٢) هو عوف بن الربيع .

(٣) الأغرل : غير المختن .

● فرار قارب وقومه :

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من غيرة ، يقال له : وهب ، وآخر من بنى كُبة ، يقال له : الجلاح ، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب ثقيف ، إلا ما كان من ابن هنيذة ، يعنى بابن هنيذة الحارث بن أويس .

● شعر ابن مرداس :

فقال عباس بن مرداس السلمى يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى أبيه ،
وذا الخمار وحبسه قومه للموت :

وَسَوْفَ إِخَالَ يَأْتِيهِ الْخَيْرُ (١)	أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ غِيلَانَ عَنِّي
وَقَوْلًا غَيْرَ قَوْلِكَ مَا يَسِيرُ	وَعَرُوةَ إِنَّمَا أَهْدَى جَوَابًا
لِرَبِّ لَا يَضِلُّ وَلَا يَجُورُ	بَأَن مَحْمَدًا عَبْدُ رَسُولٍ
فَكُلُّ فَتَى يَخْأَيِرُهُ مَخِيرُ	وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى
بُوجِ إِذْ تَقَسَّمَتِ الْأُمُورُ (٢)	وَبِئْسَ الْأَمْرُ أَمْرَ بَنِي قَسِيٍّ
أَمِيرٍ وَالسُّدُورُ قَدْ تَدُورُ	أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
جُنُودَ اللَّهِ ضَاحِيَةٌ تَسِيرُ	فَجِئْنَا أَسَدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ
عَلَى حَنَقٍ نَكَادٍ لَهُ نَظِيرُ	تَوْمُ الْجَمْعِ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ
إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا	وَأَقْسَمَ لَوْ هُمْ مَكْثُوا لَسَرْنَا
أَبْحَنَاهَا وَأَسْلَمَتِ النُّصُورُ	فَكُنَّا أَسَدَ لِيَةٍ ثُمَّ حَتَّى
فَأَقْلَعَ وَالسُّدُورُ بِهِ تَمُورُ	وَيَوْمَ كَانَ قَبْلَ لَدَى حُنَيْنٍ
وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذِكُورُ	مَنْ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ

(١) الفعل المستقبل هو : يأتيه ، ولكن حرف « سوف » دخل على إخال ويرغم هذا

فإن ما يدل عليه الاستقبال هو الفعل الثانى « يأتيه » .

(٢) قسى : اسم ثقيف ، بوج : واد بالطائف قبل حنين .

قَتَلْنَا فِي الْغُبَارِ بَنِي حَطِيطٍ
وَلَمْ يَكْ ذُو الْخِمَارِ رَيْسَ قَوْمٍ
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سُنَنِ الْمَنَآيَا
فَأَفْلَتَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ جَرِيضًا
وَلَا يَغْنَى الْأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي
أَحَانَهُمْ وَحَانَ وَمَلَكُوهُ
بَنُو عَوْفٍ تَمِيحٌ بِهِمْ جِيَادُ
فَلَوْلَا قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ
وَلَكِنِ الرِّيَاسَةُ عَمَمُوهَا
أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَهُمْ جُدُودُ
فَإِنْ يَهْدُوا إِلَى الْإِسْلَامِ يَلْفُوا
وَإِنْ لَمْ يَسْلُمُوا فَهُمْ أَذَانُ
كَمَا حَكَّتْ بَنِي سَعْدِ وَحَرْبُ
كَانَ بَنِي مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ
فَقَلْنَا أَسْلُمُوا إِنَّا أَخَوَكُم
كَانَ الْقَوْمُ إِذْ جَاءُوا إِلَيْنَا
عَلَى رَأْيَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورٌ^(١)
لَهُمْ عَقْلٌ يُعَاقِبُ أَوْ مَكِيرٌ
وَقَدْ بَانَتْ لِمَبْصَرِهَا الْأُمُورُ
وَقَتْلُ مِنْهُمْ بِشَرٍ كَثِيرٌ^(٢)
وَلَا الْغُلُقُ الصَّرِيرَةُ الْحَصُورُ^(٣)
أُمُورُهُمْ وَأَفْلَتَتْ الصَّقُورُ
أَهَيْنَ لَهَا الْفَصَافِصُ وَالشَّعِيرُ^(٤)
تَقَسَّمَتِ الْمَزَارِعُ وَالْقَصُورُ
عَلَى يَمَنِ أَشَارَ بِهِ الْمَشِيرُ
وَأَحْلَامُ إِلَهِي عَزِ تَصِيرُ
أَنُوفُ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ
بَحَرْبِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
بَرَهْطُ بَنِي غَزِيَّةِ عَنَقْفِيرُ^(٥)
إِلَى الْإِسْلَامِ ضَائِنَةٌ تَخُورُ
وَقَدْ بَرَأَتْ مِنَ الْإِحْنِ الصَّدُورُ
مِنَ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السَّلَامِ عَوْرُ

مقتل دُرَيْدٍ : قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتوا الطوائف ومعهم

(١) زور : مائلة .

(٢) الجريض : من يغص بريقه . والجمع : جرضى .

(٣) الغلق : ضيق الخلق . الصريرة : مصغر الصرورة وهو الذي لم يتزوج ،
والحصور : الذي لا يأتي النساء .

(٤) تميح : تمشى مشيا مستويا . الفصافص : جمع فصفصة : النبات الذي تأكله
المواشى رطبا .

(٥) العنقفير : الداهية .

مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبع خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بن ربيع بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن شمال بن عوف بن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدغنة وهي أمه ، فغلبت على اسمه أدرك دريد بن الصمة ، فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه في شجار له ، فإذا برجل فأناخ به فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن ربيع السلمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن فيه شيئاً ، فقال : بئس ما سلحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر الرجل ، وكان الرجل في الشجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام . وانخفض عن الدماغ ، فإني كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، فرباً والله يوم قد منعت فيه نساءك ، فزعم بنو سليم أن ربيعة قال لما ضربه فوق تكشف ، فإذا عجانه ^(١) وبطون فخذيه مثل القرطاس ، من ركوب الخيل أعراء ، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً .

● شعر عمرة :

فقالت عمرة بنت دريد في قتل ربيعة دريداً :

لعمرك ما خشيت على دريد	يبطن سُميرة جيش العنّاق ^(٢)
جزى عنا الإله بنى سليم	وعقبتهم بما فعلوا عقاق
وأسقانا إذا قدنا إليهم	دماء خيارهم عند التلاقي
فرب عزيمة دافعت عنهم	وقد بلغت نفوسهم التراقي
ورب كريمة أعتقت منهم	وأخرى قد فككت من الوثاق
ورب منوه بك من سليم	أجبت وقد دعاك بلا رماق ^(٣)

(١) عجانه : أى استه .

(٢) العنّاق : الأمر الشديد .

(٣) الرماق : بقية الحياة .

فَكَانَ جَزَاؤُنَا مِنْهُمْ عِقَاقًا وَهَمَّا مَاعٍ مِنْهُ مَخٍ سَاقِي
عَفَّتْ أَثَارَ خَيْلِكَ بَعْدَ أَيْن بَذَى بَقَرٍ إِلَى فَيْفِ النَّهَاقِ (١)

• استشهاد أبي عامر الأشعري :

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبل أوطاس
أبا عامر الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال فرمى
أبو عامر بسهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ، وهو ابن عمه فقاتلهم ،
ففتح الله على يديه وهزمهم ، فيزعمون أن سلمة بن دُرَيْدٍ هو الذي رمى أبا عامر
الأشعري بسهم ، فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ ابْنُ سَمَادِيرٍ لِمَنْ تَوَسَّمَهُ
أَضْرِبْ بِالسَّيْفِ رَعُوسَ الْمُسْلِمَةِ

وسمادير أمه .

واستحرق القتل من بني نصر في بني رثاب ، فزعموا أن عبد الله بن قيس -
وهو الذي يقال له ابن العوراء ، وهو أحد بني وهب بن رثاب - قال : يا رسول الله
هلكت بنو رثاب ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : اللهم اجبر مصيبتهم .

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف في فوارس من قومه ، على ثنية
من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم ، وتلحق أخراكم .
فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس ، فقال مالك بن عوف
في ذلك :

وَكُلُّوْا كَرَّتَانِ عَلَى مُحَاجٍ لَضَاقَ عَلَى الْعَضَارِيطِ الطَّرِيقُ (٢)
وَكُلُّوْا كَرُّ دَهْمَانَ بَنِّ نَصْرٍ لَدَى النَّخْلَاتِ مُنْذِفِ الشَّدِيقِ (٣)
لَأَبْتَ جَعْفَرَ وَبَنُو هَلَالٍ خَزَايَا مُحَقِّبِينَ عَلَى شَقُوقِ (٤)

(١) ذو بقر : اسم مكان ، فيف : قفر ، النهاق : موضع .

(٢) مُحَاج : فرس مالك - العضاريط : الأجراء .

(٣) الشديق : واد من وديان الطائف .

(٤) محقبين : مردفين ، شقوق : أى على مشقة .

شعر سلمة :

قال ابن إسحاق : وقال سلمة بن دُرَيْد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :
 نَسِيتَنِي مَا كُنْتُ غَيْرَ مُصَابَةٍ وَقَدْ عَرَفْتُ غَدَاةَ نَعْفِ الْأَطْرَبِ (١)
 أَنِي مَنَعْتُكَ وَالرَّكُوبُ مُحِبُّ وَمَشِيتُ خَلْفَكَ مِثْلَ مَشْيِ الْأَنْكَبِ (٢)
 إِذْ فَرَّ كُلُّ مَهْـذَبٍ ذِي لِمَةٍ عَنْ أُمِّهِ وَخَلِيلِهِ لَمَّ يَعْقِبُ

المنهى عن قتلهم : قال ابن إسحاق : وحدثني أصحابنا : أن رسول الله ﷺ مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس متقصفون (٣) عليها فقال : ما هذا فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد : فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه : أدرك خالدًا ، فقل له : إن رسول الله ينهك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيفاً (٤) .

الشيء أخت الرسول : قال ابن إسحاق : وحدثني بعض بني سعد بن بكر : أن رسول الله ﷺ قال يومئذ : إن قدرتم على بـجـاد ، رجل من بني سعد ابن بكر ، فلا يفلتنكم ، وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيعة ، بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فعنفوا عليها في السياق : فقالت للمسلمين : تعلموا والله أني لأخت صاحبكم من الرضاعة ، فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عبيد السعدي ، قال : فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ ، قالت : يا رسول الله ، إنني أختك من الرضاعة ، قال : وما علامة ذلك؟ قالت عضه عضضتيها في ظهري وأنا متوركك قال : فعرف رسول الله ﷺ العلامة فبسط لها رداءه . فأجلسها عليه ، وخيرها ، وقال : إن أحببت فعندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتك (٥) وترجعي إلى قومك فعلت ، فقالت بل تمتعني وتردني إلى قومي . فمتعها رسول الله ﷺ ، وردها إلى قومها .

(١) النعف : أسفل الجبل ، الأطرب : الجبل الصغير .

(٢) الأنكب : المائل إلى جهة .

(٣) متقصفون : مجتمعون في ازدحام .

(٤) العسيف : الأجير ، وهذا من سماحة الإسلام أن لا يُقتل من لا ذنب له ولا

الآمنون ومن ليسوا في أرض المعركة .

(٥) أي أعطيك ما يمتك وما يكون فيه انتفاعك .

فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية ، فزوجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية ^(١) .

• شهداء يوم حنين :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين .

من قریش ثم من بنی هاشم ، أيمن بن عبید .

ومن بنی أسد بن عبد العزی : یزید بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد جمع به فرس له يقال له الجناح ، فقتل .

ومن الأنصار : شراقة بن الحارث بن عدى ، من بنی العجلان .

ومن الأشعریین : أبو عامر الأشعري .

• سبايا حنین وأموالها :

ثم جمعت إلى رسول الله سبايا حنين وأموالها ، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفاري ، وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجعرانة فحبست بها .

• شعر عباس بن مرداس :

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس في يوم حنين :

إني والسوايحُ يومَ جَمْعٍ وما يتلو الرسول من الكتابِ
لقد أحبيتُ ما لقيتُ ثَقِيفَ بجنب الشعبِ أُمس من العذابِ
هُمُ رأسُ العدو من اهلِ نَجْدٍ فقتلهم ألدُّ من الشرابِ
هَزَمْنَا الجَمْعَ جَمَعَ بَنَى قَسَى وحكت بركها ببنى رثابِ ^(٢)
وَصَرِمَا من هِلَالِ غَادَرَتِهِمْ بأوطاس تعفُر بالترابِ ^(٣)
ولو لاقين جمعَ بَنَى كلاب لقام نساؤهم والنقع كابي

(١) قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل في يوم حنين : ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وذلك جزاء الكافرين ﴾ (التوبة : الآية ٢٥ ، ٢٦) .

(٢) البرك : الصدر ، ويريد حكت بركها : شدة وطأة الحرب .

(٣) الصرم : الجماعة من الناس أو البيوت المنقطعة عن الحى .

رَكَضْنَا الْخَيْلَ فِيهِمْ بَيْنَ بَسْ إِلَى الْأَوْرَالِ تَنْحَطُ بِالنَّهَابِ (١)
بَذَى لَجِبِ رَسُولِ اللَّهِ فِيهِمْ كَتَيْبَتُهُ تُعْرَضُ لِلضَّرَابِ

• رَدُّ ابْنِ الْعَفِيفِ :

فَأَجَابَهُ عَطِيَّةُ بْنُ عَفِيفٍ النَّصْرِيُّ فَقَالَ :

أَفَاخِرَةُ رِفَاعَةٍ فِي حُنَيْنٍ وَعَبَّاسُ بْنُ رَاضِعَةِ اللَّجَابِ (٢)
فَإِنَّكَ وَالْفَخَارُ كَذَاتِ مِرْطٍ لِرَبَّتِهَا وَتَرْفُلٍ فِي الْإِهَابِ

قال ابن إسحاق : قال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن في يوم حنين . ورفاعة من جهينة .

• شعر عباس بن مرداس :

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

يَا خَاتَمَ النَّبَاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هَذَاكَ
إِنَّ الْإِلَهَ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّةً فِي خَلْقِهِ وَمُحَمَّدًا سَمَّاكَ
ثُمَّ الَّذِينَ وَقُّوا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ جُنْدٌ بَعَثْتَ عَلَيْهِمُ الضَّحَاكَ
رَجُلًا بِهِ ذَرَبُ السِّلَاحِ كَأَنَّهُ لَمَّا تَكَنَّفَهُ الْعَدُوَّ يَرَاكَ (٣)
يَغْشَى بِهِ هَامُ الْكُمَاةِ وَلَوْ تَرَى مِنْهُ الَّذِي عَايَنْتَ كَانَ شَفَاكَ
وَبَنُو سُلَيْمٍ مَعْنَقُونَ أَمَامَهُ ضَرْبًا وَطَعْنَا فِي الْعَدُوِّ دَرَاكَ (٤)
يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِ وَكَأَنَّهُمْ أَسَدُ الْعَرَيْنِ أُرْدَنَ ثَمَّ عَرَاكَ (٥)
مَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قَرَابَةً إِلَّا لِبَطَاعَةِ رَبِّهِمْ وَهَوَاكَ
هَذَى مَشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا مَعْرُوفَةً وَوَلِينَا مَوْلَاكَ

(١) البس والأورال : مكانان . تنحط تخرج أنفاسها عالية .

(٢) اللجاء : العترة (الماعز) التي لبنها قليل .

(٣) الذرب : الحدة .

(٤) معنقون : مسرعون ، درك : متتابع .

(٥) العراك : المدافعة .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ غَضَبٍ لَهُ	بِأَلْفِ كَمِيٍّ لَا تُعَدُّ حَوَاسِرُهُ (١)
حَمَلْنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرَّمْحِ رَايَةً	يَذُودُ بِهَا فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ نَاصِرَهُ
وَنَحْنُ خَضْبِنَاهَا دَمًا فَهُوَ لَوْنُهَا	غَدَاةٌ حُنَيْنٍ يَوْمَ صَفْوَانَ شَاجِرَةٍ (٢)
وَكُنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ مَيِّمَةً لَهُ	وَكَانَ لَنَا عَقْدُ اللَّوَاءِ وَشَاهِرُهُ
وَكُنَّا لَهُ دُونَ الْجَنُودِ بِطَانَةً	يُشَاوِرُنَا فِي أَمْرِهِ وَنُشَاوِرُهُ
دَعَانَا فَسَمَّانَا الشُّعَارَ مَقْدَمًا	وَكُنَّا لَهُ عَوْنًا عَلَى مَنْ يَنَكَرُهُ (٣)
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ نَبِيِّ مُحَمَّدًا	وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ وَاللَّهُ نَاصِرُهُ

• شعر ضمضم :

قال ابن إسحاق : وقال ضمضم بن الحارث بن جشم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عصية السلمى فى يوم حنين : وكانت ثقيف أصابت كنانة ابن الحكم بن خالد بن الشريد ، فقتل به محجنا وابن عم له ، وهما من ثقيف :

نَحْنُ جَلْبِنَا الْخَيْلَ مِنْ غَيْرِ مَجْلَبٍ	إِلَى جَرَشٍ مِنْ أَهْلِ زِيَانِ وَالْقَمِ (٤)
نَقْتُلُ أَشْجَالَ الْأَسْوَدِ وَنَبْتَغِي	طَوَاغِي كَانَتْ قَبْلُنَا لَمْ تُهْدِمِ
فَإِنْ تَفَخَّرُوا بِابْنِ الشُّرَيْدِ فَإِنِّي	تَرَكْتُ بَوَجْ مَأْتَمًا بَعْدَ مَأْتَمِ
أَبَاتُهُمَا بِابْنِ الشُّرَيْدِ وَغَرَّةٌ	جَوَارِكُمْ وَكَانَ غَيْرِ مُدْمَمِ
تُصِيبُ رِجَالًا مِنْ ثَقِيفٍ رِمَاحَنَا	وَأَسِيفُنَا يُكَلِّمُهُمْ كُلُّ مُكَلِّمِ

* شعر مالك بن عوف :

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره :

-
- (١) الحواسر : من لا دروع عليهم .
 (٢) شاجره : خالطه بالرمح .
 (٣) الشعار : الثياب التى تلى الجسد ، كناية عن قرب الحاشية .
 (٤) الحرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة .

- مَنَعَ الرُّقَادَ فَمَا أَغْمَضَ سَاعَةً
سَائِلَ هَوَازِنَ هَلْ أَضُرَّ عَدُوَهَا
وَكَتِيبَةٌ لِبَسْتَهَا بِكَتِيبَةٍ
وَمُقَدِّمٌ تَعْيَا النَّفْسُ لَضِيقِهِ
فَوَرَدَتْهُ وَتَرَكْتُ إِخْوَانًا لَهُ
فَإِذَا انْجَلَتْ غَمَرَاتِهِ أَوْرَثَنِي
كَلَفْتُمُونِي ذَنْبَ آلِ مُحَمَّدٍ
وَخَذَلْتُمُونِي إِذَا أَقَاتَلَ وَاحِدًا
وَإِذَا بَنَيْتُ الْمَجْدَ يَهْدُمُ بَعْضُكُمْ
وَأَقْبَ مَخْمَاصَ الشَّتَاءِ مَسَارِعَ
أَكْرَهْتُ فِيهِهِ أَلَةَ يَزْنِيَةٍ
وَتَرَكْتُ حَتَّتَهُ تَسْرُدَ وَلِيهِ
وَنَصَبْتُ نَفْسِي لِلرَّمَاكِ مَدْجَجًا
- نَعَمْ بِأَجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُخْضَرَمٌ (١)
وَأَعَيْنَ غَارِمًا — هَا إِذَا مَا يَغْرَمُ
فَتَتَيْنَ مِنْهَا حَاسِرًا — وَمَلَامُ
قَدَمَتِهِ وَشَهْوَدَ قَوْمِي أَعْلَمُ (٢)
يَرْدُونَ غَمْرَتَهُ وَغَمْرَتَهُ الدَّمُ
مَجْدَ الْحَيَاةِ وَمَجْدَ غَنَمٍ يَقْسِمُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَنْ أَعْقَى وَأَظْلَمُ
وَخَذَلْتُمُونِي إِذَا تَقَاتَلَ خُثْعَمُ
لَا يَسْتَوِي بَانٍ وَآخِرُ يَهْدُمُ
فِي الْمَجْدِ يَنْمُو لِلْعَلَا مُتَكْرَمُ (٣)
سَحْمَاءُ يَقْدُمُهَا سَنَانُ سَلْجَمُ (٤)
وَتَقُولُ لَيْسَ عَلَيَّ فَلَانَةَ مُقَدِّمُ (٥)
مِثْلُ الدَّرِيَةِ تَسْتَحِلُّ وَتَشْرُمُ (٦)

* شعر رجل من هوازن :

قال ابن إسحاق : وقال قائل في هوازن أيضًا ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أَذْكَرَ مَسِيرَهُمْ لِلنَّاسِ إِذْ جَمَعُوا وَمَالِكُ فَوْقَهُ الرِّيَاضُ تَخَفَقُ
وَمَالِكُ مَالِكُ مَا فَوْقَهُ أَحَدًا يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَيْهِ التَّاجُ يَأْتَلِقُ

- (١) النَّعَمُ : الإبل ، المخضرمة : مقطوعة أطراف الأذان .
(٢) المقدم : الموضع الذي لا يتقدم فيه إلا الأبطال .
(٣) الواقب : ضامر الخصر ، المخماص : ضامر البطن .
(٤) أَلَةُ : الحربة يزنية ، منسوبة إلى ذي يزن الحميري أحد ملوك حمير ، سحماء : سوداء .
(٥) حَتَّتَهُ : زوجته ؛ سميت بذلك لأنها تميل إليه وهو يميل إليها .
(٦) الدرية : الدريثة ، وهي حلقة تنصب فيتعلم عليها الطعن .

حتى لقوا اليأس حين البأس يقدمهم عليهم البيض والأبدان والدرق
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً حول النبي وحتى جنة الغسق
ثُمَّ نزل جبريل ينصرهم من السماء فمهزوم ومعتنق^(١)
مِنَّا ولو غير جبريل يُقاتلنا لمنعنا إذا أسيافاً العتق
وفاتنا عمر الفاروق إذ هزموا بطعنة بل منها سرجه العلق^(٢)

• شعر ابن وهب في الرد على ابن ثواب :

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بني تميم ، ثم من بني أسيد ، فقال :

بشرط الله نضربُ من لَقِينَا كأفضل ما رأيت من الشروط
وكنّا يا هوازن حُـيْن نَلَقَى نيل الهام من علق عبيط
يجمعكم وجمع بني قسي نحك البرك كالورق الخيط^(٣)
أصبنا من سراتكم وملنا نقتل في المبيان والخليط
به الملتاث مفتـرش يديه يمج الموت كالسكر النحيط^(٤)
فإن تك قيس عيلان غضابا فلا ينفك يرغمهم سعوطى

* شعر خديج بن العوجاء النصرى :

وقال خديج بن العوجاء النصرى :
لما دنونا من حنين ومائه رأينا سواداً منكر اللون أخصفاً^(٥)
بلمومة شهباء لو قذفوا بهـ شماريخ من عزوى إذن عاد صفصفاً^(٦)

(١) المعتنق : الأخير . (٢) العلق : الدم .

(٣) الورق الخيط : الذى ضرب بالعصا ليسقط .

(٤) الملتاث : اسم رجل ، البكر : الفتى من الإبل ، النحيط : من يردد النفس فى صدره فتسمع له صوتاً .

(٥) سواداً : أشخاصاً . الأخصف : الملون .

(٦) الملمومة : الكتيبة المجتمعة . شهباء : كثيرة السلاح . شماريخ : أعالي الجبال .

صفصفاً : مستويا بالأرض .

وَكُوْا أَنْ قَوْمِي طَاوَعْتَنِي سُرَاتِهِمْ إِذْنًا مَا لَقِينَا لِلْعَارِضِ الْمُتَكَشِّفَا (١)
إِذَا مَا لَقِينَا جُنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ثَمَانِينَ أَلْفًا وَاسْتَمَدُّوا بِخَنْدَفَا (٢)

ذكر غزوة الطائف (٣) بعد حنين في سنة ثمان

ولما قدم قل (٤) ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ، ولا غيد بن سلمة ، كانا بجرش ، يتعلمان صناعة الدبابات والمجانيق والضبور (٥) .

ما قيل من الشعر في غزوة الطائف : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين ، فقال كعب بن مالك ، حين أجمع رسول الله ﷺ السير إلى الطائف :

* شعر كعب بن مالك :

قَضِينَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ وَخَيْرٌ ثُمَّ أَجْمَعْنَا السُّيُوفَا (٦)
نُخَيِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ : قَوْ دَوْسَا أَوْ ثَقِيفَا

(١) العارض : السحاب . المتكشف : الواضح . يشبه به جنود المسلمين .

(٢) خندف : اسم قبيلة .

(٣) وأصل تسميتها كما ذكر بعض أهل النسب أن الدمون بن الصدف ، واسم الصدف ملك بن مالك بن مرتع بن كندة من حضرموت أصاب دماً من قومه ، فلحق بثقيف ، فأقام فيهم ، وقال لهم : ألا أبني لكم حائطاً يطيف ببلدكم ، فبناه فسمى به الطائف ، وذكره البكري هكذا قال : وإنما هو الدمون بن عبد بن مالك بن دهقل ، وهو من الصدف ، وله ابنان أدركا النبي ﷺ وبإيعاه ، اسم أحدهما : الهميل ، والآخر : قيصبة ، ولم يذكرهما أبو عمر بن عبد البر في الصحابة ، وذكرهما غيره . (٤) الفل : بقية الجيش المنهزم .

(٥) الدبابة : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها . والمنجنيق : آلة حربية من آلات الحصار ترمى الحجارة وغيرها من القذائف وجمعها مجانيق ومجانيق ومنجنقات . والضبور : مثل رءوس الأسقاط يتقى بها في الحرب عند الانصراف ، وفي العين : الضبر جلود يغشى بها خشب يتقى بها في الحرب .

(٦) أجمعنا : أرحنا .

فلست لحاضن إن لم تروها
ونتزع العروش بيطن وج
ويأتيكم لنا سُرعان خيل
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم
بأيديهم قواضٍ بمرهفات
كأمثال العقائق أخلصتها
تخال جدية الأبطال فيهم
أجدهم أليس لهم نصيح
يخبرهم بأنا قد جمعنا
وأنا قد اتيناهم بزحف
رئيسهم النبي وكان صلباً
رشيد الأمر ذو حكم وعلم
نطيع نبينا وننطق بغير ربنا
فإن تلقوا إلينا السلم نقبل
وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر
نُجالد ما بقيتنا أو تنبوا
نُجاهد لا نبالي من لقينا

بَسَاحَة دَارِكُم مِّنَا الْوَفَا
وَتَصْبِح دُورِكُم مِّنْكُمْ خُلُوفَا
يَغَادِرْ خَلْفَهُ جَمْعَا كَثِيفَا
لَهَا عَمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا
يَزِرْنِ الْمَصْطَلِينَ بِهَا الْخُتُوفَا
قُبُونِ الْهِنْدِ لَمْ تَضْرِبْ كَثِيفَا (١)
غَدَاةُ الزَّحْفِ جَادِيَا مَدُوفَا (٢)
مِنَ الْأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَا (٣)
عَتَاقُ الْخَيْلِ وَالنَّجَبِ الطَّرُوفَا (٤)
يُحِيطُ بِسُورِ حَصْنِهِمْ صُفُوفَا
نَقَى الْقَلْبِ مُصْطَبِرَا عَزُوفَا
وَحِلْمٌ لَمْ يَكُنْ نَزَقَا خَفِيفَا
هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَءُوفَا
وَنَجْعَلُكُمْ لَنَا عَضْدَا وَرِيفَا (٥)
وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشَا ضَعِيفَا (٦)
إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانًا مُضِيفَا (٧)
أَهْلُكُنَا التَّلَادُ أَمِ الطَّرِيفَا (٨)

(١) الكتيف : الصفائح الحديد .

(٢) الجدية : الدماء السائلة . الجادى : الزعفران . مدوف : مخلوط .

(٣) أجدهم : أجد منهم . عريفا : عارفا .

(٤) الطرُوف : ناحية الأصل .

(٥) الريف فى الأصل : الأرض المخصبة المنزرعة خارج المدن والمراد أن يجعلهم

مساعدين لهم مستمدين عيشهم من ريفهم .

(٦) الرعش : المتقلب غير الثابت .

(٧) مضيف : ملجئ .

(٨) التلاد : المال القديم ، الطريف : المال المستحدث .

وَكَمْ مِنْ مَعَشَرٍ أَلْبَا عَلَيْنَا
أَتُونَا لَا يَبْشُرُونَ لَهُمْ كَفَاءُ
بِكُلِّ مُهَنْدٍ لِي——نِ صَقِيلٍ
لَأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى
وَتُنْسَى اللَّاتِ وَالْعَزَى وَوَدَّ
فَأَمْسُوا قَدْ أَقْرُوا وَاطْمَأَنَّنَا
• كِنَانَةُ يَرِدُ عَلَى كَعْبٍ :

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عامر ، فقال :

مَنْ كَانَ يَبْغِينَا يُرِيدُ قِتَالَنَا
وَجَدْنَا بِهَا الْآبَاءَ مِنْ قَبْلُ مَا تَرَى
وَقَدْ جَرَبْتَنَا قَبْلَ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ (٤)
وَقَدْ عَلِمْتَ أَنْ قَالَتْ الْحَقُّ أَنَّنَا
نُقْرُومُهَا حَتَّى يَكُنْ شَرِيسُهَا
عَلَيْنَا دِلَاصٌ مِمَّنْ تُرَاثُ مُحْرَقٍ
نَرْفُهَا عَنَّا بِيضُ صَوَارِمٍ

(١) شنوف : جمع شنف وهي حلية تعلق في أعلى الأذن .

(٢) الخسوف : الذود .

(٣) الأطواء : جمع طوى وهي البثر جمعت على غير قياس توهموا سقوط ياء فعيل

منها إذ كانت رائدة .

(٤) قال هذا جواباً للأنصار لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عامر ولم يرد أن الأنصار قد

جربتهم قبل ذلك وإنما أراد إخوتهم وهم خزاعة وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة ،

وقيل : إنما أراد عمرو بن عامر بن صعصعة .

(٥) صغر خده : أماله إلى جهة تكبرا .

(٦) دلاص : الدروع اللينة . محرق : عمرو بن عامر ، لأنه أول من حرق

العرب بالنار .

(٧) لا نشيمها : لا نغملدها .

● شعر شداد بن عارض :

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله ﷺ إلى الطائف :

لا تَنْصَرُوا اللَّاتَ إِنْ اللَّهَ مُهْلِكُهَا وكيف يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ
إِنَّ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسِّدِّ فَاشْتَعَلَتْ ولم يقاتل لدى أحجارها هَدْرُ
إِنَّ الرِّسُولَ مَتَى يَنْزِلَ بِلَادَكُمْ يظعن وليس بها من أهلا بَشْرُ

الطريق إلى الطائف : قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله ﷺ على نخلة السمائية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرغاء من لية ^(١) ، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ ببصرة الرغاء ، حين نزلها ، بدم وهو أول دم أقيد به في الإسلام ، رجل ، من بني ليث قتل رجلاً من هذيل ، فقتله به ، وأمر رسول الله ﷺ ، وهو بلية ، بحصن مالك بن عوف فهدم ، ثم سلك في طريق يقال له الضيقة ، فلما توجه فيها رسول الله ﷺ سأل عن اسمها ، فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ ف قيل له الضيقة ، فقال : بل هي اليسرى ، ثم خرج منها على نخب ، حتى نزل تحت سُدرة ، يقال لها الصادرة ، قريباً : من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ : إما أن تخرج ، وإما أن نخرب عليك حائطك ^(٢) ، فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله ﷺ بإخراجه .

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقتل به ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ، فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ، فحاصروهم بضعةً وعشرين ليلة .

(١) أسماء أماكن بالطائف .

(٢) الحائط : أي البستان أو الحديقة التي لها سور .

قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان ^(١) من نسائه ، إحداهما أم سلمة بنت أبي أمية ، فضرب لهما قبتين ^(٢) ، ثم صلى بين القبتين . ثم أقام ، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله ﷺ عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجداً ، وكانت في ذلك المسجد سارية ^(٣) ، فيما يزعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سمع لها نقيض ^(٤) فحاصرهم رسول الله ﷺ وقاتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل ^(٥) .

• يوم الشدخة :

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابة ، ثم رحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالاً ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

• أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف :

وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف ، فناديا ثقيفاً ^(٦) : أن أمنونا حتى نكلمكم فأمنوهما ، فدعوا نساء من نساء قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهما ، وهما يخافان عليهن السباء ^(٧) ، فأبين ، منهن آمنة بنت أبي سفيان كانت عند ^(٨) عروة بن مسعود ، له منها داود بن عروة ^(٩) .

(١) أى مع رسول الله ﷺ . (٢) أى خيمتين .

(٣) مثل العمود .

(٤) نقيض : صوت .

(٥) قال ابن هشام : وراهم رسول الله ﷺ بالمنجنيق ، وقال أيضاً : حدثني من أتق

به أن رسول الله ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .

(٦) أى نادوا : يا بني ثقيف .

(٧) أى الأسر .

(٨) أى كانت زوجة عروة بن مسعود .

(٩) قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبي سفيان ، وكانت عند أبي مرة

ابن عروة بن مسعود ، فولدت له داود بن أبي مرة .

قال ابن إسحاق : الفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن ابن قارب ، والفقيمية أميمة بنت الناسيء أمية بن قلع ، فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان ويا مغيرة ، ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال بني الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف ، نازلا بواد يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاء ، ولا أشد مؤونة ، ولا أبعد عمارة من مال بني الأسود ، وأن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله والرحم ، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يُجهل ، فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم (١) .

أبو بكر يُفسر رؤيا الرسول ﷺ : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر ، إنى رأيت أنى أهديت لى قبة مملوءة زبدًا ، فنقرها ديك فهراق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أن ندرك منهم يومك هذا ما نريد . فقال رسول الله ﷺ : وأنا لا أرى ذلك .

ارتحال المسلمين عن الطائف : ثم إن خويلة بنت حكيم بن أمية بن نحرثة ابن الأوقص السلمية ، وهى امرأة عثمان ، قالت يا رسول الله ، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلّى بادية بنس غيلان بن مظعون بن سلمة ، أو حلّى الفارعة بنت عقيّل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف .

فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال لها : وإن كان لم يؤذن لى فى ثقيف يا خويلة ؟ فخرجت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : ما حديث حدثتني خويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ، قال أوّما أذن لك فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا ، قال : أفلا أودن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذن عمر بالرحيل .

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إن الحى مقيم . قال : يقول عيينة بن حصن : أجل ، والله مجدة كراما ، فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة . أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ ، وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ ! فقال : إنى والله ما جئت لأقاتل

(١) تاليفًا لقلوبهم .

ثقيفا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أطوها ،
لعلها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفا قوم مناكير ^(١) .

عبيد الطائف ينزلون إلى المسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ،
عن عبد الله بن مكرم ، عن رجال من ثقيف قالوا : لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر
منهم فى أولئك العبيد ، فقال رسول الله ﷺ : لا ، أولئك عتقاء الله ، وكان ممن
تكلم فيهم الحارث بن كلدة .

• شعر الضحاك فى إطلاق أبي بن مالك من يد مروان :

قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً لمروان بن قيس الدوسى وكان
قد أسلم ، وظاهر رسول الله ﷺ على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم
به ثقيف أنها من قيس ، أن رسول الله ﷺ قال لمروان بن قيس : خذ يا مروان
بأهلك أول رجل من قيس تلقاه ، فلقى أبى بن مالك القشيري فأخذه حتى يؤدوا إليه
أهله فقام فى ذلك الضحاك بن سفيان الكلابي ، فكلّم ثقيفاً حتى أرسلوا أهل
مروان ، وأطلق لهم أبى بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان فى شيء كان بينه وبين
أبى مالك :

أتنسى بلاتسى يا أبى بن مالك	غداة الرسول معرض عنك أشوس ^(٢)
يقودك مروان بن قيس بحبله	ذليلاً كما قيد الذلول المخيس ^(٣)
فعدت عليك من ثقيف عصاة	متى يأتهم مستقبس الشر يقبسوا
فكانوا هم المولى فعدت حلومهم	عليك وقد كادت بك النفس تياس

* * *

-
- (١) المناكير : جمع منكر : هو الفطن الذكى .
(٢) الأشوس : من يعرض بنظره إلى جهة أخرى .
(٣) المخيس : المذلّل .

الشهداء يوم الطائف

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائف :

من قريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس : سعيد بن سعيد بن العاص ابن أمية ، وعرفطة بن جناب ، حليف لهم ، من الأسد بن الغوث .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تيم بن مرة . عبد الله بن أبي بكر الصديق ، رمى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ .

ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، من رمية رميها يومئذ .

ومن بنى عدى بن كعب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جليحة بن عبد الله .

واستشهد من الأنصار : من بنى سلمة : ثابت بن الجذع .

ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سهل بن أبي صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن معاوية .

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلا سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

قصيدة بجير بن زهير في حنين والطائف : فلما انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار ، قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حُنيًا والطائف :

كانت عِلالة يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنٍ وغداة أوطاس ويوم الأبرق (١)

(١) العلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال ، يريد : أن هوازن جمعت جمعها علالة في ذلك اليوم ، وحذف التنوين من علالة ضرورة ، وأضمر في كانت اسمها ، وهو القصة وإن كانت الرواية بخفض يوم ، فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب ، ولكن=

جَمَعْتُ بِإِغْوَاءِ هَوَازِنَ جَمْعِهَا
لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَامًا وَاحِدًا
وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لَكَيْمًا يَخْرُجُوا
تَرْتَدُّ حُسْرَانًا إِلَى رَجْرَاجَةٍ
مَلَمُومَةٍ خَضِرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا
مَشَى الضَّرَاءُ عَلَى الْهَرَّاسِ كَأَنَّا
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَحْصَنْتِ
جُدُلٌ تَمَسُّ فُضُولَهُنَّ نَعَالَنَا

فَتَبَدُّوا كَالطَّائِرِ الْمَتَمَرِّقِ
إِلَّا جَدَارَهُمْ وَبَطْنُ الْخَنْدَقِ
فَتَحْصِنُوا مِنَّا بِيَابَ مَغْلَقِ
شَهْبَاءُ تَلْمَعُ بِالْمَنَائِبِ فَيَلْقَى (١)
حُضْنًا لَظْلَ كَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ (٢)
قُدْرَ تَفَرَّقَ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقَى (٣)
كَالْنَهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَتَرَفِّقِ (٤)
مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ وَآلِ مُحَرَّقِ (٥)

* * *

= ألفيته في النسخة المقيدة ، وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جار في علالة أن يكون منصوباً على خبر كان . فيكون اسمها عائداً على شيء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع في علالة مع إضافتها إلى يوم ، على أن تكون كان تامة مكتفية باسم واحد ، ويجوز أن تجعلها اسماً علماً للمصدر مثل برة وفجار ، وينصب يوم على الظرف كما تقيد في النسخة . انظر الروض الأنف ج ٤ ص ١٦٥ .

(١) حسرانا ، جمع : حسير وهو الكليل ، والرجراجة : الكتيبة الضخمة من الرجرجة ، وهي شدة الحركة والاضطراب . وفيلق : من الفلق ، وهي الداهية .
(٢) ملمومة : مجتمعة . خضراء : تظهر كذلك لكثرة ما عليها من الحديد - حضن : اسم جبل .

(٣) الضراء : الكلاب . والهراس : نوع من الشوك ، والكلاب إذ مشت في الهراس ابستغت لأيديها موضعاً ثم تضع أرجلها موضع أيديها . شبه الخيل بها ، والقدر : الوعول المسنة .

(٤) النهى : الغدير سمي بذلك لأنه ماء نهاء ما ارتفع من الأرض من السيالان فوقف .
(٥) الجدل : المنسوجة نسجاً محكمًا . آل محرق : آل عمرو بن هند ملك الحيرة .

أمر أموال هوازن وسبائها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا (١) حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس ، ومعه من هوازن سبى كثير ، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يا رسول الله ادع عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اهد ثقيفاً واثت بهم .

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله ﷺ من سبى هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الإبل والشاة ما لا يدرى ما عدته .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، أن وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وقد أسلموا فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامن علينا ، من الله عليك . قال : وقام رجل من هوازن ثم أحد بنى سعد بن بكر ، يقال له زهير ، يكنى أبا صرد . فقال : يا رسول الله ، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا ملحنا للحارث بن أبي شمر ، أو للنعمان ابن المنذر ، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به . رجونا عطفه وعائدته علينا ، وأنت خير المكفولين .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، قال : فقال رسول الله ﷺ : أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد إلينا نساءنا وأبنائنا ، فهو أحب إلينا ، فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فأسأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ، فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله ﷺ : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم .

(١) دحنا : موضع بالطائف .

فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال عباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ .

قال : يقول عباس بن مرداس لبني سليم : وهتتموني . فقال رسول الله ﷺ : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض ، من أول سبي أصيبه . فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم . قال ابن إسحاق : وحدثني أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي : أن رسول الله ﷺ أعطى على بن أبي طالب زوجته جارية ، يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفان جارية . يقال لها زينب بنت حيان بن عمر بن حيان ، وأعطى عمر بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عمر ابنه .

قال ابن إسحاق : فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر ، قال : بعثت بها إلى أخوالي من بني جمح ، ليصلحوا لي منها ، ويهيئوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال فخرجت من المسجد حين فرغت ، فإذا الناس يشدون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : رد علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا ، فقلت : تلکم صاحبکم فی بنی جمح ، فاذهبوا إليها فخذوها . فذهبوا إليها ، فأخذوها . قال ابن إسحاق : وأما عيينة بن حصن ، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إنى لأحسب لها في الحى نسباً ، وعسى أن يعظم فداؤها . فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض ، أبى أن يردها ، فقال له زهير أبو صرد : خذها عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بتاهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ^(١) ، ولا درها بماكد ^(٢) . فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال ، فزعموا أن عيينة لقي الأقرع بن حابس فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ، ولا نصفاً وثيرة ^(٣) .

(١) الواجد : الحزين . (٢) الماكد : الغزير .

(٣) غريرة : متوسطة السن ، نصفاً : متوسطة السن أيضاً ، وثيرة ، سمينه .

• إسلام مالك بن عوف :

وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله ﷺ : أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال له ما قال : فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيئت له ، وأمر بفرس له ، فأتى به إلى الطائف ، فخرج ليلاً ، فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس ، فركبها ، فلحق برسول الله ﷺ ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل ^(١) ، وأسلم فحسن إسلامه ، فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله
في الناسِ كلهم بمثلِ مُحَمَّدٍ
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى
ومتى تشأ يُخبركَ عما في غدٍ
وإذا الكتبية عرّدت أنيابها
بالسمهرى وضرب كل مُهندٍ
فكانه ليثٌ على أشـ____بـاله
وسط الهباءة خادر في مرصدٍ

فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل : ثماله وسلمة ^(٢) وفهم فكان يقاتل بهم ثقيفاً ، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه ، حتى ضيق عليهم فقال أبو محجن ^(٣) بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي :

هابت الأعداء جانبنا
ثم تغزونا بنو سلمة
وأنا مالِكٌ بهم
ناقضاً للعهد والحُرمة
أتونا في منازلنا
ولقد كنّا أولى نَقمة

(١) وهكذا دائماً كانت أخلاق رسول الله ﷺ الوفاء بالوعد .

(٢) قال السهيلي في الروض الأنف : هكذا تفيد في النسخة - بكسر اللام - والمعروف في قبائل قيس سلمة بالفتح .

(٣) هو مالك بن حبيب ، وقيل : عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف ابن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفي .

• تقسيم الفىء :

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا حنين إلى أهلها ركب ، واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، أقسم علينا فيأنا من الإبل والغنم ، حتى الجثوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ، فقال : أدوا على رداي أيها الناس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألقيتموني بخيلاً ولا جبناً ولا كذباً ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وبرة من سنامه ، فجعلها بين أصبعيه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ، والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخياط والمخييط ^(١) ، فإن الغلول ^(٢) يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً ^(٣) يوم القيامة قال : فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لى دبر . فقال : أما نصيبى منها فلك قال : أما إذا بلغت هذا فلا حاجة لى بها ، ثم طرحها من يده ^(٤) .

قال ابن إسحاق : وأعطى رسول الله ﷺ المؤلفه قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة ، أخا بنى عبد الدار مائة بعير .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفى ، حليف بنى زهرة مائة بعير ، وأعطى عيينة بن حصن بن

(١) الخياط : الخيط : والمخييط : آلة الخياطة (الإبرة) .

(٢) الغلول : الخيانة . (٣) الشنار : الأمر القبيح الشنيع .

(٤) قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن عقيل بن أبى طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبه بن ربيعة ، وسيفه متلطح دماً . فقالت : إنى قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، فسمع منادى رسول الله ﷺ يقول : من أخذ شيئاً فليرده ، حتى الخياط والمخييط . فرجع عقيل ، فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت ، فأخذها ، فلقاها فى الغنائم .

حذيفة بن بدر مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير . وأعطى مالك ابن عوف النصرى مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المائة رجالاً من قريش ، منهم مخزومة بن نوفل الزهري ، وعمير ابن وهب الجُمحي ، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي ، لا أحفظ ما أعطاهم وقد عرفت أنها دون المائة ، وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكشة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السهمي خمسين من الإبل .

• شعر ابن مرداس :

قال ابن إسحاق : وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها ، فعاتب فيها رسول الله ﷺ ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ :

كَانَتْ نَهَبًا تَلَا فَيْتَهَا بِكَرَى عَلَى الْمَهْر فِي الْأَجْرِعِ
وَإِقْطَاظِي الْقَوْمَ أَنْ يَرْقِدُوا إِذَا هَجَّعَ النَّاسَ لَمْ أَهْجَعْ
فَأَصْبَحَ نَهَبِي وَنَهَبَ الْعُبَيْدِ دُوبَيْنَ عَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ (١)
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تَدْرَا فَلَمْ أُعْطِ شَيْئًا وَلَمْ أَمْنَعْ
إِلَّا أَفَائِلَ أُعْطِيَتْهَا عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَرْبَعِ (٢)
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ شَيْخِي فِي الْمَجْمَعِ (٣)
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعُ

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا به ، فاقطعوا عني لسانه ، فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله ﷺ (٤) .

(١) العبيد : اسم فرس عباس بن مرداس .

(٢) الأفائل : أصاغر الإبل مفردا أفيل . (٣) شيخى : أى أبى وجدى .

(٤) قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن عباس بن مرداس أتى

رسول الله ﷺ ، فقال له الرسول ﷺ : أنت القاتل .

« فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة » فقال أبو بكر للرسول ﷺ : أشهد

أنك كما قال الله : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ وإنما قال أبو بكر ذلك ؛ لأن

الرسول ﷺ لم ينطق البيت موزوناً لأنه لا يقول الشعر وإن كان يستمعه ويستجيده .

• لماذا لم يُعطِ النبي ﷺ جُعِيلًا :

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي : أن قائلًا قال لرسول الله ﷺ من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة ، وتركت جُعِيل بن سُرَاقَة الضمري ؟! فقال رسول الله ﷺ : أما والذي نفس محمد بيده لجُعِيل بن سُرَاقَة خير من طلاع الأرض ، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ، ولكني تألفتهم ، ووكلت جُعِيل بن سُرَاقَة إلى إسلامه .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلقا نعله بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمي يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بني تميم ، يقال له ذو الخويصرة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيتُ ما صنعت في هذا اليوم : فقال رسول الله ﷺ : أجل . فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت ، قال فغضب النبي ﷺ ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ؟! فقال عمر ابن الخطاب : يا رسول الله ، ألا أقتله ؟ فقال : لا ، دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل^(١) ، فلا يوجد شيء ، ثم في القدح^(٢) ، فلا يوجد شيء ، ثم في الفوق^(٣) ، فلا يوجد شيء ، سبق الفرث ، والدم^(٤) .

(١) النصل : حديد السهم .

(٢) القدح : السهم .

(٣) الفوق : طرف السهم .

(٤) وهذا الحديث النبوي الشريف من أعلام النبوة وهي التي أخبر بها النبي ﷺ قبل حدوثها وأنها ستحدث بعده ، وقد حدثت بالفعل كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ ، وهذا الحديث يتحدث عن ظهور أناس - هم الخوارج ومن وافقهم - يتعمقون في الدين - لكن ليس تعمقا برفق - ولذلك سهل أن يخرجوا من الدين بسرعة كما يخرج السهم من الرمية فلا يأخذ معه شيئًا ، وصدق الرسول ﷺ حين حذر من مثل هذا قائلًا : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » نسأل الله - الهداية والرشاد والتوفيق والسداد لجميع المسلمين .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبي عبيدة ، وسماه ذا الخويصرة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن أبيه بمثل ذلك .

• مقالة رسول الله ﷺ في الأنصار :

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطي من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب^(١) ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم . لما صنعت في هذا الفىء . الذى أصبت ، قسمت في قومك . وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب . ولم يك في هذا الحى من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي قال : فاجمع لى قومك في هذه الحظيرة قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة . فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا معشر الأنصار : مقالة بلغتني عنكم ، وجدة^(٢) وجدتموها على في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ، الله ورسوله آمن وأفضل . ثم قال : ألا تحببوننى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ الله ورسوله المن والفضل . قال ﷺ : أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصدقتم ولصدقتم : أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار

(١) يقصد من أعطاهم الرسول ﷺ وهم : بنى عدى بن كعب ، بنى جمح بن عمرو ، ومن بنى سهم ومن بنى عامر بن لؤى ومن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة ، من بنى قيس ، ومن بنى عامر بن صعصعة ، ومن بنى عامر بن ربيعة ومن بنى نصر بن معاوية ، ومن بنى سليم بن منصور ، ومن بنى غطفان ، ومن بنى تميم .

(٢) الجدة : مصدر وجد ، أى وجدتم في أنفسكم شيئاً .

فى أنفسكم ، فى لعاعة ^(١) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ^(٢) .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا ^(٣) لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً ، ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وتفرقوا .

* * *

عُمْرَةُ الرُّسُولِ مِنَ الْجَعْرَانَةِ

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان ^(٤) .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفئ فحبس بمجنة ، بناحية من الظهران ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ ابن جبل يفقه الناس فى الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتبع رسول الله ﷺ ببقايا الفئ .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله ﷺ فى ذى القعدة ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فى بقية ذى القعدة أو ذى الحجة ^(٥) .

jabir.abbas@yahoo.com

(١) اللعاعة : الخصب ، أو الشجرة الخضراء ، شبه بها نعيم الدنيا .
(٢) تكفهم هذه الدعوة فهى خير من ملء الأرض ذهباً ، أن دعا لهم بالرجمة ، والمغفرة ، ولأبنائهم ولذريتهم ، وهذه هى السعادة الحقيقية .
(٣) أخضلوا : أى بلوا .

(٤) قال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبى ﷺ عتاب ابن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجاج الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقنى رسول الله ﷺ درهما كل يوم فليست بى حاجة إلى أحد .

(٥) قال ابن هشام : وقدم رسول الله ﷺ المدينة لست ليالٍ بقين من ذى القعدة فيما رعم أبو عمر المدنى .

قال ابن إسحاق : وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد ، وهى سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة إذا انصرف رسول الله ﷺ إلى شهر رمضان من سنة تسع .

* * *

أَمْرُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ بَعْدَ الْأَنْصِرَافِ عَنِ الطَّائِفِ

ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ أَبِي سُلْمَى إِلَى أَخِيهِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَتَلَ رَجُلًا بِمَكَّةَ مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوهُ وَيُؤْذِيهِ ، وَأَنَّ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ شُعْرَاءِ قُرَيْشٍ ، ابْنِ الزَّبْعَرِيِّ ، وَهَبِيرَةَ بْنَ أَبِي وَهَبٍ قَدْ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ ، فَطَرِ (١) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَانْجِ إِلَى نَجَاتِكَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَكَانَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ قَدْ قَالَ :

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً
فَبَيْنَ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أَلْفِ يَوْمًا أَبَا لَهُ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسْفٍ
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَاسًا رَوِيَّةً
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسْفٍ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسْفٍ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسْفٍ

قال : وبعث بها إلى بُجَيْرٍ ، فلما أتت بُجَيْرًا كَرِهَ أَنْ يَكْتُمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهَا سَمِعَ : « سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ » صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون . ولما سمع : « على خلق لم تلف أمًا ولا أبا عليه » قال : أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه .

(١) فعل أمر بمعنى : طر من الطيران ، أى اتت الرسول بسرعة .

(٢) لعالك كلمة تقال للعائر دعاء له بالإقالة . أنشد أبو عبيد :

فلا لعاً لبنى فلان إذا عثروا .

(٣) قال الزرقاني ويروى : المحمود فى غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالمحمود محمدًا ﷺ وكذلك المأمون والأمين كانت قريش تسمى بها النبي ﷺ قبل النبوة . النهل : الشرب الأول . والعلل الشرب الثانى .

• شعر بجير لكعب :

مَنْ مَبْلَغُ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ لَا الْعُزَّى وَلَا اللَّاتِ وَحْدَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمَفْلَتٍ مَنْ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينَهُ وَدَيْنُ أَبِي سُلَيْمَى عَلَى مُحَرَّمُ

قال ابن إسحاق : وإنما يقول كعب « المأمون » ، لقول قريش الذي كانت تقول له
لرسول الله ﷺ .

كعب بن زهير وقصيدته بانته سعاد : قال ابن إسحاق : « فلما بلغ كعبا
الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من
عدوه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بدأ ، قال قصيدته التي يمدح فيها
رسول الله ﷺ ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى
قدم المدينة » فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جهينة ، كما ذكر لي ،
فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله ﷺ ، ثم
أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فأستأمنه فذكر لي أنه
قام إلى رسول الله ﷺ ، حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله
ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك
تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم ،
قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من
الأنصار ، فقال يا رسول الله ، دعني وعدو الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله
ﷺ : دعه عنك فإنه قد جاء تائباً ، نارعاً عما كان عليه . قال فغضب كعب على
هذا الحى من الأنصار ، لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من
المهاجرين إلا بخير ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ :
بَانتْ سَعَادٌ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولٌ مُتِيماً إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولٌ^(١)

(١) بانته : فارقت فراقاً بعيداً . متيم : ذليل مستعبد . متبول : أسقمه الحب
وأضنائه . لم يفد : لم يخلص من الأسر . مكبول : لا يجد فكاً من القيد .

- وَمَا سَعَادُ غَدَاةِ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا
هَيْفَاءَ مُقْبِلَةً عَجْزَاءَ مُدْبِرَةٍ
تَجَلُّو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ
شَجَتْ بِذِي شِيمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ
تَنْفَى الرِّيحَ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطُهُ
فَيَالَهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ
لَكُنْهَا خُلَّةً قَدْ سَيْطَ مَنْ دَمِهَا
فَمَا تَلُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا
وَمَا تَمْسُكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ
- (١) إِلَّا أَغْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
(٢) لَا يَشْتَكِي قَصْرُ مِنْهَا وَلَا طُولُ
(٣) كَأَنَّهُ مَنَهْلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ
(٤) صَافٍ بِأَبْطَحِ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ
(٥) مِنْ صَوْبٍ غَادِيَةٍ بَيِضٍ يَعَالِيلُ
(٦) بَوَعْدِهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولُ
(٧) فَجَعَ وَوَلَعَ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ
(٨) كَمَا تَلُونُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ
(٩) إِلَّا كَمَا يَمْسِكُ الْمَاءُ الْغَرَابِيلُ

- (١) غداة البين : صبيحة الفراق : أغن : أى ظمى أغن فى صوته حسن ، غضيض الطرف : فاتره . مكحول : أسود الجفون .
(٢) هيفاء : ضامرة البطن والخصر . العجزاء : ضخمة العجز ، لا يشتكى : لا يعاب .
(٣) تجلّو : تصقل وتظهر وتكشف ، العوارض : الأسنان التى تظهر عند الضحك .
الظلم : ماء الأسنان وبريقها ورقتها وهو أيضاً الثلج شبهت به الأسنان ، المنهل : المسقى وهو الشرب الأول ، الراح : الخمر ، معلول : اسم مفعول من علّه ، والعليل : الشرب الثانى .
(٤) شجت : مزجت ، ذى شيم : ماء شديد البرد ، محنية : منعطف الوادى ، أبطح : مسيل واسع فيه حصى دقيق . أضحى : أخذ فى وقت الضحى ، مشمول : ضربته ريح الشمال حتى برد .
(٥) تنفى : تبعد ، القذى : كل غريب يقع فى الماء من تبين ونحوه ، أفرطه : سبق إليه ، صوب : مطر سحابة ، غادية : مبكرة .
(٦) الخلة : الصديقة الخليفة .
(٧) سيط : خلط ، فجع : إصابة ، ولع : كذب ، إخلاف : خلف الوعد ، والمعنى : هذه الصفات خلطت بدمها .
(٨) الغول : ساحرة الجن تظهر فى الفلاة باللوان شتى ، تضلل من يتبعها .
(٩) ما تمسك : أى لا تتمسك .

- فَلَا يَغُرُّكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ إِنَّ الْأَمَانِي وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ (١)
 كَانَتْ مَوَاعِيدُ عَرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ (٢)
 أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتِهَا وَمَا إِخَالُ لَدِينَا مِنْكَ تَنْوِيلُ (٣)
 أَمْسَتْ سُعَادَ بَارِضٍ لَا يَبْلُغُهَا إِلَّا الْعِتَاقُ الْجِيَّاتُ الْمُرَاسِيلُ (٤)
 وَلَنْ يَبْلُغَهَا إِلَّا عَذَافَةٌ لَهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ (٥)
 مِنْ كُلِّ نَضَاخَةٍ الذَّفْرَى إِذَا عَرَقَتْ عُرْضَتِهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ (٦)
 تَرْمِي الْغُيُوبَ بَعِينِي مَفْرَدٌ لَهَقَ إِذَا تَوَقَّدَتْ الْحُزَانُ وَالْمِيلُ (٧)
 ضَخَمٌ مَقْلُدُهَا فَعَمَ مَقِيدُهَا فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ (٨)

- (١) فلا يغرنك : لا يخدعنك ، ما منت : ما منتك به من الوصل ، الأمانى :
 الآمال ، تضليل : سبب فى ضلال الإنسان .
 (٢) عرقوب : رجل اشتهر بخلف الوعد فضرب به المثل ، الأباطيل : جمع باطل ،
 وهو جمع على غير القياس .
 (٣) تدنو : تظهر ، إخال : بكسر الهمزة لغة تميم بمعنى أظن . تنويل : الوصل
 والعطاء .
 (٤) العتاق : جمع عتيق : الكريم . النجيات : جمع نجية : الخفيفة السريعة المراسيل :
 جمع مرسال ، السريعة أيضاً .
 (٥) العذافرة : الناقة القوية العظيمة . الأين : التعب . إرقال وتبغيل : ضربان من
 العدو السريع .
 (٦) نضاخة : كثيرة رشح العرق . الذفرى : نقرة توجد خلف أذن الناقة . عرضتها :
 هَمَّما طامس : دارس . الأعلام : العلامات التى تكون فى الطريق ليهتدى بها .
 يصف ناقته بالسرعة والنشاط حتى تعرق وهى متعودة على الأسفار تعرف الطرق بلا
 علامات .
 (٧) الغيوب : آثار الطريق التى غابت معالمها عن العيون . مفرد : ثور وحشى تفرد فى
 الصحراء . لهق : أبيض . الحزان : الأمكنة الغليظة الصلبة فيها حصباء كثيرة . الميل :
 الكثبان الضخمة من الرمال .
 (٨) مقلد : موضع القلادة من العنق . فعم : ممتلىء مقيد : موضع القيد ، أى
 قوائمها . وبنات الفحل : الإناث من الإبل المنسوبة إلى أبيها .

— ابن إسحاق — ٢٦٥ —

- (١) غَلْبَاءٌ وَجَنَاءٌ عَلَكَومُ مُذَكَّرَةٌ فِي دَفْهًا سَعَةً قَدَامَهَا مِيلٌ^(١)
 (٢) وَجَلْدُهَا مِنْ أَطْـوَمَ مَا يُؤَيِّسُهُ طَلَحَ بِضَاحِيَةِ الْمُتَنِينَ مَهْزُولٌ^(٢)
 (٣) حَرْفٌ ، أَخُوها أَبُوها مِنْ مَهْجَنَةٍ وَعَمَّهَا خَالُهَا قُودَاءُ شَمْلِيلٍ^(٣)
 (٤) يَمْشِي الْقِرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهَا مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابُ زَهَالِيلٍ^(٤)
 (٥) عَيْرَانَةٌ قَذَفَتْ بِالنَحْضِ عَنْ عَرَضٍ مَرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزُّورِ مَفْتُولٌ^(٥)
 (٦) كَأَنَّمَا فَاتٌ عَيْنُهَا وَمَذْبَحُهَا مِنْ خَطْمِهَا وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ بَرَطِيلٌ^(٦)
 (٧) تَمَرٌ مِثْلُ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خَصَلٍ فِي غَارِزٍ لَمْ تَخُونَهُ الْأَحَالِيلُ^(٧)
 (٨) قِرْنَاءٌ فِي حُرَّتِهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا عَتَقَ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَيْنِ تَسْهِيلٌ^(٨)
 (٩) تَخْدِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهِيَ لَاحِقَةٌ ذَوَابِلُ مَسْهِنِ الْأَرْضِ تَحْلِيلٌ^(٩)

- (١) غلباء : غليظة العنق . وجناء : عظيمة الوجنتين : علكوم : شديدة . مذكرة : تشبه الذكر في عظم الخلقة ، الدف : الجنب . قدامها ميل : كناية إما عن سعة الخطو أو طول العنق .
- (٢) الأطوم : السلحفاة البحرية أو الزرافة غليظة الجلد . يؤيسه : يؤثر فيه . طلع : حشرة صغيرة تلزق بالجلد وهو ما يعرف بالقراد . الضاحية : الناحية الظاهرة للشمس . المتنين : ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال . ومهزول : صفة لطلع . أى قراد مهزول . والمعنى : أن جلد هذه الناقة غاية في الملاسة فلا يؤثر فيه القراد ولذلك هو مهزول .
- (٣) حرف : أى هى حرف ، أبوها أخوها ، وعمها خالها : مداخلة النسب كريمته لم يدخل نسبها غريب .
- (٤) يزلقه : يسقطه ، لبان : صدر ، أقراب : خواصر . زهاليل : جمع زهلول ، والمعنى : أن هذه الناقة لنعومتها لا يثبت القراد على جسدها .
- (٥) عيرانة : أى ناقة تشبه الوحش في قوته وسرعته ونشاطه .
- (٦) فات : تقدم ، مذبحها : مكان الذبح من الرقبة ، الخطم : الأنف وما حوله .
- (٧) عسيب النخل : جريده ، ذا خصل : ذيل له لفائف من الشعر .
- (٨) القرناء : محدودة الأنف ، الحرتان : الأذنان ، عتق : كرم .
- (٩) تخدى : تسرع ، يسرات : أى قوائم يسرات : واليسرات الخفاف ، لاحقة : سابقة ، الذوابل : الرماح الصلبة ، تحليل : قليل والمعنى : أن هذه الناقة سريعة لا تمس الأرض إلا مساً سريعاً لشدة عدوها .

- سُمِرَ العجايات يَتَرَكْنَ الحصى زِيماً لم يَقْهِنَ رءوس الأكم تنعيلُ (١)
 كَانَ أوب ذِراعِيها — وَقَدْ عَرَقَتْ وقد تَلَفَعَ بالقُور العساقيلُ (٢)
 يَوْمًا يَظَلُّ به الحَرْباءُ مُصْطَخِداً كَانَ ضاحيةً بالشَّمْسِ مَمْلُولُ (٣)
 وَقَالَ للقوم حادِيهم — وقد جعلتُ ورقَ الجنادِبِ يركُضن الحصا قِيلُوا (٤)
 شَدَ النهار ذِراعاً عِطْـلَ نصف قَامَتْ فَجْـاوبِها نَكَدَ مَثاكِيلُ (٥)
 نَوَاحَةٌ رِخْوَةٌ الضَّبْعِينَ لَيْسَ لَهَا لما نَعَى بَكَرَها الناعونَ مَعْقُولُ (٦)
 تَقْرَى اللِّبَانُ بِكَفِّها وَمَدْرَعُها مَشَقَّقَ عَنْ تَراقِيها رَعائِيلُ (٧)
 تَسْعَى الغَوَاةُ جَنائِبِها وَقولُهم — إِنَّكَ يا بَنَ أَبى سُلْمَى لِمَقْتُولُ (٨)

- (١) العجايات : الأعصاب المتصلة بالحافر . رِيما : متفرقة . الأكم : الأرض المرتفعة .
 التنعيل : هو شد النعل على ظفر الدابة ليقبها الحجارة .
 (٢) الأوب : سرعة تقلب ورجوع ذراعيها . تلفع : التحف . القور : جمع قارة :
 الجبل الصغير . العساقيل : السراب .
 (٣) الحرباء : نوع من الدواب الصغيرة . مصطخدا . محترقا بحرارة الشمس .
 ضاحية : ما برز للشمس منه ، مملول : محروق .
 (٤) الحادى : سائق الإبل . ورق : جمع أوراق أو ورقاء . وهو الأخضر الذى يضرب
 إلى السواد . الجنادب : جمع جندب : نوع من الجراد . يركضن : يدفعن : قِيلوا : خذوا
 واحتكم وقت القيلولة .
 (٥) شد النهار : وسطه . عيطل : طويلة : نصف : متوسطة السن وهو غاية قوتها .
 نكد : من لا يعيش لهن ولد . مثاكيل : جمع مثكال : كثيرة فقد الأولاد .
 والمعنى : يشبه سرعة حركة يدى هذه الناقة بيدي امرأة قوية تلطم خديها فيجاوبها نسوة
 ثكالى فيشتد لطمها .
 (٦) نواحة : كثيرة النوح . صيغة مبالغة من نائحة . رخوة : مسترخية . الضبعين
 العضدين . بكر : الولد الأول . الناعون . المخبرون بالموت : معقول : عقل .
 والمعنى : شبه هذه الناقة بتلك المرأة فى تلك الأحوال فالناقة فى هذه الحالة ليس لها
 عقل تدرك به التعب والإعياء .
 (٧) تفرى : تقطع . اللبان : الصدر . المدرع : القميص . التراقى : جمع ترقوة :
 عظام الصدر . رعائيل : قطع ، أى أن هذه المرأة لذهاب عقلها تقطع قميصها بأناملها .
 (٨) الغواة : المفسدون ، جنائبيها : حواليتها ، مقتول : متوعد بالقتل .

- وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمِلُهُ (١) لَا أَلْهَيْتُكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ (١)
 فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ (٢) فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ (٢)
 كُلُّ ابْنِ أَثْنَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ (٣) يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولٌ (٣)
 نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي (٤) وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ (٤)
 مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً أَلَا (٥) قُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلٌ (٥)
 لَا تَأْخِذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ (٦) أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ (٦)
 لَقَدْ أَقَوْمُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ (٧) يَرَى وَيَسْمَعُ مَا قَدْ أَسْمَعَ الْفِيلُ (٧)
 لَظَلَّ يَرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَنَّ لَهُ (٨) مَنْ الرُّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلٌ (٨)
 حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أُنَازَعُهُ (٩) فِي كَفِّ ذِي نِقَمَاتٍ قِيلَهُ الْقِيلُ (٩)
 فَلَهُوَ أَخَوْفُ عِنْدِي إِذْ أَكَلِمَهُ (١٠) وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْتَوِلٌ (١٠)
 مِنْ ضَيْغَمٍ بَضْرَاءِ الْأَرْضِ مَخْدَرُهُ (١١) فِي بَطْنِ عَثْرٍ غِيلٌ دُونَهُ غِيلٌ (١١)

- (١) آمله : أترجاه وأتمنى إعانته
 (٢) خلوا سبيلي : اتركوني أقف بين يدي الرسول ﷺ فإنه سيعفو عني .
 (٣) آلة حدباء : نعش .
 (٤) نبئت : أخبرت ، مأمول : مرجو .
 (٥) هداك : زادك هدى ؛ فإنه لا يدعو له بالهدى لأنه الهادي المهدي ، نافلة : زيادة ؛
 لأن القرآن هدية زائدة عن النبوة ومنحة الرسالة .
 (٦) لم أذنب : لم أخطيء في حقك .
 (٧) مقام : أي مجلس الرسول ﷺ ، يقوم : يحضر .
 (٨) يرعد : يرتعش بسبب الخوف ، تنويل : عطاء .
 (٩) لا أنازعه : أي أطيعه . نقمات : جمع نقمة : السطوة . قيله القيل : قوله
 النافذ .
 (١٠) أخوف : أي هو صلى الله عليه وسلم أشد إخافة وإرهابا . منسوب ومستول :
 أي منسوب إلى أشياء قتلها ومستول عنها .
 (١١) الضيغم : الأسد . بضاء الأرض : الأرض التي بها شجر . مخدره : غابة
 الأسد . عثر : مكان تكثر فيه السباع . والغيل : الأجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف .

- يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشَهُمَا (١) لحم من الناس مَعْفُور خَرَادِيلُ (١)
 إِذَا يَسَاوِرُ قَرْنًا لَا يَحُلُّ لَهُ (٢) أن يترك القرنَ إلا وهو مَقْلُودُ (٢)
 مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الْجَوِّ نَافِرَةٌ (٣) ولا تَمْشِي بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ (٣)
 وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ (٤) مَضْرَجُ الْبِزِّ وَالْدَّرْسَانُ مَأْكُولُ (٤)
 إِنَّ الرِّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ (٥) مُهَنْدٌ مِنْ سَيْوفِ اللَّهِ مَسْلُودُ (٥)
 فِي عَصَبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ (٦) يَبِطُنْ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا (٦)
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسُ وَلَا كَشَفَ (٧) عِنْدَ الْلِقَاءِ وَلَا مَسِيلُ مَعَاذِيلُ (٧)
 شَمُّ الْعِرَانِينَ أَبْطَالُ لَبُوسُهُمْ (٨) مِنْ نُسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ (٨)
 بَيِّضُ سَوَابِغٍ قَدْ شَكَتْ لَهَا حَلَقُ (٩) كَأَنَّهَا حَلَقَ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ (٩)
 لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحَهُمْ (١٠) قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا (١٠)

- (١) يَغْدُو : يخرج أول النهار للصيد . يَلْحَمُ : يطعم لحماً . ضِرْغَامَيْنِ : مثني
 ضِرْغَام : شبل الأسد . مَعْفُور : ملقى في التراب . خَرَادِيلُ : مقطع قطعاً صغيرة .
 (٢) يَسَاوِرُ : يواكب ويصارع . الْقَرْنُ : المماثل في الشجاعة . مَقْلُودُ : المكسور
 المهزوم .
 (٣) الْجَوِّ : ما بين السماء والأرض . نَافِرَةٌ : بعيدة . الْأَرَاجِيلُ : جماعات من
 الرجال . جَمَعَ أَرْجَالًا ، التي هي جماعة الرجال .
 (٤) أَخُو ثِقَةٍ : الواثق بنفسه . مَضْرَجُ : مخضب بالدماء . الْبِزُّ : السلاح .
 الدَّرْسَانُ : مفردة دريس : الخلق من الثياب .
 (٥) يُسْتَضَاءُ بِهِ : يهتدى به إلى نور الحق . مُهَنْدٌ : سيف طبع في الهند . مَسْلُودُ :
 مخرج من غمده .
 (٦) الْعَصْبَةُ : الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين زُولُوا : فعل أمر من زال التامة أى
 التي لها فاعل . أَيْ تَحَوَّلُوا وَانْتَقَلُوا .
 (٧) الْأَنْكَاسُ : المهانون ، وَلَا كَشَفَ : أى لَا يَنْكَشِفُونَ فِي الْحَرْبِ بِمَعْنَى : لَا
 يَنْهَزُونَ .
 (٨) شَمُّ : جمع أشم ، وهى علامة العزة والسيادة وهو علو قصبة الأنف مع استواء
 أعلاه . اللَّبُوسُ : ما يلبس من عده الحرب ، الْهَيْجَا : الحرب ، سَرَابِيلُ : دروع .
 (٩) بَيِّضُ : مجلوة ، مَجْدُولُ : محكم صنعه .
 (١٠) مَفَارِيحَ : كثيرو الفرع ، نِيلُوا : أصيبوا .

- يَمْشُونَ مَشَى الْجَمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبُ إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ (١)
لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَالَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ (٢)
• كعب يسترضى الأنصار بمدحهم :

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب : إذا عرد
السود التنابيل ، وإنما يريدنا معشر الأنصار ، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع وخص
المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمدحته غضبت عليه الأنصار ،
فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ ، وموضعهم
من اليمن :

- من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحى الأنصار (٣)
ورثوا المكارم كابرًا عن كابر إن الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السهمى بأذرع كسوالف الهندى غير قصار (٤)
والناظرين بأعين محمرة كالجمر غير كليله الأبصار (٥)
والبائعين نفوسهم لنبيهم للموت يوم تعانق وكرار (٦)
والذائدين الناس عن أديانهم بالمشرفى وبالقنا الخطار (٧)
يتطهرون يرونه نسكا لهم بدماء من علقوا من الكفار (٨)
دربوا كما دربت بطن خفية غلب الرقاب من الأسود ضواري (٩)

- (١) الزهر : البيض ، يعصمهم : يمنعهم ، التنابيل : القصار .
(٢) حياض الموت : موارد الهلاك ، ويريد بها أرض المعركة ، تهليل : تأخر .
قال ابن هشام : يقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده : « بانت سعاد » : لو
ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل ، فقال كعب هذه الأبيات .
(٣) المقنب : جماعة الخيل . والمراد به هنا الأنصار على ظهور خيلهم .
(٤) السهمى : الرمح . سوالف : حواشى . الهندى : السيف المنسوب إلى الهند .
(٥) بأعين محمرة : يريد أن الشجاع إذا غضب احمرت عيناه .
(٦) تعانق : يريد به التحام الشجعان فى ميدان القتال .
(٧) المشرفى : السيف . القنا : الرماح . الخطار : المهتر .
(٨) يرونه : يعتقدونه . نسكا : عبادة .
(٩) دربوا : تهودوا . خفية : مكان تكثر فيه الأسود . غلب : غلاظ .

- وإذا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الْأَعْفَارِ (١)
 ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً دَأَنْتَ لَوْقَعَتَهَا جَمِيعَ نَزَارِ (٢)
 لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِي كُلَّهُ فِيهِمْ لَصَدَقَنِي الَّذِينَ أَمَارِي (٣)
 قَوْمٌ إِذَا خَوَتْ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ لِلطَّارِقِينَ الْبَازِلِينَ مَقَارِي (٤)
 فِي الْغُرِّ مِنْ غَسَّانٍ مِنْ جَرَثُومَةٍ أَعَيْتَ مَحَاغِرَهَا عَلَى الْمِنْقَارِ (٥)

* * *

غَزْوَةُ تَبُوكَ (٦) فِي سَنَةِ تِسْعٍ

• أَمْرُ الرَّسُولِ ﷺ بِالْإِسْتِعْدَادِ لِتَبُوكَ :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كل حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض . أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمن من عُسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجذب من البلاء وحين طابت الثمار . والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كُنِيَ عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه

(١) الأعفار : الوعول الصغيرة يضرب بها المثل لامتناعها في قمم الجبال .

(٢) ضربوا علياً : يريد به علياً بن مسعود بن مازن الغساني .

(٣) أماري : أجادل .

(٤) خوت : سقط ولم تمطر . مقاري : المقاري : الجفان التي يصنع فيها الطعام .

(٥) وتروى : المنقار .

(٦) تبوك : بفتح التاء موضع بين وادي القرى والشام ، وقيل بركة لأبناء سعد من بني

عذرة وقيل تبوك بين الحجر وأول الشام ، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي ﷺ .

ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب عليه السلام كانوا فيها ولم يكن

شعيب منهم وإنما كان من مدين ، قال يحيى بن جابر توجه النبي ﷺ في سنة تسع للهجرة

إلى غزوة تبوك من أرض الشام وهي آخر غزواته ﷺ .

الذى يصمد له ^(١) ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبتة ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم ^(٢) .

• تخلف الجند بن قيس :

قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجند بن قيس أحد بنى سلمة يا جد : هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر ^(٣) ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لى ولا تفتنى ؟ فوالله لقد عرفت قومى أنه ما من رجل بأشدَّ عَجَبًا بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى بالأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : قد أذنت لك . ففى الجند بن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ ^(٤) .

أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله ﷺ ، والرغبة بنفسه عن نفسه يقول تعالى : « وإن جهنم لمن ورائه » .

شأن المنافقين : وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا فى الحر ، زهادة فى الجهاد وشكا فى الحق ، وإرجافا برسول الله ﷺ ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ ^(٥) .

حض الأغنياء على النفقة : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ جد فى سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان

(١) يصمد له : يقصده .

(٢) وهذه استراتيجية عسكرية سبق بها الرسول ﷺ العالم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ، ليعلم القادة الدبلوماسية فى قيادة الجيوش .

(٣) بنو الأصفر : يريد الروم .

(٤) سورة التوبة : الآية ٤٩ .

(٥) سورة التوبة : ٨١ - ٨٢ .

فى سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ^(١) ، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحد مثلها ^(٢) .

البكّاءون والمعدّرون والمتخلفون : قال ابن إسحاق : ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ ، وهم البكّاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعُلبه بن زيد ، أخو بنى حنارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب ، أخو بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن حمام بن الجموح ، أخو بنى سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزنى - وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله ابن عمرو المزنى - وهرمى بن عبد الله ، أخو بنى واقف ، وعرباض بن سارية الفزارى . فاستحملوا رسول الله ﷺ ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون .

قال ابن إسحاق : فبلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يكيان ، فقال لهما : ما يكيكما ؟ قالوا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا . فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس لنا ما نتقوى به على الخروج معه فأعطاهما ناضحاً ^(٣) له ، فارتحلاه ، وزودهما شيئاً من تمر فخرجا مع رسول الله ﷺ .

• شأن المعدّرين :

قال ابن إسحاق : وجاءه المعدّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى . وقد ذكر لى أنهم نفر من بنى غفار .

ثم استتب ^(٤) برسول الله ﷺ سفره ، وأجمع السير ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ ، حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك

(١) احتسبوا : أى احتسبوا الأجر عند الله ابتغاء مرضاته .

(٢) قال ابن هشام : حدثنى من أتق به أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العسرة فى غزوة تبوك ألف دينار - وكان فى ذلك الوقت مبلغاً كبيراً - فقال رسول الله ﷺ « اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض » يا لها من منزلة عظيمة نالها سيدنا عثمان بفضل إنفاقه فى سبيل الله !!

(٣) الناضح : الجمل الذى يُسقى عليه الماء .

(٤) استتب : انتظم وتتابع .

ولا ارتياب منهم : كعب بن مالك بن أبى كعب ، أخو بنى سلمة ، ومرارة بن الربيع ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية ، أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوف وكانوا نفر صدق ، لا يتهمون فى إسلامهم . فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع (١) .

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أبى معه على حدة عسكرة أسفل منه ، نحو ذباب (٢) وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين . فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبى ، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب (٣) .

المنافقون يرجفون بعلى : وخلف رسول الله ﷺ على بن طالب ، رضوان الله عليه ، إلى أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقالا له ، وتخففا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ على بن أبى طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف (٤) ، فقال : يا نبي الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت منى ، فقال: كذبوا ، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى ، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدى ، فرجع على إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ على سفره .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم ابن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلى هذه المقالة .

قال ابن إسحاق : ثم رجع على إلى المدينة ، ومضى رسول الله ﷺ على سفره .

أبو خيثمة وعمير بن وهب يلحقان بالرسول : ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن

-
- (١) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى . وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبيه : أن رسول الله ﷺ استعمل على المدينة ، مخرجه إلى تبوك ، سباع بن عرفة .
- (٢) ذباب : جبل بالمدينة .
- (٣) أى أهل الشك .
- (٤) الجرف : مكان بينه وبين المدينة ثلاثة أميال .

سار رسول الله ﷺ أياما إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في عريشين (١) لهما في حائطه (٢) قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء وهيات له فيه طعاما ، فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأته وما صنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ في الضح (٣) والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهيا ، وامرأة حسناء ، في ماله مقيم ، ما هذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيئا لى زادا ، ففعلتا ، ثم قدم ناضحه فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل بتبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق ، يطلب رسول الله ﷺ ، فترافقا ، حتى إذا دنوا من تبوك . قال أبو خيثمة لعمير ابن وهب : إن لى ذنبا ، فلا عليك أن تخلف عني حتى أتى رسول الله ﷺ ففعل حتى إذ دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقبل ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيثمة : فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة (٤) . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ خيرا ودعا له بخير (٥) .

• ما قاله النبي وهو بالحجر (٦) :

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها . فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : لا تشربوا من مائها شيئا ، ولا تتوضؤوا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرج منكم الليلة إلا ومعه صاحب له (٧) . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج

(١) العريش : ما يستظل به . (٢) الحائط : البستان . (٣) الضح : الشمس .

(٤) هذا من الوحي على لسانه فسبحان من أجراه على لسانه .

(٥) اسمه مالك بن قيس ، وقال في ذلك شعرا منه :

لما رأيتُ الناس في الدين نافقوا أتيت التى كانت أعفً وأكرما

وبايعت باليمنى يدى لمحمد فلم أكتسب إثما ولم أغش محرما

(٦) الحجر : اسم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام .

(٧) وهذا لحكمة يعلمها الله ورسوله حتى لا يحدث لأحد ضرر .

— ابن إسحاق — ٢٧٥ —

الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنق على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبل طيء . فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : ألم أنحكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ، ثم دعا رسول الله ﷺ للذى أصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر الذى وقع بجبل طيء ، فإن طيئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي ، وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن قد سمي له العباس الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما (١) ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى (٢) .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويحك ، هل بعد هذا شئ ؟! قال : سحابة مارة (٣) .

تَقُولُ ابن اللصيت : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا

(١) أى استكتمه السر .

(٢) قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه لما مر رسول الله ﷺ بالحجر سجد ثوبه على وجهه ، واستحث راحلته ، ثم قال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم .

(٣) فمن قال مطرنا بفضل الله فهو مؤمن بالله كافر بالكوكب أما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهو كافر بالله مؤمن بالكوكب .

كان ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله ﷺ ، رجل من أصحابه ، يقال له عمارة بن حزم ، وكان عقيباً بدرياً ، وهو عم بني عمرو ابن حزم ، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي ، وكان منافقاً .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، قالوا : فقال زيد بن اللصيت ، وهو في رحل عمارة وعمارة عند رسول الله ﷺ : أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده : إن رجلاً قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ، وإنني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها ، وهي في هذا الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتونني بها (١) ، فذهبوا ، فجاءوا بها . فرجع عمارة بن حزم إلى رحله ، فقال : والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفاً ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، كالذي قال زيد بن اللصيت ، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي . - فأقبل عمارة على زيد يبعاً (٢) في عنقه ويقول إلى عباد الله ، إن في رحلي لداهية وما أشعر ! اخرج أي عدو الله من رحلي ، فلا تصحبني .

• قصة أبي ذر :

قال ابن إسحاق : فزعم بعض الناس أن زيداً تاب بعد ذلك ، وقال بعض الناس لم يزل متهماً بشر حتى هلك . ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذر (٣) وأبطأ به بعيره ، فقال : دعوه فإن يك فيه

(١) أخبر الله نبيه بمكان الناقة ليرد كيد المنافق في نحره ، وليؤكد الحقيقة أن الرسول ﷺ مؤيد من الله وأن الخبر يأتيه حقاً من السماء ، ولذلك وجدوا الناقة كما وصفها لهم الرسول ﷺ ، وهذه من معجزاته .

(٢) يبعاً : يطعن .

(٣) أبو ذر : اسمه جندب بن جنادة . وقيل : زيد بن عسرة . وقيل : جندب بن عبد الله . وقيل : جندب بن السكن ، والأول أصح والله أعلم .

خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، وتلوم ^(١) أبو ذر على بغيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازلهم فنظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا ذر ^(٢) فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ : رحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويُبْعَث وحده .

قال ابن إسحاق : فحدثني بُريدة بن سفيان الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفى عثمان أبا ذر إلى الرَبْدَةِ وأصابه بها قدره ^(٣) ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلّامه ، فأوصاهما أن أغسلاني وكفّناني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ ، فأعينونا على دفنه ، فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعاه على قارعة الطريق ، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمار ، فلم يرعهم إلا بالجنّازة على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تطؤها . وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه . قال : فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول : صدق رسول الله ﷺ ، تمشى وحدك ، وتموت وحدك وتُبْعَث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فواروه ^(٤) ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك .

• تخويف المنافقين المسلمين وما نزل فيهم :

قال ابن إسحاق : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم ودیعة بن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبني سلمة ، يقال له : مخشّن بن حمير يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : اتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟! والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الحبال ، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين ، فقال مخشّن بن حمير : والله

(١) تلوم : تمهل .

(٢) كن أبا ذر : لفظ الأمر ، ومعناه الدعاء : كما تقول أسلم سلمك الله .

(٣) أي وافته المنيّة وأتاه الموت . (٤) أي دفنوه .

لوددت أنى أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وإننا نفلت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه .

وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغنى - لعمار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا : فإن أنكروا فقل : بلى قلت كذا وكذا ، فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله ﷺ واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها (١) : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ . وقال مخشن بن حمير : يا رسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ، وكأن الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشن بن حمير ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر (٢) .

الصلح مع صاحب أيلة : ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك ، أتاه ليحنة ابن ربيعة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله ﷺ ، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتاباً ، فهو عندهم . فكتب ليحنة بن ربيعة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمانة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن ربيعة وأهل أيلة ، سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر : لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبى ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقاً يريدونه ، من بر أو بحر .

• خالد وأكيدر دومة :

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر ابن عبد الملك ، رجل من كندة كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر . فخرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه

(١) الحقب : حزام يشد به على حقو الجمل .

(٢) أخلص فى الدعاء فاستجاب الله منه .

بمنظر العين ، وفى ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له حسان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة . عن أنس بن مالك : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ . فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا ؟ فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا (١) .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالدًا قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال رجل من طيء : يقال له بجير بن بجرة ، يذكر قول رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر ، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله ﷺ :

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّى
رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ
فَمَنْ يَكُ حَائِدًا عَنْ ذَى تَبُوكَ
فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْجَهَادِ

فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ، لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .

• وادى المشقق وماؤه والمعجزة :

وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ، وما يروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له وادى المشقق ، فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه ، قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ،

(١) والمناديل مما يمتهن فما بالك بالملابس .

فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئا فقال: من سبقنا إلى هذا الماء؟! فقيل له يا رسول الله . فلان وفلان ، فقال : أوكم أنهم أن يستقوا منه شيئا حتى آتية ثم لعنهم رسول الله ﷺ ، ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضح به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إن له حسا كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادى ، وهو أنصب ما بين يديه وما خلفه .

ذو البجادين ودفنه وتسميته : قال : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله ﷺ ، فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شعلة من نار فى ناحية العسكر ، قال : فاتبعها أنظر إليها ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ فى حفرة ، وأبو بكر وعمر يدنيانه إليه ، وهو يقول : أدنيا إلى أخاكما ، فدلياه إليه ، فلما هياه لشقه قال : اللهم إني أمسيت راضيا عنه ، فارض عنه . قال : يقول عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة .

حديث أبي رهم فى تبوك : قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري ، عن ابن أكيمة الليثي ، عن ابن أخى أبي رهم الغفاري ، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله ﷺ وألقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله ﷺ ، فيفزعنى دنوها منه ، مخافة أن أصيب رجله فى الغرز ، فطفقت أحور^(١) راحلتى عنه ، حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ، ونحن فى بعض الليل ، فزاحمت راحلتى راحلة رسول الله ﷺ ورجله فى الغرز ، فما استيقظت إلا بقوله حس^(٢) ، فقلت : يا رسول الله ، استغفر لى . فقال : سر

(٢) حس : كلمة تقال عند وجود الألم .

(١) أحور : أبعد .

— ابن إسحاق — ٢٨١ —

فجعل رسول الله ﷺ يسألني عمن تخلف من بنى غفار ، فأخبره به فقال وهو يسألني : ما فعل النفر الحمر الطوال الثطاط (١) فحدثته بتخلفهم . قال : فما فعل النفر السود الجعاد القصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بشبكة شдох (٢) فتذكرتهم في بنى غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهط من أسلم ، حلفاء فينا ، فقال رسول الله ﷺ : ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرءاً نشيطاً في سبيل الله ؟ إن أعز أهلى على أن يتخلف عنى المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم .

* * *

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك • دعوة أهله الرسول للصلاة فيه :

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذي أوان بلد ، بين وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك . فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا . فتصلى لنا فيه ، فقال : إني على جناح سفر ، وحال شغل أو كما قال ﷺ : ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

• أمر الرسول ﷺ بهدمه :

فلما نزل بذي أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ، أخا بنى سالم بن عوف ، ومعن بن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، أخا بنى العجلان . فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرماه فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سعفاً

(١) الثطاط : مفرد ثط ، صغير نبات شعر اللحية .

(٢) شبكة شдох : موضع ببلاد غفار .

من النخل ، فاشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ﴾ ^(١) . إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً : خدام بن خالد ، من بنى عبيد بن زيد . أحد بنى عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد ، ومعتب بن قشير ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزهر ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وعباد بن حنيفة أخو سهل بن حنيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمع بن جارية . وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث ، من بنى ضبيعة ، وبحزج ، من بنى ضبيعة ، وبجناد بن عثمان من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت ، وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبي لبابة بن عبد المنذر .

مساجد الرسول : وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك . معلومة مسماة : مسجد بتبوك ، ومسجد بثنية مدران ، ومسجد بذات الزراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخطمي ، ومسجد بالأاء ، ومسجد بطرف البتراء ، من ذنب كواكب ، ومسجد بالشق ، شق تارا ، ومسجد بذي الجيفة ، ومسجد بصدر حوضي ، ومسجد بالحجر ، ومسجد بالصعيد ، ومسجد بالوادي ، اليوم ، وادي القرى ، ومسجد بالرقعة من الشقة ، شقة بنى عذرة ، ومسجد بذي المروة ، ومسجد بالفيفاء ، ومسجد بذي خشب .

* * *

أمرُ الثلاثة الذين خَلَفُوا وأمرُ المعذِّرين في غزوة تبوك

وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : لا تكلمن أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصَفَحَ عنهم رسول الله ﷺ ، ولم يعذرهم الله ورسوله ، واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٧ .

● حديث كعب عن تخلفه :

قال ابن إسحاق : فذكر الزهري محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره قال : سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط ، غير أني كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحداً تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة ، حين تواقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت غزوة بدر هي أذكر عند الناس منها . قال : كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى اجتمعنا في تلك الغزوة ، وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا وري بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، واستقبل غزو عدو كثير ، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبتة وأخبرهم خبره بوجهه الذي يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله ﷺ كثير . لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعني بذلك الديوان ، يقول لا يجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب ألا ظن أنه سيخفى له ذلك ، ما لم ينزل فيه وحى من الله وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحبت الظلال ، فالناس إليها صعر^(١) فتجهز رسول الله ﷺ ، وتجهز المسلمون معه . وجعلت أعدو لا تجهز معهم فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى شمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً ، والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لا تجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى

(١) صعر : مفردة أصعر : وهو المائل ، ومنها قول الله تعالى : ﴿ ولا تصعر خدك

لنناس ﴾ .

أسرعوا ، وتفرط ^(١) الغزو ، فهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم يحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً ^(٢) عليه في النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، والنظر في عطفيه ، فقال له معاذ بن جبل : بش ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً ، فسكت رسول الله ﷺ .

فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك ، حضرني بشي ^(٣) فجعلت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه رسول الله ﷺ غداً وأستعين على ذلك كل ذي رأى من أهلي ، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظلم ^(٤) قادمًا زاح ^(٥) عني الباطل ، وعرفت أني لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقته ، وصبح رسول الله ﷺ المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وأيمانهم ، ويستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلمت عليه ، فتبسم تبسم المغضب ، ثم قال لي : تعاله فجئت أمشي ، حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إني يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كذباً لترضين عني وليوشكن الله أن يسخطك عليّ ، لئن حدثتك حديثاً صدقاً تجد عليّ فيه ، إني لأرجو لله عقباى من الله فيه ، ولا والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدقت فيه فقم حتى يقضى الله فيك فقممت ، وثار معي رجال من بني سلمة ، فاتبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى

(١) تفرط : فات . (٢) مغموصاً : مطعوناً .

(٣) بشي : حزني . (٤) أظلم : أشرف .

(٥) يقال : زاح وانزاح : إذا ذهب ، والمصدر زيوحا وريحانا .

— ابن إسحاق — ٢٨٥ —

رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك ، فوالله ما زالوا بي حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ ، فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحد غيري ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالوا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمري ، من بني عمرو بن عوف ، وهلال بن أبي أمية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين ، فيهما أسوة فصمت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة ، من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي نفسي والأرض ، فما هي بالأرض التي كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبنا فاستكانا ، وقعدا في بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمني أحد ، وآتى رسول الله ﷺ ، فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي ، هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ ، وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذ طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي ، وأحب الناس إليّ ، فسلمت عليه فوالله ما رد عليّ السلام ، فقلت يا أبا قتادة ، أنشدك الله ، هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ فسكت فعدت فناشدته ، فسكت عني ، فعدت فناشدته ، فسكت عني ، فعدت فناشدته فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووثبت فتسورت الحائط . ثم غدوت إلى السوق فبينما أنا أمشي بالسوق وإذا نبطي ^(١) يسأل عني من نبط الشام ، عن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل عليّ كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يشيرون له إليّ ، حتى جاءني ، فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان ، وكتب كتاباً في سرقة ^(٢) من حرير ، فإذا فيه : أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة . فالحق بنا نواسك . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضاً ، قد بلغ بي ما وقعت فيه أن أطمع في رجل من أهل الشرك . قال : فعمدت بها إلى

(١) النبطي : مفرد من النبط ، وهم قوم من العجم كانوا يسكنون بين العراق

والأردن .

(٢) السرقة : الشقة (القطعة) من الحرير .

تنور (١) ، فسجرتة (٢) بها . فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله ﷺ يأتي ، فقال : إن رسول الله ﷺ يأمر أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبى بمثل ذلك ، فقلت لامراتى : ألحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض . قال : وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ ، فقالت له : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، أفتركه أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربنك ، قالت : والله يا رسول الله ، ما به من حركة إلى ، والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره . قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله ﷺ لامراتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، قال : فقلت : والله لا أستأذنه فيها ما أدري ما يقول رسول الله ﷺ لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب . قال فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منا ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت على نفسى ، وقد كنت ابتليت خيمة فى ظهر سلع (٣) ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب ابن مالك ، أبشر ، قال فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفرج .

قال : وأذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبى مبشرون ، وركض رجل إلى فرساً ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى ، نزع ثوبى ، فكسوتهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله ﷺ وتلقانى الناس يبشرونى بالتوبة ، يقولون : ليهنك توبة الله عليك ، حتى

(١) التنور : الفرن .

(٢) سجرتة : أحرقتة بلهب النار .

(٣) سلع : جبل بالمدينة .

— ٢٨٧ — ابن إسحاق

دخلت المسجد ، ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله ، فحياني وهنأني ، ووالله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره : قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال لي ، ووجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . قال : وكان رسول الله ﷺ إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالي ، صدقة إلى الله ورسوله ، قال رسول الله ﷺ : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال قلت : إني ممسك سهمي الذي بخير ، وقلت : يا رسول الله ، إن الله قد نجاني بالصدق ، وإن من توبتي إلى الله أن لا أحدث إلا صدقا ما حييت ، والله ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ذلك أفضل مما أبلاني الله ، والله ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي (١) .

وأنزل الله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢) .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدق رسول الله ﷺ يومئذ ، أن لا أكون كذبتة ، فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، قال : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعَرَّضُوا عَنْهُمْ فَأَعَرِّضُوا ﴾

(١) أى فيما بقي من عمره .

(٢) سورة التوبة : الآيات ١١٧ - ١١٩ .

عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴿ (١) .

قال : وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا ، حتى قضى الله فيه ما قضى ، فبذلك قال الله : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ (٢) .
وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخليفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا وأرجائه أمرنا عمن حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه (٣) .

* * *

(١) سورة التوبة : الآيات ٩٥ - ٩٦ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٨ .

(٣) وإنما اشتد غضبه على من تخلف عنه ، ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاثة منهم ، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية لكنه فى حق الأنصار خاصة كان فرض عين - أى واجب حتما لا يسقط إذا قام به البعض - وعليه بايع الأنصار النبى ﷺ ، ألا تراهم يقولون يوم الخندق ، وهم يرتجزون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً .

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ، لأنهم خرجوا لأخذ غير ولم يظنون أن سيكون قتال ، فلذلك ؛ كان التخلف عن رسول الله ﷺ فى هذه الغزوة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم .

أمرٌ وفد ثقيف وإسلامها

فى شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ - كما يتحدث قومه - إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم (١) .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محبياً مطاعاً : فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لمنزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على عليه له ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . فترغم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف ، أخو بنى سالم ابن مالك . وترغم الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بنى عتاب بن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقبل لعروة : ما ترى فى دمك ؟ قال : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلى ، فليس فى إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه : إن مثله فى قومه لكمثل صاحب ياسين فى قومه (٢) .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة شهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

(١) قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم .

(٢) يحتمل قوله ﷺ ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور فى سورة ياسين ، الذى قال لقومه : ﴿ اتبعوا المرسلين ﴾ فقتله قومه ، واسمه حبيب بن مرمى ، ويحتمل أن يريد صاحب إلياس ، وهو اليسع ، فإن إلياس يقال فى اسمه : ياسين أيضاً ، وقال الطبرى : وهو إلياس بن ياسين ، وفيه قال تبارك وتعالى : ﴿ سلام على إل ياسين ﴾ .

حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن عمرو بن أمية ، أخا بني علاج كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو ، الذي بينهما شيء ، وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب ، فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره .

ثم أرسل إليه إن عمرو بن أمية يقول لك : أخرج إلى قال : فقال عبد ياليل للرسول ويلك ! أعمرو أرسلك إلى ؟ قال : نعم ، وها هو ذا واقفا في دارك ، فقال : إن هذا لشيء ما كنت أظنه لعمرو كان أمتع في نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحب به فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، فقد أسلمت العرب كلها وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا في أمركم فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب (١) ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع فأتَمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما أرسلوا عروة ، فكلموا عبد ياليل بن عمرو ابن عمير ، وكان سن (٢) عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة . فقال : لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحناف ، وثلاثة من بني مالك فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل . الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان ، أخا بني يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بني س سالم وغير بن خرشة بن ربيعة ، أخا بني الحارث فخرج بهم عبد ياليل ، وهو ناب القوم (٣) وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صنع بعروة بن مسعود ، لكي يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه .

فلما دنوا من المدينة ، نزلوا قناة . فآلفوا بها المغيرة بن شعبة ، يرعى في نوبته

(١) السرب : القطيع من الحيوان أو الفريق من الإنسان أو جماعة النخل وهو أيضاً الطريق . والقلب والصدر .

(٢) أى في سنه أو مثله في السن .

(٣) ناب القوم : سيدهم والمدافع عنهم .

ركاب أصحاب رسول الله ﷺ وكانت رعيتهما عند الثقفين ، وضبر^(١) يشتد .
 ليشر رسول الله ﷺ ، بقدمهم عليه فلقه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على
 رسول الله ﷺ فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن
 يشترط لهم رسول الله ﷺ شروطا ، ويكتبوا من رسول الله ﷺ كتابا في قومهم
 وببلادهم وأموالهم فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول
 الله ﷺ ، حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله
 ﷺ . فأخبره بقدمهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه ، فروح الظهر معهم ،
 وعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ، ولما قدموا
 على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان
 خالد بن سعيد بن العاص ، هو الذي يمشى بينهم وبين رسول الله ﷺ ، حتى
 اكتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما
 يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من
 كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية ، وهي اللات ،
 لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة
 سنة ، ويأبى عليهم حتى سألوا شهرا واحدا بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا
 مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم
 وذرائعهم ويكرهون أن يروعا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ، فأبى رسول
 الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا
 سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ،
 فقال رسول الله ﷺ : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة ،
 فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ، فسنؤتيكها ، وإن كانت
 دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم ، أمر عليهم عثمان بن أبي
 العاص ، وكان من أحدثهم سنا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام ،
 وتعلم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ يا رسول الله ، إنى قد رأيت هذا
 الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام ، وتعلم القرآن .

(١) ضبر : وثب .

• قصة بلال مع ثقيف :

قال ابن إسحاق : وحدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي ، عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا - حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله ﷺ ما بقى من رمضان - بفطرتنا وسحورنا من عند رسول الله ﷺ ، فيأتينا بالسحور ، وإنا لنقول إنا لنرى الفجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسول الله ﷺ ، يتسحر لتأخير السحور ، ويأتينا بفطرتنا ^(١) ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد ، فيقول : ما جئتمكم حتى أكل رسول الله ﷺ ، ثم يضع يده في الجفنة ، فيلتقم منها .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هند ، عن مطرف بن عبد الله السخيري ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ حين بعثني على ثقيف أن قال : يا عثمان ، تجاوز في الصلاة ، وأقدر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير ، والصغير ، والضعيف وذا الحاجة ^(٢) .

• هدم اللات :

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، في هدم الطاغية ^(٣) ، فخرجنا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ، وأقام أبو سفيان بما له

(١) قال ابن هشام : بفطورتنا وسحورنا .

(٢) وهذا من رحمة الرسول ﷺ أن يوصي في آخر حياته بأمر مهم حتى لا تحدث فتنة بعده ، وهو عدم ، الإطالة في الصلاة حتى لا يثقل على المسلمين فإن فيهم الضعيف والكبير والمريض وذلك للإمام في صلاة الجماعة ، ولكن بشرط عدم الإخلال بشروط الصلاة ، مع حسن الترتيل وإعطاء كل ركن في الصلاة حقه .

(٣) وكان صنماً لثقيف ، وهي صخرة مربعة ، وكانت سدنتها من ثقيف ، وكانوا قد بنوا عليها بناء ، فكانت قريش ، وجميع العرب تعظمها ، وكانت في موضع « منارة » مسجد الطائف اليسرى ، انظر تفسير القرطبي ٩ / ٦٥٠٠ ط . دار الفغد العربي .

— ٢٩٣ — ابن إسحاق

بذى الهدم ، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها ^(١) يضربها بالمعول ^(٢) ، وقام قومه
دونه بنو معتب ، خشية أن يُرمى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف
حسراً ^(٣) يبيكين عليها ويقلن :

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع ^(٤) لم يُحسنوا المصاع ^(٥)

قال ابن إسحاق : يقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس ، واهاً لك : أهاً
لك ، فلما هدمها المغيرة ، وأخذ مالها وحُلِيَّها ^(٦) أرسل إلى أبي سفيان وحُلِيَّها
مجموع ، ومالها من الذهب والجزع .

• إسلام أبي مليح وقارب :

وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل
وفد ثقيف ، حين قُتل عروة يريدان فراق ثقيف ^(٧) ، وأن لا يجامعاهم على شيء
أبدأ فأسلما فقال لهما رسول الله ﷺ : توليا من شئتما ، فقالا : نتولى الله
ورسوله فقال رسول الله ﷺ : وخالكما أبا سفيان بن حرب ، فقالا : وخالنا أبا
سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم
الطاغية ^(٨) سأل رسول الله ﷺ أبو مليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة ديناً كان

(١) علاها : صعد فوقها .

(٢) المعول : الفأس العظيمة .

(٣) حسراً : أى عرايا الرءوس .

(٤) الرضاع : اللثام .

(٥) المصاع : القتال بالسيوف .

(٦) أى ما فيها من ذهب وفضة .

(٧) أى يريدان أن يدخلوا فى الإسلام ويفارقا قومهما المشركين .

(٨) أى الصنم الذى كانت تعبد الطائف وهى اللات وكان صنم ثقيف بالطائف ، وقال
عنه الكلبي : كان رجلاً من ثقيف يقال له صرمة بن غنم . وقال ابن عباس ، وابن الزبير
ومجاهد وحמיד وأبو صالح : كان رجلاً يلت السوق للحاج - ذكره البخارى عن ابن عباس -
فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه . وقال ابن عباس : كان يبيع السوق - والسمن عند
صخرة ويصبه عليها ، فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة إعظاماً لصاحب
السوق ، وقال مجاهد : كان رجلاً فى رأس جبل له غنمة يسلى منها السمن ويأخذ منها =

عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله ﷺ : نعم ، فقال له قارب بن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم^(١) ، فقال رسول الله ﷺ : إن الأسود مات مشركاً فقال قارب لرسول الله ﷺ يا رسول الله ، لكن تصل مسلماً ذا قرابة ، يعنى نفسه إنما الدين على ، وإنما أنا الذى أطلب به ، فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية ، فلما جمع المغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما ، فقضى عنهما .

كتابه عليه السلام لثقيف : وكان كتاب رسول الله ﷺ الذى كتب لهم : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إن عضاه^(٢) وج وصيده لا يعضد^(٣) ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك ، فإنه يُجلد وتترع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به إلى النبى محمد ، وإن هذا أمر النبى محمد رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعده أحد ، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ .

* * *

= الأقط - ابن محمض يجمد ويطنخ به - ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيساً فيطعم الحاج ، وكان يطن نخلة فلما مات عبده وهو اللات .

انظر تفسير القرطبي ٩ / ٦٥٠ ط . دار الغد العربى ، المعجم الوجيز مادة الأقط ص ٢١ .

(١) أى إنهما أخوان شقيقان .

(٢) العضاه : شجر له شوك .

(٣) لا يعضد : لا يقطع أى أنه حرام على غير أهله كتحريم مكة والمدينة ، وقيل وج . هى الطائف ، وقيل إنها واد بها .

حَجُّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ سَنَةَ تِسْعٍ وَإِخْتِصَاصُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِتَأْدِيَةِ أَوَّلِ بَرَاءَةٍ عَنْهُ

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ، ليقم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم . فخرج أبو بكر ﷺ ومن معه من المسلمين .

ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد ، الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يُصدَّ عن البيت أحد جاءه ، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام ، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهد بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه في تبوك ، وفي قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمى لنا ومنهم من لم يُسم لنا ، فقال عز وجل : ﴿ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾ ^(١) أي لأهل العهد العام من أهل الشرك : ﴿ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين * وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ﴾ أي بعد هذه الحجة : ﴿ فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتهم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم إلا الذين عاهدتم من المشركين ﴾ أي العهد الخاص إلى الأجل المسمى : ﴿ ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين * فإذا انسلخ الأشهر الحرم ﴾ : يعني الأربعة التي ضرب لهم أجلا ، : ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم

(١) الآيات من سورة التوبة : ١ - ٥ .

واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم * وإن أحد من المشركين * : أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم : * استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون * (١) .

ثم قال تعالى : * كيف يكون للمشركين * الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا تخيفوهم في الحرمه ، ولا فى الشهر الحرام * عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام * وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية إلى المدة التى كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش ، وهم بنو الدليل من بنى بكر بن وائل الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم ، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته * فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين * .

ثم قال تعالى : * كيف وإن يظهروا عليكم * أى المشركين الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام : * لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة * .
والذمة : العهد . قال الأجدع بن مالك الهمداني ، وهو أبو مسروق الأجدع الفقيه :

وَكَانَ عَلَيْنَا ذِمَّةٌ أَنْ تَجَاوَزُوا مِنْ الْأَرْضِ مَعْرُوفًا إِلَيْنَا وَمُنْكَرًا

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له ، وجمعها : ذمم .
* يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون * اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون * أى قد اعتدوا عليكم * فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ونفصلُ الآيات لقوم يعلمون * (٢) .

اختصاص على بتأدية براءة : قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقم للناس الحج ،

(١) سورة التوبة : ٥ ، ٦ وهذه عدالة ورحمة الإسلام حتى مع المشرك .

(٢) سورة التوبة : ٧ - ١٠ .

— ابن إسحاق — ٢٩٧ —

قيل له : يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ، ثم دعا على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة^(١) . وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته ، فخرج على بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقه رسول الله ﷺ العضاء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج ، التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام على بن أبي طالب ﷺ ، فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته : وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كل قوم إلى ما منهم أو بلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة ، فهو له إلى مدته . فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان . ثم قدما على رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

● الأمر بجهاد المشركين :

قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله ﷺ بجهاد أهل الشرك ، ممن نقض من أهل العهد الخاص ، ومن كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلا إلا أن يعدو فيها عاد منهم فيقتل بعدائه ، فقال تعالى : ﴿ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَٰئِكَ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ ﴿٢﴾ : أي من بعد ذلك

(١) أي من أول سورة براءة وهي سورة التوبة .

(٢) سورة التوبة : ١٣ - ١٥ .

﴿ على من يشاء والله عليم حكيم ﴾ * أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً والله خير بما تعملون ﴿ (١) .

● القرآن يرد على قريش ادعاءهم عمارة البيت :

قال ابن إسحاق : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم ، وسقاة الحاج ، وعمارة هذا البيت فلا أحد أفضل منا ، فقال : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ (٢) : أى أن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يعمر مساجد الله أى من يعمرها بحقها : ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ : أى فأولئك عمارة : ﴿ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ وعسى من الله : حق .

ثم قال تعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله ﴾ (٣) ثم القصة حتى انتهى إلى ذكر حنين وما كان فيه وتوليهم عن عدوهم وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتهم عيلة ﴾ (٤) وذلك أن الناس قالوا : لتقطع عنا الأسواق ، فتهلكن التجارة ، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : ﴿ وإن خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ أى من وجه غير ذلك ﴿ إن شاء إن الله عليم حكيم ﴾ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴿ (٥) .

أى ففى هذا عرض مما تخوفتم من قطع الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم يأمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .

(١) الآيات السابقة من سورة التوبة : الآيات ١٥ - ١٦ .

(٢) سورة التوبة : ١٩ .

(٣) سورة التوبة : ١٨ .

(٤) سورة التوبة : الآيات ٢٨ - ٢٩ .

(٥) سورة التوبة : ٢٨ .

— ابن إسحاق — ٢٩٩ —

ما نزل في أهل الكتابين : ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصَدِّدُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١) .

ما نزل في النسئ : ثم ذكر النسئ ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسئ ما كان يُحل مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويحرم مما أحل الله منها : فقال : ﴿ إِن عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (٢) : أى لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما : أى كما فعل أهل الشرك ﴿ إِنَّمَا النَّسِئُ ﴾ الذى كانوا يصنعون ﴿ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلِّلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

ما نزل في تبوك : ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تناقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزوه الروم ، حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى جهادهم ، نفاق من نفاق من المنافقين ، حين دعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نعى عليهم من إحدائهم في الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ . ثم القصة إلى قوله تعالى : ﴿ يَعَذِّبُكُم عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِّلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ .

ما نزل في أهل النفاق : ثم قال تعالى لنبيه ﷺ ، يذكر أهل النفاق : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكُ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ : أى إنهم يستطيعون : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لَمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ .

(١) سورة التوبة : الآية ٣٤ .

(٢) الآيات إلى نهاية الصفحة من سورة التوبة : ٣٦ : ٤٧ .

قال ابن إسحاق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم عبد الله بن أبى بن سلول ، والجد بن قيس ، وكانوا أشرفاً فى قومهم ، فنبطهم الله لعلمه أنهم إن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم ، وطاعة فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم . فقال تعالى : ﴿ وفيكم سمّاعون لهم والله عليهم بالظالمين ﴾ لقد ابتغوا الفتنة من قبل ﴿ : أى من قبل أن يستأذنوك : ﴿ وقلّبوا لك الأمور ﴾ : أى ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك ﴿ حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ﴾ ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا ﴿ ^(١) ، وكان الذى قال ذلك فيما سمى لنا الجد بن القيس أخو بنى سلمة حين دعاه رسول الله ﷺ إلى جهاد الروم ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : ﴿ لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلًا لولوا إليه وهم يجمعون ﴾ * ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴿ ^(٢) : أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

• ما نزل فى أصحاب الصدقات :

ثم بين الصدقات لمن هى ، وسمى أهلها ، فقال : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ ^(٣) .

• ما نزل فىمن آذوا الرسول ﷺ :

ثم ذكر غشهم وأذاهم للنبي ﷺ ، فقال : ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذنٌ قل أذنٌ خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ ^(٤) وكان الذى يقول تلك المقالة فيما بلغنى ، نبتل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أذن ، من حدثه شيئاً صدقه . يقول الله تعالى : ﴿ قل أذنٌ خير لكم ﴾ ^(٥) : أى يسمع الخير ويصدق به .

(١) وما بعدها من سورة التوبة : الآيات ٤٧ - ٥٩ . (٢) سورة التوبة : ٥٧ - ٥٨ .

(٣) سورة التوبة : ٦٠ . (٤) سورة التوبة : ٦١ . (٥) سورة التوبة : ٦٢ .

ثم قال تعالى : ﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ﴾ ثم قال : ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون ﴾ ^(١) . . . إلى قوله تعالى : ﴿ إن نَعَفُ عن طائفة منكم نَعِذْ طائفة ﴾ ^(٢) ، وكان الذى قال هذه المقالة وديعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف ، وكان الذى عفى عنه ، فيما بلغنى : مخشن ابن حمير الأشجعى ، حليف بنى سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ من ولى ولا نصير ﴾ ^(٣) وكان الذى قال تلك المقالة الجلاس بن سويد بن صامت ، فرفعها عليه رجل كان فى حجره ، يقال له عمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته : فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴾ ^(٤) وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بنى عمرو بن عوف .

ثم قال : ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾ ^(٥) وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات : عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسول الله ﷺ رغب فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى ، فتصدق بمائة وسق من تمر ، فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء ، وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل .

• (٢) سورة التوبة : الآية ٦٦

• (١) سورة التوبة : الآية ٦٥

• (٤) سورة التوبة : الآية ٧٥

• (٣) سورة التوبة : الآية ٧٣ - ٧٤

• (٥) سورة التوبة : الآية ٧٩

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله ﷺ بالجهاد ، وأمر بالسير إلى تبوك ، علي شدة الحر وجذب البلاد . فقال تعالى : ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً وليكوا كثيراً ﴾ إلى قوله : ﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم ﴾ (١) .

ما نزل بسبب الصلاة على ابن أبي : قال ابن إسحاق : حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفي عبد الله بن أبي ، دعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحولت حتى قمت في صدره فقلت : يا رسول الله أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي ابن سلول ؟ القائل كذا يوم كذا . والقائل كذا يوم كذا أعدد أيامه له ، ورسول الله ﷺ يتبسم حتي إذا أكثر قال : يا عمر ، أخر عني ، إني قد خيرت فاخترت ، قد قيل لي : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ (٢) فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له ، لزدت . قال : ثم صلى عليه رسول الله ﷺ ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فعجبت لي ولجاءتني على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ (٣) . فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

• ما نزل في المستأذنين والمعدّرين والبيكّائين ومنافقي الأعراب :

قال ابن إسحاق : ثم قال : ﴿ وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم ﴾ (٤) وكان ابن أبي من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ﴾ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم * وجاء المعدرون من الأعراب

(١) سورة التوبة : ٨١ - ٨٥ . (٢) سورة التوبة : ٨٠ .

(٣) سورة التوبة : ٨٤ . (٤) سورة التوبة : ٨٦ .

ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴿ (١) . آخر القصة . وكان المعذرون ، فيما بلغنى نفرًا من بنى غفار ، منهم خفاف بن إيماء بن رحضة ، ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ وهم البكاءون .

ثم قال تعالى : ﴿ إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾ (٢) والخوالف : النساء . ثم ذكر خلفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال : ﴿ فأعرضوا عنهم ﴾ . . إلى قوله تعالى : ﴿ فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ (٣) .

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ، فقال تعالى : ﴿ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق ﴾ أى من صدقة أو نفقة فى سبيل الله ﴿ مغرمًا ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ﴾ (٤) .

• ما نزل فى المخلصين من الأعراب :

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم ﴾ (٥) .

ما نزل فى السابقين من المهاجرين والأنصار : ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان فقال : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ (٦) ثم قال تعالى : ﴿ ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾ (٧) : أى لجوا فيه ، وأبوا غيره ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ ، والعذاب الذى أوعده الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يردون إليه ، عذاب النار ، والخلد فيه . ثم قال تعالى : ﴿ وآخرون اعترفوا

(٢) سورة التوبة : ٩٢ - ٩٣ .

(١) سورة التوبة : ٨٨ - ٩٠ .

(٤) سورة التوبة : ٩٩ .

(٣) سورة التوبة : ٩٦ .

(٥) سورة التوبة : ٩٩ . (٦) سورة التوبة : ١٠٠ . (٧) سورة التوبة : ١٠١ .

بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴿١﴾ .

ثم قال : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ (٢) إلى آخر القصة ، ثم قال تعالى : ﴿ وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ﴾ (٣) ، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرهم حتى أتت من الله توبتهم ، ثم قال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ﴾ (٤) إلى آخر القصة ثم قال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (٥) ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءة تُسمى في زمان النبي ﷺ وبعده المبعثرة ، لما كشفت من سرائر الناس ، وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ .

* * *

(٢) سورة التوبة : ١٠٣ .

(٤) سورة التوبة : ١٠٧ .

(١) سورة التوبة : ١٠٢ .

(٣) سورة التوبة : ١٠٦ .

(٥) سورة التوبة : ١١١ .

حَسَّانُ يُعَدُّ مَغَازِيَهُ ﷺ شِعْرًا

وقال حسان بن ثابت يذكر أيام الأنصار مع النبي ﷺ ، ويذكر مواطنهم معه

أيام غزوه :

- | | |
|---|---|
| (١) ومَعْشَرًا إِنْ هُمْ عَمَوْا وَإِنْ حَصَلُوا | أَلَسْتُ خَيْرَ مَعْدٍ كُلِّهَا نَفَرًا |
| (٢) مَعَ الرِّسُولِ فَمَا آلَوْا وَمَا خَذَلُوا | قَوْمٌ شَهْرٌ بَدَرًا بِأَجْمَعِهِمْ |
| (٣) مِنْهُمْ وَلَمْ يَكْ فِي إِيْمَانِهِمْ دَخْلٌ | وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ |
| (٤) ضَرَبَ رَصِينَ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلٌ | وَيَوْمَ صَبَحَهُمْ فِي الشُّعْبِ مِنْ أَحَدٍ |
| (٥) عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَامَوْا وَمَا نَكَلُوا | وَيَوْمَ ذِي قِرْدٍ يَوْمَ اسْتِثَارَ بِهِمْ |
| (٦) مَعَ الرِّسُولِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْأَسْلُ | وَذَا الْعَشِيرَةِ جَاسُوا بِخَيْلِهِمْ |
| (٧) بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنَ وَالْجَبَلَ | وَيَوْمَ وَدَانَ أَجَلُوا أَهْلَهُ رَقَصًا |
| لِللَّهِ وَاللَّهُ يُجْزِيهِمْ بِمَا عَمَلُوا | وَكَيْلَةً طَلَبُوا فِيهِ عَدُوَّهُمْ |
| مَعَ الرِّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالنَّفْلُ | وَعَزْوَةٌ يَوْمَ نَجَدْنَا لَهَا لَهْمًا |
| (٨) فِيهَا يَعْلَمُ بِالْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا | وَلَيْلَةً بِحُنَيْنٍ جَالَدُوا مَعَهُ |
| (٩) كَمَا تَفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرِبِ الرِّسْلُ | وَعَزْوَةَ الْقَاعِ فَرَقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ |
| عَلَى الْجِلَادِ فَاسُوهُ وَمَا عَدَلُوا | وَيَوْمَ بُويعَ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ |

(١) حصلوا : أصلها بتشديد الصاد وخففها لضرورة الشعر . ومعنى حصلوا :

جمعوا .

(٢) فما آلوا : ما قصرُوا . (٣) دخل : فساد .

(٤) رصين : ثابت الحكم . (٥) خام : جبن وتراجع .

(٦) جاسوها : وطئوها . البيض : السيوف . الأسل : الرماح .

(٧) الرقص : نوع من المشي . الحزن : الأرض الغليظة المرتفعة .

(٨) يعلمهم : يكرر عليهم ، من العلل وهو الشرب الثاني ، نهلوا : شربوا الشرب

الأول . (٩) الرسل : الإبل .

وَعَزْوَةُ الْفَتْحِ كَانُوا فِي سَرِيَّتِهِ
 وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كِتَابَتِهِ
 بِالْبَيْضِ تَرَعَشُ فِي الْإِيمَانِ عَارِيَةً
 وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا
 وَسَاسَةَ الْحَرْبِ إِنْ حَرْبٌ بَدَتْ لَهُمْ
 أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ
 مَاتُوا كِرَامًا ، وَلَمْ تَنْكُثْ عَهْدُهُمْ
قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

كُنَّا مَلُوكَ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ
 وَآكْرَمَنَا اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ غَيْرُهُ
 يَنْصُرُ الْإِلَهَ وَالرَّسُولَ وَدِينَهُ
 أُولَئِكَ قَوْمِي خَيْرُ قَوْمٍ بِأَسْرِهِمْ
 يَرْبُونَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٍ مِنْ مَضَى
 إِذَا اخْتَبَطُوا لَمْ يَفْحَشُوا فِي نَدِيهِمْ
 وَإِنْ حَارَبُوا أَوْ سَالَمُوا لَمْ يَشْبَهُوا
 وَجَارَهُمْ مَوْفٍ بِعِلْيَاءِ بَيْتِهِ
 وَحَامِلُهُمْ مَوْفٍ بِكُلِّ حُمَاتِهِ
 وَقَاتِلُهُمْ بِالْحَقِّ إِنْ قَالَ قَاتِلُ
 وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ حَيَاتِهِ
 فَلَمَّا أَتَى الْإِسْلَامَ كَانَ لَنَا الْفَضْلُ
 إِلَهُ بِأَيَّامٍ مَضَتْ مَا لَهَا شَكْلُ
 وَالْبَسْنَاءُ اسْمًا مَضَى مَا لَهُ مَثَلُ
 فَمَا عَدَ مِنْ خَيْرٍ فَقَوْمِي لَهُ أَهْلُ
 وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَعْرُوفِهِمْ قَفْلُ (٢)
 وَلَيْسَ عَلَى سَوَالِهِمْ عِنْدَهُمْ بَخْلُ (٣)
 فَحَرْبُهُمْ حَتْفٌ وَسَلْمُهُمْ سَهْلُ
 لَهُ - مَا ثَوَى فِينَا - الْكِرَامَةُ وَالْبَذْلُ
 تَحْمِلُ لَا غَرَمَ عَلَيْهَا وَلَا خَذْلُ
 وَحِلْمُهُمْ عَوْدٌ وَحُكْمُهُمْ عَدْلُ (٤)
 وَمَنْ غَسَلَتْهُ مِنْ جَنَابَتِهِ الرَّسُلُ (٥)

(١) القفل : الرجوع . (٢) يربون : يصلحون .

(٣) اختبطوا : قصدوا . (٤) عود : متكرر .

(٥) أمير المسلمين : هو سعد بن معاذ فإن الأنصار تزعم أن الرسول قال للمسلمين جميعا مهاجرين وأنصار قوموا إلى سيدكم . أما من غسلته الملائكة ، هو حنظلة المدعو غسيل الملائكة وهو أنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قَوْمِي أَوْلَئِكَ إِنْ تَسَالَى عِظَامُ الْقُدُورِ لَا يَسْأَرُهُمْ
يَؤَاسُونَ جَارَهُمْ فِي الْغِنَى فَكَانُوا مَلُوكًا بِأَرْضِيهِمْ
مُلُوكًا عَلَى النَّاسِ ، لَمْ يَمْلِكُوا فَأَنْبُوا بِعَادٍ وَأَشْيَاعِهِمْ
بِثَرِبٍ قَدْ شِيدُوا فِي النَّخِيلِ نَوَاضِحٍ قَدْ عَلِمْتُهُمُ الْيَهُو
وَفِيمَا اشْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ الْقَطَا فَسَرْنَا إِلَيْهِمْ بِأَثْقَالِنَا
جَنَبْنَا بِهِنَ جِيَادِ الْخَيْوِ فَلَمَّا أَنَاخُوا بِجَنبِي صِرَارِ
فَمَا رَاعَهُمْ غَيْرَ مَعَجِ الْخَيْولِ فَطَارُوا سَرَاعًا وَقَدْ أَفْزَعُوا
عَلَى كُلِّ سَلْهَبَةٍ فِي الصِّيَا وَكَلَّ كَمَيْتٍ مَطَارِ الْفُؤَادِ

كَرَامَ إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمَ يَكْبُونُ فِيهَا الْمَسْنُ السَّنَمُ (١)
وَيَحْمُونَ مَوْلَاهُمْ إِنْ ظَلِمَ يَنَادُونَ عَضْبًا بِأَمْرٍ غَشِمَ (٢)
مَنْ الدَّهْرُ يَوْمًا كَحَلِّ الْقَسَمِ (٣) ثَمُودٌ وَبَعْضُ بَقَايَا إِرَمَ (٤)
حَصُونًا وَدَجَنَ فِيهَا النَّعَمُ (٥) دُعَلِلَ إِلَيْكَ وَقَوْلًا هَلَمَ (٦)
فِ الْعِيشِ رَخْوًا عَلَى غَيْرِهِمْ عَلَى كُلِّ فَحْلٍ هِجَانٍ قَطَمَ (٧)
لِ قَدْ جَلَّلُوهَا جَلَالِ الْأَدَمِ (٨) وَشَدُّوا السَّرُوجَ بَلَى الْحَزَمِ
وَالزَّحْفَ مِنْ خَلْفِهِمْ قَدْ دَهَمَ (٩) وَجَنَّبْنَا إِلَيْهِمْ كَأْسِدَ الْأَجَمِ
نَ لَا يَشْتَكِينُ نَحْوَنَ السَّامِ (١٠) أَمِينَ الْفُصُوصِ كَمَثَلِ الزَّلَمِ (١١)

- (١) الأيسار : من يدخلون في الميسر . المسن : الكبير . السنم : عظيم السنام .
(٢) حل القسم : يراد بها المدة القصيرة . (٣) أنبوا : أنبثوا .
(٤) دجن : اختفت في البيوت .
(٥) النواضح : الإبل التي يسقى عليها الماء . عل : كلمة تزجر بها الإبل .
(٦) الهجان : الأبيض . قطم : المشتى الضراب .
(٧) جنبنا : قدنا إلى جنبنا . جللوها : غطوها . الأدم : الجلد .
(٨) معج : مسرعة . (٩) السلهبة : الفرس السريعة .
(١٠) مطار : ذكى . أمين الفصوص : ما قوي من العظام . الزلم : القدح .

عَلَيْهَا فَوَارِسُ قَدْ عودوا
 مُلُوكٌ إِذَا غَشَمُوا فِي الْبِلَادِ
 فَأَبْنَا بِسَادَاتِهِمْ وَالنِّسَاءِ
 وَرَثْنَا مَسَاكِنَهُمْ بَعْدَهُمْ
 فَلَمَّا أَتَانَا الرَّسُولَ الرَّشِيدَ
 قُلْنَا صَدَقْتَ رَسُولَ الْمَلِكِ
 فَشَهِدْنَا أَنَّكَ عَبْدُ الْإِلَهِ
 فَاثْنَا وَأَوْلَادُنَا جَنَّةُ
 فَحَنَّا أَوْلَئِكَ إِنْ كُذِّبُوا
 وَنَادَى بِمَا كُنْتَ أَخْفَيْتَهُ
 فَصَارَ الْغَوَاةَ بِأَسْيَافِهِمْ
 فَقَمْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا
 بِكُلِّ صَقِيلٍ لَهُ مِيعَةٌ
 إِذَا مَا يَصَادِفُ صَمَّ الْعِظَا
 فَذَلِكَ مَا وَرَثْنَا الْقُرُو
 إِذَا مَرَّ نَسِيلٌ كَفَى نَسْلَهُ
 فَمَا إِنْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا لَنَا

قِرَاعُ الْكِمَانِ وَضَرْبُ الْبَهْمِ (١)
 لَا يَنْكَلُونَ وَلَكِنْ قَدَمٌ (٢)
 وَأَوْلَادُهُمْ فِيهِمْ تَقْتَسِمُ
 وَكُنَّا مُلُوكًا بِهَا لَمْ نَرَمْ
 بِدِ الْخَقِّ وَالنُّورِ بَعْدَ الظُّلَمِ
 هَلَمْ إِلَيْنَا وَفِيْنَا أَقِمِ
 هِ أَرْسَلْتَ نُورًا بِدِينِ قِيمِ
 نَقِيكَ وَفِي مَالِنَا فَاحْتَكِمِ
 فَنَادَى نَدَاءً وَلَا تَحْتَشِمِ
 نَدَاءً جَهَارًا وَلَا تَكْتُمِ
 إِلَيْهِ يَظُنُّونَ أَنْ يَخْتَرِمِ (٣)
 نُجَالِدُ عَنْهُ بَغَاةَ الْأُمَمِ
 رَقِيقَ الذُّبَابِ عَضُوضَ خَدَمِ (٤)
 لَمْ يَنْبِ عَنْهَا وَلَمْ يَنْثَلِمِ
 مَ مَجْدًا تَلِيدًا وَعِزًّا أَشْمِ (٥)
 وَغَادَرَ نَسْلًا إِذَا مَا انْفَصَمِ (٦)
 عَلَيْهِ وَإِنْ خَاسَ فَضْلُ النِّعَمِ (٧)

- (١) الْبَهْمُ : الْأَبْطَالُ الشَّجْعَانُ .
 (٢) غَشَمُوا : اشْتَدَّ ظَلَمُهُمْ ، لَا يَنْكَلُونَ : لَا يَرْجِعُونَ هَائِبِينَ .
 (٣) يَخْتَرِمُ : يَهْلِكُ .
 (٤) لَهُ مِيعَةٌ أَيُّ مُصْقُولٍ يَشْبُهُ الْمَائِعَاتِ فِي بَرِيْقِهِ وَصَفَائِهِ . الذُّبَابُ : حَدُّ السِّيفِ ،
 خَدَمُ : قَاطِعُ .
 (٥) الْقُرُو : السَّادَةُ . التَّلِيدُ : الْقَدِيمُ . الْأَشْمُ : الْعَالِي .
 (٦) انْفَصَمَ : انْقَرَضَ .
 (٧) خَاسَ : غَدَرَ .

ذِكْرُ سَنَةِ تِسْعٍ وَتَسْمِيَتِهَا سَنَةِ الْوَفُودِ وَنَزُولِ سُورَةِ الْفَتْحِ (١)

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه (٢) .

• انقياد العرب وإسلامهم :

قال ابن إسحاق : إنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ﷺ ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام (٣) الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وضريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا ينكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت (٤) له قريش ، ودخلها الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عز وجل : أفواجاً يضربون (٥) إليه من كل وجه ، ويقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴿ (٦) .

* * *

(١) يقصد هنا سورة النصر .

(٢) قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيد أن ذلك كان فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

(٣) أى القدوة .

(٤) أى خضعت له واعترفت به .

(٥) أى يأتون إليه ، يضربون إليه أكباد الإبل : أى يأتون إليه من كل مكان محمولون على الإبل .

(٦) سورة النصر بأكملها وهى مدنية ، وتسمى سورة « التوديع » وهى ثلاث آيات ، وهى آخر سورة نزلت جميعاً - أى كاملة - انظر تفسير القرطبى ١٠ / ٧٥٧٤ ط . دار الغد العربى .

قُدُوم وفدِ بنى تميم ونزول سورة الحجرات

• رجال الوفد

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب ، فقدم عليه عطارد بن حاجب (١) ابن زرارة بن عدس التميمي ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمي والزبيرقان بن بدر التميمي ، أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهمم والحبحاب بن يزيد . قال ابن إسحاق : وفى وفد بنى تميم نعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم : أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم . قال ابن إسحاق : ومعهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وقد كان الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنينا والطائف .

أصحاب الحجرات : فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا . قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل .

كلمة عطارد : فقام عطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن ، وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عدة ، فمن مثلنا فى الناس وأولى فضلهم؟! فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس .

ثابت بن قيس يرد على عطارد :

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته : فقام ثابت ، فقال :

(١) هو أحد بنى دارم بن مالك وكذلك الأقرع بن حابس .

— ٣١١ — ابن إسحاق

الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شىء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفي من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حنبا ، وأنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العاملين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس حسبا ، وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس فعلاً ، ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله . فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه . ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

• شعر الزبرقان فى الفخر بقومه :

فقام الزبرقان بن بدر فقال :

نحنُ الكرامُ فلا حَـى يُعادلنا
وكم قَسَرنا من الأحياء كلهم
ونحن نطعم عند القحطِ مطعمنا
بِما ترى الناس تأتينا سراتهم
فَننحر الكُومَ عِبطاً فى أرومتنا
فَلا تَرانا إلى حَـى نُفاخرهم
فَمَن يُفاخرنا فى ذاك نَعرفه
إنا أبينا ولا يابى لنا أحدٌ

مِنَّا الملوكةُ وفينا تُنصَبُ البيعُ (١)
عند النّهابِ وفضل العز يتبعُ
من الشّواء إذا لم يؤنس القزعُ (٢)
مِن كل أرض هويّاً ثم نصطنعُ (٣)
لِلنازلين إذا ما أنزلوا شَبَعُوا (٤)
إلا استفادوا فكانوا الرأس يقطعُ
فَيرجعُ القوم والأخبار تُستمعُ
إنا كذلك عند الفخر نرتفعُ

(١) البيع : أماكن العبادة والصلاة .

(٢) القزع : السحاب الرقيق ليس فيه مطر

(٣) هويّا : سراعاً .

(٤) الكوم : النوق عظام الأسنمة ، عبطا : بلا سبب ، الأرومة : الكرم ، وتأتى أيضاً

بمعنى الأصل .

● حسان يرد على الزبرقان :

قال ابن إسحاق : وكان حسان غائباً ، فبعث إليه رسول الله ﷺ ، قال حسان : جاءني رسوله ، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول :

مَنَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطْنَا عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاغِمٍ
مَنَعْنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ
بَيْتَ حَرِيدٍ عَزَهُ وَثَرَاؤُهُ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ (١)
هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودُودُ وَالْعُودُ وَالنَّدَى وَجَاهِ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالِ الْعِظَائِمِ (٢)

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ، عرضت في قوله ، وقلت على نحو ما قال . قال : فلما فرغ الزبرقان ، قال رسول الله ، لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال : فقام حسان ، فقال :

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَيَّنَّا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تُتَبَعُ (٣)
يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهَ وَكُلِّ الْخَيْرِ يَصْطَنَعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاولُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مُحَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرَّهَا الْبِدْعُ (٤)
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنَى سَبَقِهِمْ تَبَعُ
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفَهُمْ عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلَا يَوْهُونَ مَا رَقَعُوا (٥)
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبَقَهُمْ أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مَتَعُوا (٦)
أَعْفَى ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفْتَهُمْ لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يَرْدُ بِهِمْ طَمَعُ (٧)
لَا يِيْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ مَنْ مَطْمَعُ طَبَعُ (٨)

(١) الحريد : الفريد في العز . الجولان : بلد بسوريا ، والمراد أن عزهم قديم متصل بحضارة الغساسنة في الشام .

(٢) السودود : المجد ، والعود : المتكرر .

(٣) الذوائب : السادة الأشراف .

(٤) السجية : الطبيعة .

(٥) أوهت : هدمت .

(٦) متعوا : زادوا وارتفعوا .

(٧) لا يطبعون : لا يتدنسون .

(٨) طبع : دنس .

إذا نصبنا لحى لم ندب لهم
نسموا إذا الحرب نالتنا مخابها
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم
كانهم فى الوغى والموت مكتنع
خذ منهم ما أتى عفوا إذا غضبوا
فإن فى حربهم - فاترك عداوتهم
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
أهدى لهم مدحتى قلب يؤازره
فإنهم أفضل الأحياء كلهم

كما يدب إلى الوحشية الذرع^(١)
إذا الزعانف من أظفارها خشعوا^(٢)
وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع^(٣)
أسد بحلية فى أرساغها فدع^(٤)
ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
شرا يخاض عليه السم والسلع^(٥)
إذا تفاوتت الأهواء والشيع^(٦)
فيما أحب لسان حائك صنع
إن جد بالناس جد القول أو شمعوا^(٦)

شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان : وقال حسان بن ثابت أيضا :

هل المجد إلا السودد العود والندى
نصرنا وآوينا النبی محمدا
بحى حريد أصله وثوراه
نصرناه لما حل وسط ديارنا
جعلنا بنينا دونه وبناتنا
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا

وجاه الملوك واحتمال العظام
على أنف راض من معد وراغم
بجابية الجولان وسط الأعاجم
بأسيافنا من كل باغ وظالم
وطبنا له نفسا بفيء المغانم
على دينه بالمرهفات الصوارم

(١) نصبنا : أظهرنا العداوة ، الذرع : ولد بقرة الوحش .

(٢) نسموا : ننهض ، الزعانف : يريد بها أطراف الناس ، خشعوا : تذللوا .

(٣) الخور : الضعف .

(٤) مكتنع : قريب من حلية : مكان باليمن تكثر فيه الأسود ، الأرساغ : جمع رسغ

وهو ما بين الساق والقدم ، فدع : اعوجاع .

(٥) السلع : نبات سام .

(٦) شمعوا : هزلوا .

ونحنُ وكلدنا من قريش عَظِيمها ولدنا نبى الخير من آل هاشم (١)
 بنى دارم لا تفخروا إنَّ فخركم يعودُ وبالا عــــند ذكر المكارم
 هبلم علينا تفخــــرون وأنتم لنا خوك ما بين ظئر وخادم (٢)
 فإن كنتم بجئتم لحقن دماءكم وأموالكم أن تقسموا فى المقاسم
 فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ولا تلبسوا زياً كزى الأعاجم
 إسلام الوفد : قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال
 الأقرع بن حابس : وأبى ، إن هذا الرجل لمؤتى له (٣) ، ولخطيبه أخطب من
 خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا ، فلما فرغ
 القوم أسلموا . وجوزهم (٤) رسول الله ﷺ ، فأحسن جوائزهم .
 شعر ابن الأهتم فى هجاء قيس : وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم فى
 ظهرهم (٥) ، وكان أصغرهم سناً . فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن
 الأهتم : يا رسول الله ، إنه قد كان رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حدث ،
 وأزرى به فأعطاه رسول الله ﷺ مثلما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين
 بلغه أن قيساً قال ذلك يهجوهُ :
 ظَلَلْتُ مفترشَ الهَلَباءِ تشتُمْنى عند الرسولِ فلم تصدق ولم تصب (٦)
 سدناكم سؤددا رهواً وسؤددكم باد نواجذه مقــــع على الذنب (٧)
 قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء
 الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ (٨)

* * *

- (١) ذلك أن أم عبد المطلب من أهل يثرب .
 (٢) هبلم : ثكلتم . الخول : العبيد والخدم ، الظئر : المرضعة غير ولدها .
 (٣) مؤتى له : أى موفق . (٤) أى أعطاهم جائزة ومكافئة .
 (٥) ظهرهم : إيلهم .
 (٦) الهلباء : ما غلظ من الشعر وصلب .
 (٧) رهواً : متسعاً ، النواجذ : الأسنان ، مقع : جالس .
 (٨) الحجرات : الآية ٤

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفادة عن بني عامر

• رؤساء الوفد :

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر ، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

• عامر يدبر الغدر بالرسول ﷺ :

فقدم عامر بن الطفيل عدو الله ، على رسول الله ﷺ ، وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم ، قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبي ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ، ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل ، فأنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله ^(١) بالسيف ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالنى ^(٢) ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد خالنى - وجعل يكلمه ويتنظر من أربد ما كان أمره به - فجعل أربد لا يحير شيئاً ، قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالنى ، قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له ، فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً ، فلما ولى قال رسول الله ﷺ ، اللهم اكفنى عامر ابن الطفيل . فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا أبالك ، لا تعجل على ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ^(٣) ؟

(١) أى اقتله به . (٢) أى اتخذنى خليلاً وصاحباً .

(٣) وهذه من معجزات الله إذ أخفى نبيه عن وجه هذا الكافر ليرد كيده فى نحره .

موت عامر بدعاء الرسول عليه : وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول ، فجعل يقول : يا بني عامر ، أغدة كغدة البكر ^(١) في بيت امرأة من بني سلول !؟

موت أربد بصاعقة : قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين واروه ، حين قدموا أرض بني عامر شاتين ، فلما قدموا اتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شيء . والله ، لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن ، فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقة ، فأحرقتهما ، وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه ^(٢) .

شعر لبيد في بكاء أربد : قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكي أربد :

مَا إِنْ تَعَدَّى الْمَنُونُ مِنْ أَحَدٍ	لَا وَالدَّ مَشْفُقٌ وَلَا وَكِدٌ
أَخْشَى عَلَى أَرْبَدٍ الْخُتُوفَ وَلَا	أَرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
فَعَيْنٌ هَلَّا بِكَيْتِ أَرْبَدٍ إِذْ	قَمْنَا وَقَامَ النِّسَاءُ فِي كَبِدِ ^(٣)
إِنْ يَشْغَبُوا لَا يُبَالُ شَغْبُهُمْ	أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْحُكُومِ يَقْتَصِدِ
حُلُو أَرْبَدٍ ^(٤) وَفِي حَلَاوَتِهِ	مَر لَطِيفِ الْأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ
وَعَيْنٌ هَلَّا بِكَيْتِ أَرْبَدٍ إِذْ	أَلَوْتَ رِيَّاحَ الشِّتَاءِ بِالْعُضْدِ
وَأَصْبَحَتْ لَأَقْحًا مَصْرَمَةً	حِينَ تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمَدَدِ ^(٥)

- (١) الغدة مرض يصيب الإبل تموت منه ، البكر : الفتى من الإبل .
 (٢) قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ! قال :
 وأنزل الله عز وجل في عامر وأربد : ﴿ الله يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ﴾ . إلى قوله : ﴿ وما لهم من دونه من وال ﴾ .
 قال : المعقبات : هي من أمر الله يحفظون محمداً ، ثم ذكر أربد وما قتله الله به ،
 فقال : ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾ إلى قوله : ﴿ شديد المحال ﴾ .
 (٣) الكبد : المشقة والحزن . (٤) الأريب : الداهي الفطن .
 (٥) مصرمة : لا لبن فيها . الغوابر : البقايا .

- أشجع من ليث غـابة لحم
لا تبلُغُ العينُ كُلَّ نهْمَتِها
الباعثُ النـروح في مآتمه
فَجَعَنِي البرق والصواعق بالـ
والحاربُ الجابرُ الحـريب إذا
يَعْفُو على الجهدِ والسؤال كما
كُل بني حرة مصيـرهم
إن يُغبطوا يَهبطوا وإن أمروا
- ذو نهمة في العلا ومنتقد (١)
ليلة تسمى الجـياد كالقـدد (٢)
مثل الظباء الأـبكار بالجـرد (٣)
فارس يـوم الكـريهة النـجد
جاء نكيبا وإن يـعد يـعد (٤)
ينبت غيث الربيع ذو الرصد (٥)
قل وإن أكثـرت من العدد
يوماً فهم للهـلاك والنقد

قال ابن إسحاق : وقال لييد أيضاً ييكي أربد :

- ألا ذهبَ المُحافظُ والمُحامي
وأيقنتُ التفرقَ يومَ قالوا
تطيرُ عداثُ الأشرارِ شفعاً
فودعَ بالسَّلام أبا حُريرٍ
وكنْتُ إمامنا وكنا نظاماً
وأربدُ فارسَ الهيجاءِ إذا ما
إذا بكرَ النساءُ مُردفات
- ومانع ضيمها يوم الخصام
تقسم مال أربد بالسهم
ووترًا والزعامة للغلام (٦)
وقل وداعُ أربد بالسَّلام
وكان الجزع يحفظ بالنظام (٧)
تقعرَّت المشاجر بالفئام (٨)
حواسر لايجئن على الخدام (٩)

(١) لحم : كثيراً من أكل اللحم . منتقد : بصير بالأمر .

(٢) القدد : السيور تصنع من الجلد .

(٣) النوح : جماعة النساء النائحة . الجرد : الأراضي القاحلة .

(٤) الحريب : السالب . والنكيب : المصاب .

(٥) يعفو : يعطى . الرصد : الكلاء القليل .

(٦) العداث : الأنصباء . الأشرار : الشركاء . (٧) الجزع : الخرز اليماني .

(٨) المشاجر : نوع من الهودج . الفئام : ما يفرش في الهودج .

(٩) يجئن : يعطين . الخدام مفردا خدمة : الساق .

فَوَاعَلَ يَوْمَ ذَلِكَ مَنْ أَتَاهُ
وَيَحْمَدُ قَدْرَ أَرْبَدٍ مَنْ عَرَاهَا
وَجَارَتُهُ إِذَا حَلَّتْ لَدَيْهِ
فَإِنْ تَقَعْدَ فَمَكْرَمَةٌ حَصَانِ
وَهَلْ جُدَّتْ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا
وَالْأَفْرَقْدَيْنِ وَآلِ نَعَشٍ
كَمَا وَآلِ الْمَحَلِّ إِلَى الْحَرَامِ^(١)
إِذَا مَا ذُمَّ أَرْبَابُ اللَّحَامِ
لَهَا نَقْلٌ وَحِظٌ مِنْ سَنَامِ
وَإِنْ تَظْعَنَ فَمَحْسَنَةُ الْكَلَامِ
عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا ابْنِي شَمَامِ^(٢)
خَوَالِدٌ مَا تَحْدُثُ بِأَنْهَادِ^(٣)

قال ابن إسحاق : وقال ليبد أيضاً ييكي أربد :

أَنْعَ الْكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ أَرْبَدًا
يَحْذِي وَيُعْطِي مَالَهُ لِيَحْمَدَا
السَّابِلَ الْفَضْلَ إِذَا مَا عُدَا
رَفَهَا إِذَا يَأْتِي ضَرْيَكَ وَرَدَا
يَزْدَادُ قَرِيبًا مِنْهُمْ أَنْ يُوعَدَا
غَبَا وَمَالًا طَارِفًا وَوَلَدَا
وَقَالَ لِيَبْدُ أَيْضًا :

لَنْ تُفْنِيَنَا خَيْرَاتُ أَرْبَدٍ
فَأَبْكِيَا حَتَّى يَعُودَا

- (١) وآل : الجأ . (٢) ابنا شمام : جيلان .
(٣) الفرقدان : نجمان نيران . وآل نعش يقصد بنات نعش الكبرى والصغرى :
مجموعات من النجوم .
(٤) يحذى : يعطى . الأدم : الإبل البيض . الصور : القطيع من بقر الوحش .
أبدا : نافرة .
(٥) الجفنة : وعاء يصنع من خشب الأبنوس .
(٦) رفها : متكررا الضريك : الفقير . الغيل : اكمة الأسد . يقرو : يتبع .
جمد : اسم جبل .
(٧) الشرخ : أول الشباب ونضارته ، اليافع الغلام البالغ .

قُولاً هُوَ الْبَطْلُ الْمَحْ—
وَيَصْدُ عَنَّا الظَّالِمِ—
فَاعْتَاقَهُ رَبُّ الْبَرِّ—
فَقُ—وَي وَلَمْ يُوجَعْ وَلَمْ
وقال لييد أيضا :

يَذْكُرْنِي بِأَرْبِ—دَ كُلِّ خِصْمٍ
إِذَا اقْتَصَدُوا فَمَقْتَصِدْ كَرِيمٍ
وَيَهْدِي الْقَوْمَ مَطْلَعًا إِذَا مَا
قال ابن إسحاق : وقال لييد أيضًا :
أَصْبَحْتُ أَمْشِي بَعْدَ سَلْمَى بْنِ مَالِكٍ
إِذَا مَا رَأَى ظِلَّ الْغُرَابِ أَضْجَهْ
أَلْدَ تَخْتَالُ خَطَّتْهُ ضَرَارًا (٣)
وإن جاروا سواء الحق جَارًا
دليل القوم بالمواة حَارًا (٤)
وبعد أَبِي قَيْسٍ وَعُرْوَةُ كَالْأَجْبِ (٥)
حَذَارًا عَلَى بَاقِي السَّنَاسِنِ وَالْعَصَبِ (٦)

* * *

-
- (١) الصيد : المتكبرون .
(٢) اعتاقه : أعاقه عن أن يبلغ غايته .
(٣) ألد : قوى الخصومة .
(٤) المواة : الصحراء .
(٥) الأجب : مقطوع السنام من البعير .
(٦) أضجه : صاح عليه . السناسن فقار الظهر .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم ، يقال له ضمام بن ثعلبة .

إسلامه : قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن الوليد بن نوفع عن كريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ ، فقدم عليه ، وأناخ بغيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ، وكان ضمام رجلاً جلدًا أشعر ذا غديرتين (١) ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب . قال : أمحمد؟ قال : نعم ، قال : يا ابن عبد المطلب ، إني سائلك ومغلظ عليك في المسئلة ، فلا تجدن في نفسك ، قال : لا أجد في نفسي ، فسل عما بدا لك ، قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، الله بعثك إلينا رسولاً؟ قال : اللهم نعم ، قال فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، الله أمرك أن تأمرنا أن نعبد وحده لا نشرك به شيئاً . وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، الله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال : اللهم نعم ، قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة منها ، كما ينشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بغيره راجعاً . قال : فقال رسول الله ﷺ : إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة .

دعوة قومه للإسلام : قال : فأتى بغيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه . فكان أول ما تكلم به أن قال : بثست اللات والعزى !

(١) غديرتين : ذؤابتين من شعر .

— ابن إسحاق — ٣٢١ —

قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لا يضران ، ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده . لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتمكم من عنده بما أمركم به ، وما نهاكم عنه . قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً .

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوفاد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

• ما حدث بين الرسول وبين مسيلمة الكذاب :

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار فحدثني بعض علمائنا من المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب ، ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه ، معه عسيب من سعف النخل ، فى رأسه خوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسول الله ﷺ : لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله ﷺ ، وخلفوا مسيلمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحباً لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ، أى لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله ﷺ .

تنبؤ مسيلمة : قال : ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ ، وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إنى قد أشركت فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى : أما إنه ليس بشركم مكانا ، ماذا إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت فى الأمر معه ، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة ^(١) للقرآن : « لقد أنعم الله على

(١) مضاهاة : مشابهة .

الجبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق ^(١) وحشى . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي ، فأصفت ^(٢) معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أى ذلك كان .

* * *

قُدوم ^(٣) زيد الخيل فى وفد طيىء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيىء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا ، فحسن إسلامهم ، وقال رسول الله ﷺ ، كما حدثنى من لا أتهم من رجال طيىء ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل ، فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ، ثم سمّا رسول الله ﷺ زيد الخير وقطع له فيداً وأرضين معه ، وكتب له بذلك ، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه فقال رسول الله ﷺ : إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه قال : قد سماها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى ، وغير أم ملدم ^(٤) فلم يثبت . فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فردة ، أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموت قال :

أمرُ تحل قومى المشارق غدوةً وأتركُ فى بيتٍ بفردةٍ منجدٍ
ألا ربَّ يومٍ لو مرّضتُ لعادنى عوائد من لم يبر منهنَّ بجهدٍ ^(٥)

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه ، التى قطع له رسول الله ﷺ فحرقتها بالنار .

* * *

(١) الصفاق ما رقى من البطن .

(٢) أصفت : اجتمعت .

(٣) قدوم : أى قدومه يعلن إسلامه .

(٤) والاسم الذى ذهب عنه الراوى من أسماء الحمى ، هو أم كلبة .

(٥) يبرى : يجهد .

قَدُومُ عَدِي بْنِ حَاتِمٍ

• هروبه إلى الشام فراراً من الرسول ﷺ :

وأما عدى بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغني : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرءاً شريفاً وكنت نصرانياً ، وكنت أسير في قومي بالمرباع ^(١) فكنت في نفسي على دين وكنت ملكاً في قومي ، لما كان يصنع بي فلما سمعت رسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لي عربى ، راعياً لإبلى : لا أبالك ، أعدد لي من إبلى أجماً ذلاً ^(٢) سماناً ، فاحتبسها قريباً مني ، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فأذني ، ففعل ، ثم إنه أتاني ذات غداة ، فقال : يا عدى ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فإنني قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرب إلى أجمالي ، فقربها ، فاحتملت بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألحق بأهل ديني من النصاري بالشام ، فسلكت الجوشية ، وخلفت بنتاً ^(٣) لحاتم في الحاضر . فلما قدمت الشام أقمت بها .

أسر الرسول ابنة حاتم : وتخالفتني خيل لرسول الله ﷺ ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبابا من طيء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشام . قال : فجعلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يحبس فيها ، فمر بها رسول الله ﷺ ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك . قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال الفار من الله

(١) أى أخذ ربع الغنيمة ، وكانت هذه عادة الرؤساء في الجاهلية لمكانتهم في قومهم .

(٢) الذلل : السهلة .

(٣) يقول السهيلي : اسمها سفانة ، لأنني وجدت في خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سخائه قالت : فأخذ حاتم عدياً يعلمه من الجوع ، وأخذت أنا سفانة ، ولا يعرف لعدي ولد ، انقرض عقبه ، ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن حاتم ، ذكره القتيبي ، ولا يعرف له بنت إلا سفانة ، فهي إذا هذه المذكورة في السيرة . والله أعلم .

ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مر بى . فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر بى وقد يئست منه ، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومى فكلميه ، قالت : فقممت إليه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن على من الله عليك ، فقال ﷺ : قد فعلت ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنينى ^(١) . فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن أكلمه ، فقليل : على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بلى أو قضاة ، قالت : وإنما أريد أن آتى أخى بالشام . قالت : فجئت رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رهط من قومى ، لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكسانى رسول الله ﷺ ، وحملنى ، وأعطانى نفقة ^(٢) ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدى : فوالله إن لقاعد فى أهلى ، إذ نظرت إلى ظعينة ^(٣) تصوب إلى تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت على انسحلت ^(٤) تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بقية والدك عورتك ، قال : قلت أى أخية لا تقولى إلا خيراً ، فوالله ما لى من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت ، قال : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها . وكانت امرأة حازمة - ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تُذل فى عز اليمن ، وأنت أنت ^(٥) قال : قلت : والله إن هذا رأى .

(١) يا لها من أخلاق فاضلة وشهامة ومروءة من النبى ﷺ حتى مع غير المسلمين ، امرأة غير مسلمة بعد ما أطلق سراحها يخاف عليها أن تسافر لأخيها ، إلا بعد أن يطمئن عليها أنها فى مأمن وذلك أنه طلب منها أن تنتظر رفقة من قومها ثقة لتسافر معهم ويطمئن الرسول بنفسه على ذلك !! .

(٢) وهذا من عظيم كرم النبى ﷺ أن أحسن إليها وأعطاه كساء ، ونفقة تكفيها حتى تصل لأخيها ، فيا ليتنا نتأسى بأخلاق الرسول ﷺ .

(٣) الظعينة : المرأة فى الهودج . (٤) انسحلت : أخذت تلوم .

(٥) انظر إلى تفكير المرأة ومدى إعمال العقل وحسن نظرها ، على عكس نساء كثيرات

اليوم يستخدمن عقولهن فى أمور تافهة لا تنفع .

• إسلام عدى :

قال : فخرجت حتى أقدمُ على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلمتُ عليه ، فقال : من الرجل فقلت : عدى بن حاتم ، فقام رسول الله ﷺ ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه ^(١) ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها ، قال : قلت فى نفسى والله ما هذا بملك ^(٢) ، قال : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بى بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفاً ، فقذفها إلى ، فقال : اجلس على هذه ، قال قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض ، قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم ! ألم تك ركوسيا ؟ قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك ، قال : قلت : أجل والله ، وقال ^(٣) : وعرفت أنه نبي مرسل ، يعلم ما يُجهل ، ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ^(٤) ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ^(٥) ، لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وإيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم ^(٦) ، قال : فأسلمت .

(١) أى إلى بيته .

(٢) لما رآه من تواضع الرسول ﷺ الشديد للمرأة وسماعه لها وحل مشكلتها .

(٣) أى عدى بن حاتم .

(٤) أى فقر المسلمين وقلة عددهم .

(٥) أى الكعبة المشرفة .

(٦) وكل ما قاله الرسول ﷺ وتنبأ به هو من أعلام النبوة وقد حدث بالفعل أثناء

الفتوحات الإسلامية .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان ^(١) وبقيت الثالثة ، ووالله لتكونن ^(٢) ،
 قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من
 القادسية على بغيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت وايم الله لتكون الثالثة ليفيض المال
 حتى لا يوجد من يأخذه ^(٣) .

* * *

قُدُومُ فَرَوَةَ بْنِ مُسِيكٍ الْمُرَادِي

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ مفارقاً
 للملوك كندة ، ومباعداً لهم إلى رسول الله ﷺ .

• يوم الردم :

وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة ، أصابت فيها همدان من مراد
 ما أرادوا ، حتى أثنوهم في يوم كان يقال له : يوم الردم ، فكان الذي قاد همدان
 إلى مراد : الأجدع بن مالك في ذلك اليوم .

قال ابن إسحاق : وفي ذلك اليوم يقول فروة بن مسيك :

مَرَرْنَا عَلَى لُفَاةٍ وَهَنٌ خُوصٌ	يُنَازِعُنُ الْأَعِنَّةَ يَنْتَحِينَا ^(٤)
فَإِنْ نَغْلِبْ فَعَلَابُونَ قَدَمَا	وَإِنْ نَغْلِبْ فَغَيْرُ مَغْلِبِينَا ^(٥)
وَمَا إِنْ طَبْنَا جَبْنَ وَلَكِنْ	مَنَايَانَا وَطُعْمَةٌ آخِرِينَا ^(٦)
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ	تَكَرَّرُ صُرُوفُهُ حِينَا فَحِينَا
فَبَيْنَا مَا نَسْرُ بِهِ وَنَرْضَى	وَلَوْ لَبَسَتْ غَضَارَتُهُ سَنِينَا

(١) أي مما أخبر وتنبأ به الرسول ﷺ .

(٢) وهذا دليل يقينه وتأكده من وعد الرسول بما سيحدث لأنه وحى ووعد من الله .

(٣) حدث هذا في عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز .

(٤) لفاة : موضع . خوص : غائرات العيون .

(٥) معنى البيت : إن نغلب الناس فهذا من طبيعتنا وما تعودنا عليه منذ القدم . أما

وقد انهزمنا مرة قلن تتكرر .

(٦) طبنا : شأننا وعاداتنا .

إِذْ انْقَلَبْتُ بِهِ كَرَّاتٍ دَهْرٍ فَالْفَيْتِ الْأُلَى غَبَطُوا طَحِينَا
فَمَنْ يَغْبِطُ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مِنْهُمْ يَجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ خَثُونَا
فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذْنَ خَلَدْنَا وَكَوْ بَقَى الْكَرَامِ إِذْنَ بَقِينَا
فَأَفْنَى ذَلِكُمْ سَرَوَاتٍ قَوْمِي كَمَا أَفْنَى الْقُرُونِ الْأَوَّلِينَا

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مسيك إلى رسول الله ﷺ مفارقاً للملوك كندة ، قال :

لما رأيتُ ملوك كندة أَعْرَضْتُ كالرجل حَانَ الرجل عِرْقَ نَسَائِهَا (١)
قَرَبْتُ رَاحِلَتِي أَوْمَ مُحَمَّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال له رسول الله ﷺ ، فيما بلغني : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم ؟ قال : يا رسول الله ، من ذا يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الردم لا يسوءه ذلك ! فقال رسول الله ﷺ له : أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً .

واستعمله النبي ﷺ على مراد وزيد ومذحج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ .

* * *

قُدُومُ عَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ فِي أَنْاسٍ مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد فأسلم وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبي ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول : فإنه لن يخفى عليك . وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه ، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على

(١) النساء : عرق يمتد من الورك إلى الكعب ، مده لضرورة الشعر والأصح أنه لا يقال عرق النساء لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه على مذهب البصريين وإن جوره الكوفيون .

رسول الله ﷺ ، فأسلم ، وصدقه وآمن وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرًا ، وتحطم عليه ^(١) ، وقال : خالفني وترك رأبي فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك :

أمرتكَ يوم ذى صنعا	ءَ أمرًا بـأديا رَشَدُهُ
أمرتكَ باتقَاءِ الله	والمعـروف تَتَّعِبُهُ
خَرَجْتَ مِنَ المني مثل	الحميرِ غَرَّةً وَتَدُهُ
تَمَنَّا نأى على فَرَسٍ	عَلَيْهِ جَالِسًا أَسَدُهُ
على مُفَاضة كَالنَّهْـ	ي أَخْلَصَ مَاءَهُ جُدَدُهُ ^(٢)
تَرَدَّ الرمح مُثْنَى السـ	نَّانِ عَوَائِرَا قَصَدُهُ ^(٣)
فَلَوْ لَأَقَيْتَنِي لِلْقِيـ	تُ لَيْثًا فَوْقَهُ لَبَدُهُ ^(٤)
تَلَاقَى شَنْبَا شَنْبَا الـ	بِرَائِنِ نَاشِرًا كَتَدُهُ ^(٥)
يُسَامَى القَرْنِ إِنْ قَرْنِ	تَيْمَمُهُ فَيَعْتَصِدُهُ ^(٦)
فَيَأْخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ	فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ ^(٧)
فَيَدْمَغُهُ فَيَحْطِمُهُ	فَيَخْضِمُهُ فَيَزْدُرِدُهُ ^(٨)
ظَلُومِ الشَّرْكِ فِيمَا أَحـ	رَزَتْ أَنْيَابَهُ وَيَدُهُ

(١) تحطم عليه : اشتد عليه .

(٢) مفاضة : أى درع مفاضة وهى الواسعة ، النهى : غدير الماء ، الجدد : الأرض

الصلبة .

(٣) عوائر : متطايرة ، القصد : القطع المتطاير من الرمح .

(٤) اللبد : الشعر الذى على أكتاف وراءوس الأسود ، المفرد لبدة .

(٥) الشنبث : الذى لا يزايل خصمه . الشثن : غليظ الأصابع . البرائن : مخالب

الأسد . ناشز : مرتفع . الكتد : ما بين الكتفين .

(٦) يعتصده . يضعه تحت عضده فيصرعه .

(٧) يقتصده : يصرعه .

(٨) يدمغه : يشج رأسه حتى يصل الجرح إلى أم دماغه ، يحطمه : يكسره .

يخضمه : يأكله . يزدرده : يبتلعه .

ارتداد عمرو بعد موت الرسول : قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زبيد وعليهم فروة بن مسيك ، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معديكرب وقال حين ارتد :

وجدنا ملك فروة شراً ملك حماراً ساف منخره بثفر^(١)
وكنت إذا رأيت با عمير ترى الحولاء من خبث وغدر^(٢)
* * *

قُدُومُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ فِي وَفْدِ كِنْدَةَ • إِسْلَامُ وَفْدِ كِنْدَةَ :

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس ، في وفد كندة فحدثني الزهري بن شهاب أنه قدم على رسول الله ﷺ في ثمانين راكباً من كندة فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده ، وقد رجلوا^(٣) جملهم^(٤) وتكحلوا وعليهم جيب الخبرة ، وقد كففوها^(٥) بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بال هذا الحرير في أعناقكم ، قال : فشقوه منها ، فألقوه^(٦) .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله ، نحن بنو أكل المرار ، وأنت ابن أكل المرار ، قال فتبسم رسول الله ﷺ وقال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعه بن الحارث ، وكان العباس وربيعه رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب ، فسئلا من هما ، قالوا : نحن بنو أكل المرار ، يتعززان بذلك ،

(١) ساف : شم . الثفر للبهائم كالرحم للنساء .

(٢) الحولاء : ما يخرج من الأخلاط مع الولد ساعة الولادة ، يشبه من يهجو أنه في الخبث والقذارة مثل الحولاء .

(٣) رجلوا : مشطوا .

(٤) جملهم : الجسم جمع جمّة وهي مجتمع شعر مقدم الرأس .

(٥) كففوا : طرزوا حروفها .

(٦) وهذا منتهى الطاعة للرسول ﷺ لأنه نهى عن لبس الحرير والذهب للرجال فقال

ﷺ عنهما « حرام على رجال أمتي حل لنسائهم » .

وذلك أن كندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفوا ^(١) أمنا ، ولا ننتفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها ^(٢) إلا ضربته ثمانين .

* * *

قُدُومُ صَرْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ مُسْلِمًا

وقدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي ، فأسلم ، وحسن إسلامه في وفد من الأزد ، فأمره ^(٣) رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه . وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل ^(٤) اليمن .

قتاله أهل جرش : فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ ، حتى نزل بجرش ، وهى يومئذ مدينة معلقة ^(٥) ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضوت ^(٦) إليهم خثعم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ثم رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ، ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزما ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف ^(٧) عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا .

إخبار الرسول بما حدث : وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله ﷺ : بأى بلاد الله شكر ؟ فقام إليه الجرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له شكر ؛ وكذلك يسميه أهل جرش ، فقال : إنه ليس بكشر ، ولكنه شكر ؛ قالوا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال ^(٨) : إن بدن الله

(١) لا نقفوا أمنا : الاقتفاء والقفو : هو اتباع الشيء ، ومنه يقتفى أثره : أى يتبع طريقه ، ونهجه ، وهنا يريد : لا نتبع نسب أمنا .

(٢) أى يفتخر بقول : نحن بنو آكل المزار .

(٣) أى جعله قائداً لهم . (٤) أى ناحية اليمن .

(٥) أى أنهم معزولون فى مكان بعيد عن الناس ، ولا أحد بجوارهم .

(٦) ضوت : لجأت . (٧) أى ضغط وهجم عليهم .

(٨) وهذا من إخبار الله نبيه بما حدث هناك على حدود اليمن والنبي بالمدينة فسبحان من أعلمه بذلك .

— ابن إسحاق — ٣٣١ —

لنحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما :
ويحكمما ! إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما فقوموا إلى رسول الله ﷺ
فأسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ، فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهم
ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما
قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله ، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ
ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر .

• إسلام أهل جرش :

وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ، وحمى لهم
حمى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، وبقرة الحارث
فمن رعاه من الناس فمالهم سحت ، فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد ، وكانت
خثعم تصيب من الأزد في الجاهلية ، وكانوا يعدون في الشهر الحرام :

يَا غَزْوَةً مَا غَزَوْنَا غَيْرَ خَائِبَةٍ فِيهَا الْبَغَالُ وَفِيهَا الْخَيْلُ وَالْحُمْرُ
حَتَّى أَتَيْنَا حُمَيْرًا فِي مَصَانِعِهَا وَجَمَعَ خَثْعَمٌ قَدْ شَاعَتْ لَهَا النَّذْرُ (١)
إِذَا وَضَعْتَ غَلِيلاً كُنْتُ أَحْمَلُهُ فَمَا أَبَالِي أَدَانُوا بَعْدُ أَمْ كَفَرُوا (٢)

* * *

• قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم •

وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير ، مقدمه من تبوك ، ورسولهم
إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل (٣) ذى
رعين ومعاقر وهمدان ، وبعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم ،
ومفارقتهم الشرك وأهله .

• كتاب الرسول إليهم :

فكتب إليهم رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله ، إلى الحارث بن

(١) المصانع : القرى .

(٢) الغليل : حرارة الجوف من عطش ونحوه .

(٣) قيل : هم الملوك الصغار بعد الملك الأكبر - أى نواب الملك الأكبر ومساعدوه .

عبد كلال ، وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى النعمان ، قيل ذى رعين ومعاقر وهمدان . أما بعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغنم خمس الله ، وسهم الرسول وصفيه ^(١) ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار ^(٢) ، عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب ^(٣) نصف العشر ، وأن فى الإبل الأربعين ابنة لبون ، وفى ثلاثين من الإبل شاتان ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة . وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل حال ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف ، من قيمة المعافر ^(٤) أو عوضه ثيابا ، أدى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإنه له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله .

أما بعد ، فإن رسول الله محمدًا النبى أرسل إلى زُرعة ذى يزن أن إذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيراً : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عباد ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم ، وأبلغوها رسلى ، وأن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا ينقلبن إلا راضيا .

(١) أصل الصفى : ما يصطفيه القائد من الغنيمة قبل القسمة .

(٢) العقار : الأرض .

(٣) الغرب : الدلو .

(٤) المعافر : نوع من ثياب اليمن .

أما بعد . فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك ابن مرة الرهاوى قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين فأبشر بخير وأمرك بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإن رسول الله هو ولي غنيكم وفقيركم ، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل . وأن مالكا قد بلغ الخير ، وحفظ الغيب ، وأمركم به خيراً ، وإنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وأمركم بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول مُعَاذًا حين بعثه إلى اليمن : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله ابن أبى بكر أنه حدث : أن رسول الله ﷺ حين بعث مُعَاذًا ، أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : يَسِّرْ ولا تعسر وبشِّرْ ولا تنفر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب ، يستلونك ما مفتاح الجنة ، فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال : فخرج مُعَاذٌ ، حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله ﷺ ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : يا صاحب رسول الله : ما حق زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحك ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدى حق زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله ﷺ إنك لتعلم ما حق الزوج على المرأة قال : ويحك ؟ ولو رجعت فوجدته تنشب (١) منخراه قيحاً ودماً ، فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أديت حقه .

* * *

إِسْلَامُ فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو الْجُدَامَى

قال ابن إسحاق : وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجُدَامَى ، ثم النفائى ، إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء ، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام .

(١) تنشب : تسيل .

• حبس الروم له وشعره ومقتله :

فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال في محبسه ذلك :

طَرَقْتُ سُلَيْمَى مُوهِنًا أَصْحَابِي	والرومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقُرْوَانِ (١)
صَدَّ الْحَيَالُ وَسَاءَ مَا قَدْ رَأَى	وَهَمَمْتُ أَنْ أَغْفَى وَقَدْ أَبْكَانِي
لَا تَكْحَلَنَّ الْعَيْنَ بَعْدَى إِثْمَدًا	سَلَمَى وَلَا تَدِينَنَّ لِلْإِتْيَانِ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَبَا كُبَيْشَةَ أَنَّنِي	وَسَطَ الْأَعْزَةَ وَلَا يَحْصُ لِسَانِي (٢)
فَلَنْ هَلَكْتُ لَتَفْقِدَنَّ أَحَاكِمَ	وَلَنْ بَقِيتُ لَتَعْرِفَنَّ مَكَانِي
وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَتَى	مِنْ جُودَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانِ

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عَفْرَاءُ بِفِلَسْطِينَ ، قال :
ألا هل أتى سلمى بأن حليها على ماء عَفْرَاءَ فَوْقَ إِحْدَى الرُّوَاهِلِ
على ناقة لم يضرب الفحل أمها مشدبة أطرافها بالمنجل

* * *

إِسْلَامُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عَلَى يَدَيِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لَمَّا سَارَ إِلَيْهِمْ

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن

(١) الموهن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه . قروان مثل صفوان : حويض من خشب تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب وفي المثل ما فيها لاعي . قرو : أى لاقق قرو .
(٢) لا يحص : لا يقطع .

— ابن إسحاق — ٣٣٥ —

يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون أيها الناس ، أسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد : إلى رسول الله ﷺ ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : يا رسول الله ﷺ ، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمرني رسول الله ﷺ ، وبعثت فيهم ركباناً قالوا : يا بني الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم ، أمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إلى رسول الله ﷺ ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي رسول الله ، إلى خالد بن الوليد سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .
أما بعد :

فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

• قدوم خالد مع وفدهم على الرسول :

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ ، وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب ،

منهم قيس بن الحصين ذى الغصّة ^(١) ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد الزيدى ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبابي فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسول الله ﷺ : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : أنتم الذين إذا زجروا استقدموا : فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المدان : نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا ، قالها أربع مرار ^(٢) ، فقال رسول الله ﷺ : لو أن خالداً لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا ، لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم ، فقال يزيد ابن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً ، قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ، قال : صدقتم . ثم قال رسول الله ﷺ : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً ، قال : بل ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : كنا نغلب من قاتلنا ، يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفترق ، ولا نبداً أحداً بظلم ، قال : صدقتم ، وأمر رسول الله ﷺ على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بنى الحارث إلى قومهم فى بقية من شوال ، أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمشوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفى رسول الله ﷺ ، ورحم ، وبارك ، ورضى وأنعم .

الرسول يبعث عمرو بن حزم بعهد إليهم : وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ، ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره :

(١) ذو الغصّة : سمي بذلك لغصّة فى حلقه لا يكاد يبين منها ، واسمه الحسين بن يزيد بن شداد الحارثي . ذكره عمر بن الخطاب يوماً فقال : لا تزد امرأة فى صداقتها عن كذا وكذا ولو كانت بنت ذى الغصّة . (٢) جمع مرة أى مرات .

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا بيان من الله ورسوله ، يأيتها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس . فلا يمس القرآن إنساناً إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم ، والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ، ويشدد عليهم في الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العمرة ، وينهى الناس أن يصلى أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً يثنى طرفيه على عاتقيه وينهى الناس أن يحتبى أحد في ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوهرهم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة ، لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ويغسل بالصباح ، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله : وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل عشرين أربع شياه وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبع ، جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة . فمن زاد خيراً فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام . فإنه من المؤمنين ، له مثل مالهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها ، وعلى كل حال :

ذكر أو أنثى ، حرٌّ أو عبد ، دينار واف أو عوضه ثياباً فمن أدى ذلك ، فإن له ذمة الله ورسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

* * *

قُدُومُ رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدِ الْجُدَامِيِّ

• إِسْلَامُهُ وَكُتَابُ الرَّسُولِ إِلَى قَوْمِهِ :

وقدم على رسول الله ﷺ في هدنة الحديبية ، قبل خيبر ، رفاعه بن زيد الجُدَامِي ثم الضبيبي ، فأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً ، وأسلم ، فحسن إسلامه وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه . وفي كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد ، إنني بعثته إلى قومه عامة . ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله . فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين . فلما قدم رفاعه على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة : حرة الرجلاء ، ونزلوها (١) .

* * *

ذِكْرُ الْكَذَّابِينَ ؛ مُسَيْلَمَةَ الْحَنْفِي وَالْأَسْوَدَ الْعَنْسِي :

قال ابن إسحاق : وقد كان تكلم في عهد رسول الله ﷺ الكذابان مسيلمة ابن حبيب باليمامة (٢) في بنى حنيفة ، والأسود بن كعب العنسي بصنعاء .

(١) قال ابن هشام : وقدم بعد ذلك وفد همدان منهم : مالك بن نط ، وأبو ثور ، وهو ذو المشعار ، ومالك بن أبيقع وضمام بن مالك السلماني ، وعميرة بن مالك الخارفي ، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه - أي عند رجوعه - من تبوك فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً على أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأكلون علافها ويرعون عافيتها ، ولهم بذلك عهد الله وذمة رسوله ، وشهد المهاجرون والأنصار .

(٢) أخبر عنه النبي ﷺ وأشار إلى المشرق قائلاً : « من هنا يخرج قرن الشيطان » ونصر الله المسلمين في غزوة اليمامة في عهد الصديق أبي بكر رضي الله عنه - وقتلوا مسيلمة الذي ادعى النبوة وقتله وحشى الذي قتل قبل إسلامه سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ ، وقال وحشى عن حربته . قتلت بها خير الناس (يقصد حمزة) وقتلت بها شر الناس (يقصد مسيلمة) .

• رُؤْيَا الرَّسُولِ ﷺ فِيهِمَا :

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد عن عبد الله بن قسيط . عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول : أيها الناس ، إني قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا : فأولتهما هذين الكذابين . صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

• حديث الرسول عن الدجالين :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً ، كلهم يدعى النبوة .

* * *

خُرُوجُ الْأُمَرَاءِ وَالْعُمَمَالِ عَلَى الصَّدَقَاتِ

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات . إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ، فبعث المهاجر بن أبي أمية ابن المغيرة إلى صنعاء .

فخرج عليه العنسي وهو بها . وبعث زياد بن ليث أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت وعلى صدقاتها وبعث عدي بن حاتم على طيء وصدقاتها . وعلى بني أسد ، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة وقرى صدقة بني سعد على رجلين منهم . فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها . وقيس بن عاصم على ناحية وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعث على بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران . ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيته .

* * *

كِتَابُ مُسَيْلَمَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَالْجَوَابُ عَنْهُ

وقد كَانَ مُسَيْلَمَةُ بن حبيب ، قد كتب إلى رسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ، أما بعد ، فإني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقریش نصف الأرض ، ولكن قریشا قوم يعتدون .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثني شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه « فما تقولان أنتما ؟ » قالا : نقول : كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما ^(١) .

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى ؛ أما بعد : فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك في آخر سنة عشر .

* * *

حَجَّةُ الْوَدَاعِ

تَجَهَّزُ الرُّسُولُ : قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة ^(٢) .

حكم الحائض في الحج : قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة . قالت : لا يذكر الناس إلا الحج ، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهدى ، وأشرف من أشرف الناس ، أمر الناس أن يحلوا بعمره إلا من ساق الهدى ، قالت : وحضت ذلك اليوم . فدخل على وأنا أبكى ، فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نفست ؟ قالت . قلت : نعم . والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي في هذا

(١) وهنا يتبين احترام الرسول ﷺ للعهود والمواثيق الدولية حتى مع الكفار الذين يختلفون معه في العقيدة ، ويبلغونه رسالة من كافر لكنه أحسن إليهم ولم يقتلهم .

(٢) واستعمل النبي ﷺ على المدينة أبا دجاجة الساعدي .

— ابن إسحاق ٣٤١ —

السفر ، فقال : لا تقولن ذلك . فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله ﷺ بمكة ، فحل كل من كان لا هدى معه وحل نساؤه بعمره ، فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير فطرح في بيتي ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر حتى إذا كانت ليلة الحصة بعث بي رسول الله ﷺ مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التنعيم ، مكان عمرتى التى فاتتنى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر عن حفصة بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله ﷺ نساءه أن يحللن بعمره . قلنا : فما يمنعك يا رسول الله إن تحل معنا ؟ فقال : إني أهديت ولبدت^(١) فلا أحل حتى أنحر هدى .

* * *

مُؤَافَاةٌ عَلَى رُؤُوسِهِ فِي قَفُولِهِ مِنَ الْيَمَنِ

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن رسول الله ﷺ كان بعث عليا رضي الله عنه إلى نجران ، فلقيه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى الله عنها ، فوجدها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحل بعمره فحللنا ، ثم أتى رسول الله ﷺ فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسول الله ، : انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل أصحابك ، قال : يا رسول الله ، إني أهلت كما أهلت ، فقال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك ، قال : يا رسول الله ، إني قلت حين أحرمت : اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد ﷺ قال : فهل معك من هدى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله ﷺ فى هديه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله ﷺ الهدى عنهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، قال : لما أقبل على رضي الله عنه من اليمن ليلقى

(١) لبد شعره الزقه بشيء لزوج كصمغ ونحوه حتى لا يتساقط شيء فيكون عليه قذية .

— ٣٤٢ — ابن إسحاق —

رسول الله ﷺ بمكة ، تعجل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جنده الذين معه رجل من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذى كان مع على ؓ ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحُلل ، قال : ويلك ما هذا ؟!

قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا فى الناس ، قال : ويلك ! انزع قبل أن تنتهى به إلى رسول الله ﷺ قال : فانتزع الحلل من الناس ، فردها فى البز ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن حزم بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب ، وكانت عند أبى سعيد الخدرى ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : اشتكى الناس علياً رضوان الله عليه ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً ، فسمعتة يقول : أيها الناس ، لا تشكوا علياً ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يُشكى .

خطبة الوداع : قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله ﷺ على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التى بين فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألکم عن أعمالکم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل رباً موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعاً فى بنى ليث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النسيء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمنه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرمنوا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم

— ٣٤٣ — ابن إسحاق

خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر^(١) ، الذى بين جمادى وشعبان .

أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نساءكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح^(٢) . فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً . فإنهن عندكم عوان^(٣) لا يملكن لأنفسهن شيئا وأنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله . واستحللتم فروجهن بكلمات الله . فاعقلوا أيها الناس قولى . فإنى قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً . أمرا بينا . كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس : اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم . وأن المسلمين إخوة . فلا يحل لامرء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم . اللهم هل بلغت ؟

فذكر لى الناس قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد .

• اسم الصَّارِخ بتبليغ ما يقوله رسول الله ﷺ :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير . عن أبيه عباد قال كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف قال : يقول له رسول الله ﷺ : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم . فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول له قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا . ثم يقول : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله ، يقول : هل

(١) رجب مضر ، إما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم شهر رمضان ، وتسميه : رجباً من رجبت الرجل ورجبته إذا عظمت ، ورجبت النخلة إذا دعمتها ، فبين عليه السلام أنه رجب مضر لا رجب ربيعة ، وأنه الذى بين جمادى وشعبان .

(٢) غير مبرح : غير شديد .

(٣) عوان : أسيرات ، المفرد : عانية .

تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به . قال : فيقولون البلد الحرام ، قال : فيقول قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا .

قال : ثم يقول : قل : يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم . فيقولون يوم الحج الأكبر ، قال فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .

قال ابن إسحاق : حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري ، عن عمرو بن خارجة قال : بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ في حاجة ، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ وإن لغامها ليقع على رأسي ، فسمعتة وهو يقول : أيها الناس إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراس وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه . أو تولى غير مواله ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

تعاليم الرسول عليه السلام للحاج : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيع : أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل (١) الذي هو عليه ، وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قزح (٢) صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال هذا المنحر ، وكل منى منحر ، ففضى رسول الله ﷺ وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله

(١) وهو جبل عرفة وقال ﷺ : « الحج عرفة » لأن يوم عرفة خير يوم طلعت فيه الشمس ، وفيه ينهزم الشيطان وأكبر خسارة فادحة لإبليس اللعين لما يرى من مغفرة الله للمؤمنين والحاجين وغير الحاجين ، وذلك أن الحاج إذا قبل الله حجه وكان مبرورا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ورجع من حجه كيوم ولدته أمه هذا للحاج ، أما غير الحاج ومن لم يستطع فقد شرع له النبي ﷺ صوم يوم عرفة وذلك لعظم فضل هذا اليوم ، وتعويضا من الله لعباده غير القادرين على الحج لتقارب مرتبتهم مرتبة الحاج فقال ﷺ عن صوم يوم عرفة : « يكفر - يغفر - سنة ماضية » ، وفي رواية « يكفر سنة ماضية وسنة باقية » وذلك بشرط عدم فعل الكبائر .

(٢) قزح : جبل بالمزدلفة .

عليهم من حجهم : من الموقف ، ورمى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وما حرم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها .

* * *

بَعَثَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى أَرْضِ فَلَسْطِينَ

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسول الله ﷺ ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم ^(١) البلقاء . والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب ^(٢) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

• أسماء الرسل ومن أرسل إليهم :

فبعث رسول الله ﷺ رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دحية بن خليفة الكلبي ^(٣) إلى قيصر ملك الروم ، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياد ابني الجلندي الأزديين ملكي عمان ، وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر ابن ساوى العبدى ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم بالشام .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري : أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه . وفيه : أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمة وكافة .

(١) تخوم : أى حدود .

(٢) أوعب : اجتمع .

(٣) وهو الذى كان سيدنا جبريل عليه السلام ينزل فى صورته .

فأدوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قرب به فأحب وسلم وأما من بعد به فكره وأبى . فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله . فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذي وجه إليهم .

• أَسْمَاءُ رُسُلِ عِيسَى :

قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى ابن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع الذين كانوا بعدهم في الأرض ، بطرس الحواري . ومعه بولس ، وكان بولس من الأتباع ^(١) . ولم يكن من الحواريين إلى روميه واندرائس ومتمي إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس ، وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفيلبس إلى أرض قرطاجنة ، وهي إفريقية ، ويحنس إلى أفسوس قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أورشليم وهي إيلياء قرية بيت المقدس ، وابن ثلماء إلى الأعرابية وهي أرض الحجاز ، وسيمن إلى أرض البربر ، ويهوذا ولم يكن من الحواريين جعل مكان يودس .

* * *

ذِكْرُ جُمْلَةِ الْغَزَوَاتِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال ابن إسحاق : وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعة وعشرين غزوة منها ، غزوة ودان ، وهي غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رَضَوَى ^(٢) ، ثم غزوة العشيرة ، من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كرز ابن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التي قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بني سليم ، حتى بلغ الكدر ، ثم غزوة السويق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان ، وهي غزوة ذي أمر ، ثم غزوة بحران ، معدن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ،

(١) الحواريين أكثر صحبة من الأتباع .

(٢) رَضَوَى : اسم جبل بالمدينة .

ثم غزوة بنى لحيان ، من هذيل ، ثم غزوة ذى قرد ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالا ، فصدّه المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك . قاتل منها فى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخبير ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

* * *

ذَكَرُ جُمْلَةِ السَّرَايَا وَالْبُعُوثِ

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانياً وثلاثين ، من بين بعث وسرية : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذى المروة ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية العيص ، وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة ، وغزوة سعد بن أبى وقاص الخرار ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القردة ، وغزوة محمد بن مسلمة : كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبى مرثد الغنوى الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبى عبيدة بن الجراح ذا الغصّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بنى عامر ، وغزو على بن أبى طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي ، كلب ليث ، الكديد ، فأصاب بنى الملوّح .

* * *

غَزْوَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ بْنِ الْمَلُوحِ • شَأْنُ ابْنِ الْبَرِّصَاءِ :

وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى عن مسلم بن عبد الله بن حبيب الجهنى ، عن جندب بن مكيث الجهنى ، قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي ، كلب بن عوف بن ليث ، فى سرية كنت فيها ، وأمره أن يشن الغارة على بنى الملوّح ، وهم بالكديد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثي ، فأخذناه ، فقال : إني جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله ﷺ فقلنا له : إن تك مسلماً فلن يضيرك رباط ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ،

فشددناه رباطاً ، ثم خلفنا عليه رجلاً من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازك (١) فاحتر رأسه .

• بلاء ابن مكيث في هذه الغزوة :

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكننا في ناحية الوادي ، وبعثنى أصحابي ربيثة (٢) لهم ، فخرجت حتى أتى تلا مشرقاً على الحاضر (٣) ، فأسندت فيه (٤) ، فعلوت على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إني لمنبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في أول يومى ، فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئاً ، لا تكون الكلاب جرت بعضها ، قال : فنظرت ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئاً ، فقال : فناوليني قوسى وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهماً ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزعه ، فأضعه ، وثبت مكانى قال ثم أرسل الآخر فوضعه فى منكبى فأنزعه فأضعه وثبت مكانى فقال لامرأته : لو كان ربيثة لقد خالطه سهمى لا أبالك ، إذا أصبحت فابتغيهما ، فخذيهما ، لا يعضغهما على الكلاب قال : ثم دخل .

• نجاة المسلمين بالنعم :

قال : وأمهلناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان فى وجه السحر ، شطنا عليهم الغارة ، قال فقتلنا ، واستقنا النعم ، وخرج صريخ القوم (٥) فجاءنا دهم (٦) لا قبل لنا به ، ومضينا بالنعم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ، قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد ، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر ، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوق نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ، ونحن نحدوها سراعاً ، حتى فتناهم ، فلم يقدروا على طلبنا .

قال : فقدمنا بها على رسول الله ﷺ .

(١) عازك : غالبك . (٢) الربيثة : الطليعة التى تتجسس الأخبار .

(٣) الحاضر : الجماعة الذين ينزلون على الماء .

(٤) أسندت : ارتفعت . (٥) أى مستغيثهم .

(٦) الدهم : الجماعة الكثيرة .

— ابن إسحاق — ٣٤٩ —

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من أسلم ، عن رجل منهم : أن شعار أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك الليلة : أمت أمت . فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها :

أَبَى أَبُو الْقَاسِمِ أَنْ تَعَزِّيَ فِي خَضَلٍ نَبَاتِهِ مُغْلُولٍ ^(١)
صَفَرٍ أَعَالِيهِ كَلُونِ الْمَذْهَبِ

ثم خبر الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفاصيل السرايا والبعوث .

تعريف ببعض الغزوات : قال ابن إسحاق : وغزوة على بن أبي طالب رضي الله عنه بنى عبد الله بن سعد من أهل فدك ، وغزوة أبي العوجاء السلمي أرض بنى سليم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عكاشة بن محصن الغمرة ، وغزوة أبي سلمة بن عبد الأسد قطنا ، ماء من مياه بنى أسد ، من ناحية نجد ، قتل بها مسعود ابن عروة ، وغزوة محمد بن مسلمة ، أخى بنى حارثة ، القرطاء من هوازن ، وغزوة بشير بن سعد بن مرة بفدك ، وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجـموم من أرض بنى سليم ، وغزوة زيد بن حارثة جذام ، من أرض خُشين .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام : قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثني من لا أتهم عن رجال من جذام كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجذامي ، لما قدم على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله ﷺ إليه ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بواد من أوديتهم يقال له شتار ، أغار على دحية بن خليفة الهنيد بن عوص ، وابنه عوص بن الهنيد الضليعيان . والضليع : بطن من جذام ، فأصابا كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوما من الضبيي ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بنى الضبيي النعمان بن أبي جعال ، حتى لقوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قرة بن أشقر الضفاوى ثم الضليعي ، فقال : أنا ابن لُبْنَى ، ورمى النعمان بن أبي جعال بسهم ، فأصاب ركبته ، فقال حين أصابه : خذها وأنا ابن لُبْنَى ،

(١) تعزى : تغيبى فى المرعى . الخضل : الأخضر المبتل . المغلولب : الكثير .

— ٣٥٠ — ابن إسحاق —

وكانت له أم تدعى لُبْنَى ، وقد كان حسان بن ملة الضبينى قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك ، فعلمه أم الكتاب .

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جذام ، قال : فاستنقذوا ما كان فى يد الهنيد وابنه ، فردوه على دحية ، فخرج دحية ، حتى قدم على رسول الله ﷺ ، فأخبره خبره ، واستسقاء دم الهنيد وابنه ، فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذى هاج غزوة زيد جذام ، وبعث معه جيشا ، وقد وجهت غطفان من جذام ووائل ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله ﷺ ، حتى نزلوا الحرة ، حرة الرجلاء ، ورفاعة بن زيد بكراع ربة لم يعلم ومعه ناس من بنى الضبيب ، وسائر بنى الضبيب بوادى مدان ، من ناحية الحرة ، مما يسيل مشرقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقص من قبل الحرة ، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بنى الأحنف .

قال ابن إسحاق فى حديثه : ورجلا من بنى الخصيب ، فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفيفاء مدان ركب نفر منهم ، وكان فيمن ركب معهم حسان ابن ملة ، على فرس لسويد بن زيد ، يقال لها العجاجة ، وأنيف بن ملة على فرس مللة يقال لها : رغال . وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها شمر ، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسان لأنيف بن ملة : كف عنا وانصرف ، فإننا نخشى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثب ، فقال : لأنا أضن بالرجلين منك بالفرسين ، فأرخى لها ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذ فعلت ما فعلت فكف عنا لسانك ، ولا تشأنا اليوم ، فتواصوا أن لا يتكلم منهم إلا حسان بن ملة ، وكانت بينهم كلمة فى الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بورى أو ثورى ، فلما برزوا على الجيش ، أقبل القوم يتدرونهم فقال لهم حسان : إنا قوم مسلمون ، وكان أول من لقيهم رجلا على فرس أدهم ، فأقبل يسوقهم فقال أنيف : بورى ، فقال حسان : مهلا . فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد فاقرأوا أم الكتاب ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة :

نادوا فى الجيش إن الله قد حرم علينا ثغرة ^(١) القوم التى جاءوا منها إلا من ختر ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حسان بن ملة ، وهى امرأة أبى وبر بن عدى بن أمية بن الضبيب فى الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخذت بحقوقه ^(٣) فقالت أم الفزر الضلعية . أتنتلقون بيناتكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بنى الخصيب : إنها بنو الضبيب وسحر ألسنتهم سائر اليوم ، فسمعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، ففكت يداها من حقوقه ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فىكن حكمه ، فرجعوا ، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمسوا فى أهلهم واستعموا ذودا ^(٤) لسويد بن زيد ، فلما شربوا عمتهم ^(٥) ركبوا إلى رفاعه بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعه بن زيد تلك الليلة : أبو زيد بن عمرو ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعجة بن زيد ، وبرذع بن زيد ، وثعلبة بن زيد ، ومخربة بن عدى ، وأنيف بن ملة ، وحسان بن ملة ، حتى صبحوا سحرا رفاعه بن زيد بكراع ربة ، بظهر الحرة ، على بئر هنالك من حرة ليلى فقال له حسان بن ملة : إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به ، فدعا رفاعه بن زيد يحمل له ، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول :

هَلْ أَنْتَ حَىٰ أَوْ تُنَادَىٰ حَيًّا

ثم غدا وهم معه بأمية بن صفارة أخى الخصبى المقتول ، مبكرين من ظهر الحرة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تنيخوا إيلكم ، فتقطع أيديهن ، فنزلوا عنهن وهن قيام ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ورأهم ألح ^(٦) إليهم بيده : أن تعالوا من وراء الناس ، فلما استفتح رفاعه بن زيد المنطق ، قام رجل من

(١) الثغرة : ما يحمونه من جانبهم .

(٢) ختر : نقض العهد . (٣) حقوقه : خصريه .

(٤) استعموا : انتظروا إلى العتمة . الذود : جماعة الإبل ما بين الثلاثة إلى

العشرة .

(٥) عمتهم : لبنهم الذى يشربونه فى العتمة . (٦) ألح : أشار .

الناس فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء قوم سحرة فرددها مرتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يحذنا ^(١) فى يومه هذا إلا خيراً . ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله ﷺ الذى كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قديماً كتابه ، حديثاً غدرة ، فقال رسول الله ﷺ : اقرأه يا غلام ، وأعلن ، فلما قرأ كتابه استخبره ، فأخبروهم الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : كيف أصنع بالقتلى ؟ - ثلاث مرات - فقال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلم ، لا نحرم عليك حلالاً ، ولا نحلل لك حراماً . فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً ، ومن قتل فهو تحت قدمى هذه ، فقال له رسول الله ﷺ : صدق أبو زيد اركب معهم يا على ، فقال له على رضوان الله : إن زيدا لن يطيعنى يا رسول الله ، قال : فخذ سيفى هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال على : ليس لى يا رسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو يقال له مكحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وبر يقال لها : الشعر ، فأنزلوه عنها . فقال : يا على ، ما شأنى ؟ فقال : مالهم عرفوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقوا الجيش بفيفاء الفحلين ، فأخذوا ما فى أيديهم ، حتى كان ينزعون لبيد المرأة من تحت الرحل ، فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم :

وعاذلة ولم تعذل بطب	ولولا نحن حش بها السعير ^(٢)
تدافع فى الأسارى بابتئها	ولا يرجى لها عتق يسير
ولو وكلت إلى عوص وأوس	لحار بها عن العتق الأمور ^(٣)
ولو شهدت ركائبنا بمضر	تحاذر أن يعمل بها المسير ^(٤)
وردنا ماء يشرب عن حفاظ	لربع إنه قرب ضرير ^(٥)
بكل مجرب كالسيد نهذ	على اقتاد ناجية صبور ^(٦)

(١) لم يحذنا : لم يعطنا . (٢) بطب : برفق .

(٣) حار : رجع . (٤) يعمل : يكرر .

(٥) الربع : ورود الإبل إلى الماء للأربعة أيام . القرب : السير فى طلب الماء ، ضرير :

مضر .

(٦) السيد : الذئب . النهذ : الغليظ . اقتاد : أدوات الرحل . الناجية : أى ناقة

صبور .

— ابن إسحاق — ٣٥٣ —

فَدَى لَأَبَى سُلَيْمَى كُلَّ جَيْشٍ يَثْرِبَ إِذْ تَنَاطَحَتِ النُّحُورُ
غَدَاةً تَرَى الْمَجْرَبَ مُسْتَكِينَا خَلَّافَ الْقَوْمِ هَامَتِهِ تَدُورُ

تمت الغزوة ، وعدنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث .

غزوة زيد الطرف : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضاً الطرف من ناحية نخل من طريق العراق .

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة : وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادى القرى ، لقي به بنى فزارة ، فأصيب بها ناس من أصحابه ، وارتث ^(١) زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مَدَاش ، وكان أحد بنى سعد بن هذيل ^(٢) ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن إسحاق : فلما قدم زيد بن حارثة ألى ^(٣) أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة ، فلما استبل من جراحتة بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى فزارة فى جيش فقتلهم بوادى القرى ، وأصاب فيهم ، وقتل قيس بن المسحار اليعمرى مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر ، وأسرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مسعدة ، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة ، فقتلها قتلا عنيفاً ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ بابنة أم قرفة وبابن مسعدة .

وكانت بنت أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ، وكانت فى بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : « لو كنت أعز من أم قرفة مازدت ، فسألها رسول الله ﷺ سلمة ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حزن بن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

فقال قيس بن المسحر فى قتل مسعدة :

سَعَيْتُ بُورِدٍ مِثْلَ سَعَى ابْنِ أُمِّهِ وَإِنِّى بُورِدٍ فِى الْحَيَاةِ لِبَائِرٍ ^(٤)

(١) ارتث : حمل جريحاً من المعركة وبه رمق .

(٢) قال ابن هشام : سعد بن هذيم .

(٣) ألى : أى أقسم .

(٤) البائِر : الآخذ بثأره .

— ٣٥٤ — ابن إسحاق —

كَرَرْتُ عَلَيْهِ الْمَهْرَ لَمَّا رَأَيْتُهُ عَلَى بَطْلٍ مِّنْ آلِ بَدْرِ مُغَاوِرُ
فَرَكِبْتُ فِيهِ قَعُضِيًّا كَأَنَّهُ شَهَابٌ بِمِعْرَاةٍ يَذْكِي لَنَاظِرٍ ^(١)

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام : وغزوة عبد الله بن رواحة خبير
مرتين : إحداهما التي أصاب فيها اليسير بن رزام .

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخير يجمع غطفان لغزو رسول الله
ﷺ ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه ، منهم
عبد الله بن أنيس ، حليف بنى سلمة ، فلما قدموا عليه كلموه ، وقربوا له ، وقالوا
له : إنك إن قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به ،
حتى خرج معهم في نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى إذا
كان بالقرقرة من خير على ستة أميال ، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله
ﷺ ، ففطن به عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السيف ، فاقتحم به ، ثم ضربه
بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليسير بمخرش ^(٢) في يده من شوحط ^(٣) ، فأمه ^(٤)
ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا
واحداً أفلت على رجله ، فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله ﷺ تفل
على شجته ، فلم تقح ولم تؤذه .

غزوة ابن عتيك خبير : وغزوة عبد الله بن عتيك خبير ، فأصاب بها أبا رافع
ابن أبي الحقيق .

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي : وغزوة عبد الله
ابن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح ، بعثه رسول الله ﷺ إليه وهو بنخلة أو بعرة
يجمع لرسول الله ﷺ الناس ليغزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبد الله بن
أنيس : دعاني رسول الله ﷺ ، فقال : إنه قد بلغني أن ابن سفيان بن نبيح

(١) قعُضِيًّا : سناناً منسوب إلى قعُضٍ ، رجل كان يصنعها . معرأة : مكان لا يستره
شيء . يَذْكِي : يشعل .

(٢) المخرش : عصا معقوفة .

(٣) الشوحط : نوع من الشجر .

(٤) أمه : أصاب أم رأسه .

— ابن إسحاق — ٣٥٥ —

الهللى يجمع لى الناس ليغزوني ، وهو بنخلة ، أو بعرة ، فاته فاقتله . قلت : يا رسول الله ، انعه^(١) لى حتى أعرفه . قال إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة . قال : فخرجت متوشحاً سيفي ، حتى دفعت إليه وهو فى ظعن^(٢) يرتاد لهن منزلاً ، وحيث كان وقت العصر . فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله ﷺ من القشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بينى وبينه مجاورة تشغلنى عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشى نحوه ، أومىء برأسى ، فلما انتهيت إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أجل ، إنى لفى ذلك . قال : فمشيت معه شيئاً ، حتى إذا أمكنى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظعائنه منكبات عليه ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرأنى ، قال : أفلح الوجه ، قلت : قد قتلته يا رسول الله . قال : صدقت .

• هدية الرسول ﷺ لأنيس :

ثم قام بى ، فأدخلنى بيته ، فأعطانى عصاً ، فقال : أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرنى أن أمسكها عندى . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتنى هذه العصا ؟ قال : آية بينى وبينك يوم القيامة ، إن أقل الناس المتخصرون^(٣) يومئذ ، قال فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت فى كفنه ، ثم دفنا جميعاً .

بعض غزوات أخر : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة مؤتة من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعاً ، وغزوة كعب ابن عمير الغفارى ذات أطلاق ، إلى أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بنى العنبر من بنى تميم .

(١) أى صفه لى ، النعت : الصفة .

(٢) الظعن : النساء فى الهوداج .

(٣) المتخصرون : المتكثون على المخاصر ، والمخاصر ، مفرداً مخصرة : العصا .

— ٣٥٦ — ابن إسحاق —

غزوة عيينة بن حصن بنى تميم : وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناساً ، وسبى منهم أناساً .

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، إن على رقبة من ولد إسماعيل ^(١) . قال : هذا سبى بنى العنبر يقدم الآن فنعطيك منهم إنسانا فتعتقينه .

قال ابن إسحاق : فلما قدم بسبيهم على رسول الله ﷺ ، ركب فيهم وفد من بنى تميم ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، منهم ربيعة بن ربيع وسبرة بن عمرو والقعقاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو والأقرع بن حابس ، وفراس بن حابس ، فكلّموا رسول الله ﷺ فيهم ، فأعتق بعضاً ، وأفدى بعضاً ، وكان ممن قتل يومئذ من بنى العنبر : عبد الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشداد بن فراس ، وحنظلة بن دارم ، وكان ممن سبى من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكاس بنت أرى ، ونجوة بنت نهد ، وجميعه بنت قيس ، وعمرة بنت مطر . فقالت في ذلك اليوم سلمى بنت عتاب :

لعمري لقد لأقت عدى بن جندب من الشر مهواة شديداً كثودها ^(٢)

تكنفها الأعـداء من كل جانب وغيب عنه عزها وجـدودها ^(٣)

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة : قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كلب ليث - أرض بنى مرة ، فأصاب بها مرداس بن نهيك ، حليفا لهم من الحرقة من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السلاح ^(٤) ، قال أشهد أن لا إله إلا الله . قال فلم نترع عنه حتى قتلناه . فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبره ، فقال : يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما

(١) أى عليها نذر عتق رقبة .

(٢) المهواة : المكان المنخفض بين جبلين . الكثود : الصعبة ، وعدى بن جندب من

بنى العنبر ، والعنبر بن عمرو بن تميم .

(٣) الجدود : الحظوظ .

(٤) أى وجهناه ناحيته .

قالها تعوزا بها من القتل^(١) . قال : فمن لك بها يا أسامة ؟ قال : فوالذي بعثه بالحق مازال يرددها على حتى لوددت أن ماضى من إسلامي لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ، قال : قلت : أنظرنى يا رسول الله ، إني أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا ، قال : تقول بعدى يا أسامة ، قال : قلت بعدك^(٢) .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل : وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة . وكان من حديثه أن رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام . وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلى ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلسل ، وبذلك سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل ، فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبى عبيدة حين وجهه : لا تختلفا ، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو إنما جئت مدداً لى ، قال أبو عبيدة : لا ، ولكنى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلا لنا سهلاً ، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ، فقال أبو عبيدة يا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قال لى لا تختلفا ، وإنك إن عصيتنى أطعتك ، قال : فإنى الأمير عليك ، وأنت مدد لى ، قال : فدونك . فصلى عمرو بالناس .

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رفاع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرءاً نصرانياً ، وسميت سرجس ، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحي الرمل فى الجاهلية ، ثم أغير على إبل الناس ، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمر بذلك الماء الذى خبأت فى بيض النعام فأستخرجه ، فأشرب منه ، فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى

(١) أى خوفاً من القتل وهرباً ونجاة .

(٢) وهذا خير دليل على حرمانية قتل المسلم مهما يكن ، ويتضح لنا من هذا الحديث حزن الرسول ﷺ على قتل هذا الرجل وغضبه من أسامة ، وأن الإسلام ليس دين إراقة دماء ولا قتل ولا إرهاب .

بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فقلت : والله لأختارن لنفسى صاحباً ، قال فصحبت أبا بكر ، قال : فسكنت معه في رحله ، قال : وكانت عليه عباءة له فديكة ، فكان إذا نزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكها عليه بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا : نحن نبايع ذا العباءة ؟! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال قلت : يا أبا بكر إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال آمرك أن توحده الله ولا تشرك به شيئاً ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمر على رجل من المسلمين أبداً . قال : قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أحداً أبداً ، وأما الصلاة فلن أتركها أبداً إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن يك لى مال أؤدها إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه إن شاء الله ، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى وأما الجنابة فساغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإنى رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلا بها ، فلم تنهانى عنها ؟ قال : إنك إنما استجهدتنى لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً ، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه ، وفى ذمته إياك لا تخفر الله ^(١) فى جيرانه فيتبعك الله فى خفرته ، فإن أحدكم يخفر فى جاره ، فيظل ناتئاً عضله غضباً لجاره أن أصيب له شاة أو بعير ، فالله أشد غضباً لجاره . قال : ففارقته على ذلك .

قال : فلما قبض ^(٢) رسول الله ﷺ ، وأمر أبو بكر على الناس ، قال : قدمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ، قال : فقلت له : فما حملك على أن تلى أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بداً ، خشيت على أمة محمد ﷺ الفرقة .

قال ابن إسحاق : أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حدث عن عوف بن مالك الأشجعي قال : كنت فى الغزاة التى بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى

(١) لا تخفر الله : لا تنقض عهده .

(٢) أى انتقل إلى الرفيق الأعلى .

ذات السلاسل ، قال : فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها ، وهم لا يقدرّون على أن يعضوها ^(١) ، وقال : وكنت امرأةً لبقةً جازراً ، قال : فقلت : أتعطوني منها شيئاً ^(٢) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشفرتين ، فجزأتها مكاني ، وأخذت منها جزءاً ، فحملته إلى أصحابي : فاطبختاه ، فأكلناه . فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : أنى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن ما في بطونهما من ذلك . قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ ، قال : فجئتته وهو يصلى في بيته ، قال فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قال : أعوف بن مالك ؟ قال : قلت نعم ، بأبى أنت وأُمى . قال : أصحاب الجزور ؟ ! ولم يزدني رسول الله ﷺ على ذلك شيئاً .

غزوة ابن أبي حذرر بطن إضم و قتل عامر بن الأضبط الأشجعي : قال : ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القَعْقَاع بن عبد الله بن أبي حذرر ، عن أبيه عبد الله بن أبي حذرر ، قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم في نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي ، ومسلم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم ، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي ، على قعود له ومعه متيع ^(٣) له ، ووطب من لبن ^(٤) . قال : فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه مسلم بن جثامة ، فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بغيره ، وأخذ متيعه . قال : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا ﴾ ^(٥) إلى آخر الآية ﴿ النساء : ٩٤ 》 .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد بن

- (١) أن يعضوها : أن يقتسموها أجزاء . (٢) العشير : جزء من عشرة أجزاء .
 (٣) المتيع : تصغير متاع . (٤) الوطب : وعاء اللبن .
 (٥) قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً » لهذا الحديث .

ضميرة بن سعد السلمى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حينما مع رسول الله ﷺ ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها وهو بحنين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ابن حذيفة بن بدر ، يختصمان فى عامر بن أضيظ الأشجعي : عيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة ، لمكانه من خندف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله ﷺ ، ونحن نسمع ، فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول : والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقه مثل ما أذاق نسائي ، ورسوله الله ﷺ يقول : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا، وهو يأبى عليه ، إذ قام رجل من بنى ليث، يقال له : مكثير ، قصير مجموع ، فقال : والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القتل شيئا فى غرة الإسلام ^(١) إلا كغنم وردت فرميت أولاها ، فنفرت أخرها ، اسنن اليوم ، وغير غداً . قال : فرفع رسول الله ﷺ يده . فقال : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال : فقبلوا الدية . قال : ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله ﷺ ؟ قال : فقام رجل آدم ^(٢) ضرب ^(٣) طويل ، عليه حلة له ، قد كان تهيأ للقتل فيها ، حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا محلم بن جثامة ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يده ، ثم قال : اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة ثلاثاً . فقام وهو يتلقى دمه بفضل رداءه . قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا نلرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله ﷺ فهذا .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم عن الحسن البصرى ، قال : قال رسول الله ﷺ حين جلس بين يديه : أمتته بالله ثم قتلته ؟! ثم قال له المقالة التى قال : قال فوالله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعة حتى مات ، فلفظته الأرض ^(٤) والذى نفس الحسن بيده - ثم عادوا فلفظته الأرض ، ثم عادوا فلفظته فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين ^(٥) فسطحوه بينهما ، ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه . قال : فبلغ رسول الله ﷺ شأنه ، فقال : والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم فى حرم ما بينكم بما أراكم منه .

- (١) غرة الإسلام : أوله . (٢) الآدم : الأسمر . (٣) ضرب : خفيف اللحم . (٤) أى ألقته على سطحها . (٥) صدين : جبلين .

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث : أن عيينة بن حصن وقيساً حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يا معشر قيس ، منعتم رسول الله ﷺ قتيلاً يستصلح به الناس ، أفأمتتم أن يلعنكم رسول الله ﷺ ، فيلعنكم الله بلعنته ، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله ﷻ عليكم بغضبه ؟ والله الذى نفس الأقرع بيده لتسلمنه إلى رسول الله ﷺ فليصنعن فيه ما أراد ، أو لآتين بخمسين رجلاً من بنى تميم يشهدون بالله كلهم ، لقتل صاحبكم كافراً ؟ ما صلى قط ، فلاطلن دمه ^(١) فلما سمعوا ذلك قبلوا الدية .

وقال ابن إسحاق : ملجّم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبى حذرّد لقتل رفاعه بن قيس الجشمى : قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبى حذرّد الأسلمى الغابة .

وكان من حديثها فيما بلغنى ، عمن لا أتهم وعن ابن أبى حذرّد ، قال : تزوجت امرأة من قومي ، وأصدقته مائتي درهم ، قال : فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مائتي درهم يا رسول الله ، قال سبحانه الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زردتم ^(٢) . والله ما عندي ما أعينك به . قال : فلبثت أياماً ، وأقبل رجل من بنى جشم ، يقال له : رفاعه بن قيس ، أو قيس بن رفاعه ، فى بطن عظيم من بنى جشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله ﷺ وكان ذا اسم فى جشم وشرف . قال : فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين ، فقال : أخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدم لنا شارفاً ^(٣) عجباً فحمل عليها أحداً ، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ثم قال : تبلغوا عليها واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عشيئاً ^(٤) مع غروب الشمس . قال : كنت فى ناحية ، وأمرت صاحبي ، فكمننا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبرت

(١) أطلن دمه : أجعل دمه باطلا .

(٢) دليلاً على أن الرسول ﷺ استكثر المهر ، وقد حذر ﷺ من المغالاة فى المهور .

(٣) الشارف : الناقة المسنة .

(٤) عشيئاً : تصغير عشية على غير القياس .

وشددت في ناحية العسكر فكبرا وشدا معي . قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة (١) القوم ، أو أن نصيب منهم شيئاً . قال : وقد غشنا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح في هذا البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعه بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله في عنقه ، ثم قال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر ، فقال له نفر ممن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك ، قال : والله لا يذهب إلا أنا ، قالوا : فنحن معك ، قال : والله لا يتبعني أحد منكم قال : وخرج حتى يمر بي . قال : فلما أمكنتني نفحته بسهمي ، فوضعت في فؤاده . قال : فوالله ما تكلم ، ووثبت إليه ، فاحتزرت رأسه . قال : وشددت في ناحية العسكر ، وكبرت ، وشدا صاحباي وكبرا . قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ، عندك ، عندك ، بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خف معهم من أموالهم قال : واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ . قال : وجئت برأسه أحمله معي . قال : فأعانني رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً في صداقي ، فجمعت إلى أهلي .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل : قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح ، قال : سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده : أبو بكر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو سعيد الخدري ، وأنا مع رسول الله ﷺ ، إذا أقبل فتى من الأنصار . فسلم على رسول الله ﷺ ، ثم جلس ، فقال : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، أي المؤمنين فضل ؟ فقال : أحسنهم خلقاً ، قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكراً لموت ، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكت لفتى ، وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : يا معشر المهاجرين ، خمس خصال أنا نزلن بكم . وأعوذ بالله أن تدركوهن - إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى علنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ،

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين ^(١) وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم ما مطروا ، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدواً من غيرهم ، فأخذ بعض ما كان فى أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرايس ^(٢) سوداء ، فأدناه رسول الله ﷺ منه ، ثم نقضها ، ثم عممه بها ، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك ، ثم قال : هكذا يا بن عوف فاعتم ، فإنه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء ، فدفعه إليه ، فحمد الله تعالى وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه يا بن عوف ، اغزوا جميعاً فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغلوا ^(٣) ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم ، فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء .

غزوة أبى عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر ^(٤) : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جده عبادة بن الصامت ، قال : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى سيف البحر ، عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، وزودهم جراباً من تمر فجعل يقوتهم إياه ، حتى صار إلى أن يعده عليهم عدداً قال : ثم نفذ التمر حتى كان يعطى كل رجل منهم كل يوم ثمرة . قال فقسمها يوماً بيننا . قال : فنقصت ثمرة عن رجل ، فوجدنا فقدناها ذلك اليوم . قال : فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر ، فأصبنا من لحمها وودكها ^(٥) ، وأقمنا عليها عشرين ليلة ، حتى سمنا وابتللنا ^(٦) ، وأخذ أميرنا ضلعاً من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا ، قال : فجلس عليه قال : فخرج من تحتها وما مست رأسه . قال : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صنعنا فى ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رزقكموه الله .

-
- (١) السنين : الجذب والقحط . (٢) الكرايس : الأقطان . واحده كربوس .
 (٣) لا تغلوا : لا تخونوا فى المغنم . (٤) سيف البحر : جانبه وساحله .
 (٥) الودك : الشحم . (٦) ابتللنا : أخذنا الراحة .

بَعَثُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ لِقِتَالِ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَا صَنَعَ فِي طَرِيقِهِ :
 بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١) ، فِيمَا حَدَّثَنِي مِنْ أَثَقَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بَعْدَ مَقْتَلِ خَبِيبِ
 ابْنِ عَدَى وَأَصْحَابِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَبَعَثَ مَعَهُ جَبَّارُ
 ابْنِ صَخْرٍ الْأَنْصَارِيُّ ، فَخَرَجَا حَتَّى قَدَمَا مَكَّةَ ، وَحَبَسَا جَمْلِيهِمَا بِشَعْبٍ (٢) مِنْ
 شُعَابٍ يَأْجِجُ (٣) ، ثُمَّ دَخَلَا مَكَّةَ لَيْلًا ، فَقَالَ جَبَّارُ لِعَمْرُو : لَوْ أَنَا طَفْنَا بِالْبَيْتِ
 وَصَلَيْنَا رَكَعَتَيْنِ ؟ فَقَالَ عَمْرُو : إِنْ الْقَوْمُ إِذَا تَعَشَّوْا جَلَسُوا بِأَفْنِيتِهِمْ ، فَقَالَ :
 كَلَّا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَالَ عَمْرُو : فَطَفْنَا بِالْبَيْتِ ، وَصَلَيْنَا ، ثُمَّ خَرَجْنَا نَرِيدُ أَبَا
 سَفْيَانَ ، فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَمْشِي بِمَكَّةَ إِذْ نَظَرُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَعَرَفْنِي ، فَقَالَ عَمْرُو
 ابْنُ أُمَيَّةَ : وَاللَّهِ إِنْ قَدَمَهَا إِلَّا لَشَرٍّ . فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : النِّجَاءُ ، فَخَرَجْنَا نَشْتَدُ ، حَتَّى
 أَصْعَدْنَا فِي جَبَلٍ ، وَخَرَجُوا فِي طَلَبِنَا حَتَّى إِذَا عَلَوْنَا الْجَبَلَ يَسُورُوا مِنَّا ، فَارْجَعُوا .
 فَدَخَلْنَا كَهْفًا فِي الْجَبَلِ ، فَبِتْنَا فِيهِ ، وَقَدْ أَخَذْنَا حِجَارَةً فَرَضَمْنَاهَا دُونَنَا . فَلَمَّا
 أَصْبَحْنَا غَدَا رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ يَقُودُ فَرَسًا لَهُ ، وَيَخْلِي عَلَيْهَا (٤) ، فَغَشِينَا وَنَحْنُ فِي
 الْغَارِ . فَقُلْتُ : إِنْ رَأَى صَاحِبُنَا ، فَأَخَذْنَا فَقَتَلْنَا .

قَالَ : وَمَعِيَ خَنْجَرٌ قَدْ أَعَدَدْتُهُ لِأَبِي سَفْيَانَ ، فَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ ، فَأَضْرَبُهُ عَلَى ثَدْيِهِ
 ضَرْبَةً ، وَصَاحَ صَيْحَةً أَسْمَعَ أَهْلَ مَكَّةَ ، وَأَرْجَعُ فَأَدْخُلُ مَكَانِي ، وَجَاءَهُ النَّاسُ
 يَشْتَدُونَ وَهُوَ بَآخِرُ رَمَقٍ فَقَالُوا : مَنْ ضَرْبُكَ ؟ فَقَالَ : عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ ، وَغَلِبَهُ الْمَوْتُ
 فَمَاتَ مَكَانَهُ ، وَلَمْ يَدَلْ عَلَى مَكَانِنَا ، فَاحْتَمَلُوهُ . فَقُلْتُ لِصَاحِبِي ، لَمَّا أَمْسَيْنَا :
 النِّجَاءُ ، فَخَرَجْنَا لَيْلًا مِنْ مَكَّةَ نَرِيدُ الْمَدِينَةَ ، فَمَرَرْنَا بِالْحَرَسِ وَهُمْ يَحْرُسُونَ جَيْفَةَ

(١) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَمَا لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ عَمْرُو بْنُ
 أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّهْلِيُّ فِي الرُّوضِ الْأَنْفِ ٤ / ٢٥٣ قَائِلًا : وَذَكَرَ الشَّيْخُ الْحَافِظُ أَبُو
 حَرٍّ سَفْيَانَ بْنَ الْعَاصِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ قَالَ نَقَلْتُ مِنْ حَاشِيَةِ نَسْخَةٍ مِنْ كِتَابِ السَّيْرِ
 نَسَبِيَّةَ سَمَاعٍ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَأَخُوهُ مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ ابْنِي عَبْدِ
 اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ مَا هَذَا نَصَهُ . وَجَدْتُ بِخَطِّ أَخِي قَوْلَ ابْنِ هِشَامٍ : هَذَا مَا لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ
 إِسْحَاقَ (هُوَ غَلَطَ مِنْهُ) قَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ فِيمَا حَدَّثَ أَسَدٌ عَنْ
 بَحْيٍ بْنِ زَكْرِيَّا عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَالْقَائِلُ فِي الْحَاشِيَةِ : وَجَدْتُ بِخَطِّ أَخِي هُوَ : أَبُو بَكْرٍ بْنُ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَفِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الْمَذْكُورِ فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ بَعْدَ قَوْلِهِ :
 نُولِدْتُ لَهُ دَاوُدُ بْنُ أَبِي مَرَّةَ ، إِلَى هُنَا ، انْتَهَى سَمَاعِي مِنْ أَخِي ، وَمَا بَقِيَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ
 سَمِعْتُهُ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ نَفْسَهُ .

(٢) الشَّعْبُ : الطَّرِيقُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ . (٣) يَأْجِجُ : جَبَلٌ بِمَكَّةَ .

(٤) يَخْلِي : يَجْمَعُ الْخَلَى ، وَهُوَ مَا يَنْبَتُهُ الرَّبِيعُ .

خُبَيْب بن عدى ، فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ، قال : فلما حاذى الخشبة شد عليها فأخذها فاحتملها ، وخرجوا شدا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جرفا بمهبط مسيل يأجج ، فرمى بالخشبة فى الجرف ، فغيبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبي : النجاء النجاء حتى تأتى بعيرك فتقعد عليه ، فإنى سأشغل عنك القوم ، وكان الأنصارى لا رجلة له (١) .

قال : ومضيت حتى أخرج على ضجنان ، ثم أويت إلى جبل ، فأدخل كهفاً ، فبينما أنا فيه ، إذ دخل على شيخ من بنى الدليل أعور ، فى غنيمة له . فقال : من الرجل ؟ فقلت من بنى بكر ، فمن أنت ؟ قال من بنى بكر . فقلت : مرحبا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولست بمسلم مادمت حياً ولا دأن لدين المسلمين

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأملهته ، حتى إذا نام أخذت قوسى ، فجعلت سيتها (٢) فى عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النجاء ، حتى جئت العرج (٣) ، ثم سلكت ركوبة (٤) ، حتى إذا هبطت النقيع (٥) ، إذا رجلان من قريش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتجسسان ، فقلت استأسرا ، فأبيا ، فأرمى أحدهما بسهم فأقتله ، وأستأسر الآخر ، فأوثقه رباطا ، وقدمت به المدينة .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين : قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن على عليهم رضوان الله ، أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضميرة مولى على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سببا من أهل ميناء ، وهى السواحل ، وفيها جماع من الناس ، فبيعوا ، ففرق بينهم ، فخرج رسول الله ﷺ وهم يكون فقال : ما لهم ؟ فقل : يا رسول الله ، فرق بينهم ، فقال رسول الله ﷺ : لا تبعوهم إلا جميعا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك : قال ابن إسحاق : وغزوة سالم بن عمير

(١) لا رجلة له : ضعيف المشى على رجله . (٢) سيتها : طرفها

(٣) العرج : واد بالحجاز . (٤) ركوبة : ثنية بين الحرمين .

(٥) النقيع : موضع ببلاد مزينة .

لقتل أبي عَفَك . أحد بني عمرو بن عوف ثم من بني عبدة ، وكان قد نجم (١)
نفاقه ، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بن صامت ، فقال :

لقد عشتُ دهرًا وما إن أرى من الناس دارًا ولا مَجْمَعًا
أبرُّ عهودًا وأوفى لِمَنْ — يُعاهدُ فيهم إذا مَدَعَا
من أولاد قيلة (٢) في جَمْعهم يهدُ الجبال ولم يخضَعَا
فصدَّعهم ركب جاءهم حلالٌ حرامٌ لشيءٍ معَا (٣)
فلو أن بالعزَّ صدَّقْتهم أو الملكُ تابعتهم تبعَا

فقال رسول الله ﷺ : من لى بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم بن عمير ، أخو
بني عمرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ، فقالت أمامة الزيرية في ذلك :
تكذبُ دينَ الله والمرءُ أحمدًا لعمر الذي أمناك أن بئس ما يُمنى (٤)
حبَّاك حنيفٌ آخر الليل طعنةً أبا عفك خذاها على كبر السنِّ

غزوة عمير بن عدى الخطمي لقتل عصماء بنت مروان : وغزوة عمير بن عدى
الخطمي عصماء بنت مروان ، وهى من بنى أمية بن زيد ، فلما قتل أبو عفك
نافقت ، فذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل
من بنى خطمة ، ويقال له يزيد بن زيد فقالت : تعيب الإسلام وأهله :

باست بنى مالك والنبيت وعوف وباست بنى الخزرج
أطعتم أتاوى من غيركم فلا من مراد ولا مذحج (٥)
ترجونه بعد قتل الرءوس كما يرتجى مرق المنضج
ألا أنف يتغى غرةً فيقطع من أمل المرتجى (٦)

قال : فأجابها حسان بن ثابت ، فقال :

بنو وائل وبنو واقف وخطمة دون بنى الخزرج
متى ما دعت سفها ويحها بعولتها والمنايا تجى
فهزت فتى ماجدا عرقه كريم المداخل والمخرج

(١) نجم : وضع . (٢) قيلة : أم الأوس والخزرج .

(٣) صدعهم : فرقهم . (٤) أمناك : أنساك .

(٥) الأتاوى : الغريب . (٦) الأنف : المرتفع . الغرة : الغفلة .

فَضَرَجَهَا مِنْ نَجَيعِ الدِّمَا ۖ بَعْدَ الْهُدُوِّ فَلَمْ يَحْرَجْ (١)

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك ، ألا آخذ لى من ابنة مروان ؟ فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عمير بن عدى الخطمى ، وهو عنده ، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله ، إني قد قتلتها ، فقال نصرت الله ورسوله يا عمير ، فقال : هل على شىء من شأنها يا رسول الله ؟ فقال : لا ينتطح فيها عزان .

فرجع عمير إلى قومه ، وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم (٢) فى شأن بنت مروان ، ولها يومئذ بنون خمسة رجال ، فلما جاءهم عمير بن عدى من عند رسول الله ﷺ ، قال : يا بنى خطمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون . فذلك اليوم أول ما عز الإسلام فى دار بنى خطمة ، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أول من أسلم من بنى خطمة عمير بن عدى ، وهو الذى يدعى القارئ ، وعبد الله بن أوس ، وخزيمة بن ثابت ، وأسلم يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خطمة ، لما رأوا من عز الإسلام .

أمر ثُمَامَةَ بْنَ أُثَالِ الْحَنْفَى وَإِسْلَامَهُ : بلغنى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خيل لرسول الله ﷺ ، فأخذت رجلا من بنى حنيفة ، لا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله ﷺ ، فقال : أتدرون من أخذتم ، هذا ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالِ الْحَنْفَى ، أحسنوا إيساره - ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله ، فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر ببلقحته (٣) أن يغدى عليه بها ويراح . فجعل لا يقع من ثُمَامَةَ موقعا ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول أسلم يا ثُمَامَةَ ، فيقول : إيها (٤) يا محمد ، إن تقتل تقتل ذا دم وإن ترد الفداء فسل ما شئت ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم قال النبى ﷺ يوما : أطلقوا ثُمَامَةَ ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع ، فتطهر فأحسن طهوره ، ثم أقبل فبايع النبى ﷺ على الإسلام ، فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وبلقحته فلم يصب من حلابها إلا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك : مم تعجبون ؟ أمن رجل أكل أول النهار فى معى كافر ،

(١) الهدو : منتصف الليل ، أو بعد ساعة منه . يحرَج : يأثم .

(٢) موجهم : اختلافهم . (٣) اللقحة : الناقة التى لها لبن . (٤) إيها : حسبك .

وأكل آخر النهار فى معى مسلم ! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل فى معى واحد (١) .

سرية علقمة بن مجز : وبعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجز .

لما قتل وقاص بن مجز المدلجى يوم ذى قرد ، سأل علقمة بن مجز رسول الله ﷺ أن يبعثه فى آثار القوم ، ليدرك ثأره فيهم .

فذكر عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبى سعيد الخدرى ، قال : بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجز - قال أبو سعيد الخدرى : وأنا فيهم - حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق ، أذن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمى ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانت فيه دعاة ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ، ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ، قال : أفما أنا أمركم بشئ إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإننى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا توابتكم فى هذه النار ، قال : فقام بعض القوم يحتجز (٢) ، حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله ﷺ : من أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا (٣) .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يساراً : حدثنى بعض أهل العلم ، عن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله ﷺ فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عبداً يقال له يسار ، فجعله رسول الله ﷺ فى لقاح له كانت ترعى فى ناحية الجماء ، فقدم على

(١) انظر ما فى هذا الحديث من البلاغة فى كتاب المجازات النبوية تحقيق طه

عبد الرؤوف سعد . ط الحلبي .

(٢) يحتجز : يشد ثوبه على خصره .

(٣) أى قتلاً .

رسول الله ﷺ نفر من قيس كبة من نجيعة ، فاستوبثوا ، وطحلوا (١) ، فقال لهم رسول الله ﷺ : لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها . فلما صحوا وانطوت بطونهم ، عدوا على راعي رسول الله ﷺ يسار ، فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه ، واستاقوا اللقاح . فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر ، فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله ﷺ مرجعه من غزوة ذي قرد ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم .

غزوة على بن أبي طالب إلى اليمن : وغزوة على بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن غزاها مرتين .

وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد بن الوليد في حديثه ، ولم يذكر في عدة البعوث والسرايا فينبغي أن تكون العدة في قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين : قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم ، ومن أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون (٢) .

* * *

ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق : فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله ﷺ بشكواه الذي قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، في ليال بقين من صفر ، أو في أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك ، فيما ذكر لي ، أنه خرج إلى بقيع الغرقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن عمر ، عن عبيد بن جبير ، مولى الحكم بن أبي العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مويهبة ، مولى رسول الله ﷺ ، قال : بعثنى رسول الله ﷺ من جوف الليل ، فقال : يا

(١) استوبثوا : أصيبوا بالأوبئة . طحلوا : أصيبوا بداء الطحال .

(٢) قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ .

أبا مويهبة ، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ، ثم أقبل على ، فقال : يا أبا مويهبة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخبرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا ، والخلد فيها ، ثم الجنة ، قال لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذى قبضه الله فيه .

تمريضه فى بيت عائشة : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : رجع رسول الله ﷺ من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صداعاً فى رأسى ، وأنا أقول : وارساء ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارساء قالت : ثم قال : وما ضرك لو مت قبلى ، فقممت عليك وكفنتك ، وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنى بك ، لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتى ، فأعرست فيه ببعض نسائك . قالت : فتبسم رسول الله ﷺ ، وتتام به وجعه ، وهو يدور على نسائه ، حتى استعز به (١) ، وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نسائه ، فاستأذنهن فى أن يمرض فى بيتى ، فأذن له .

* * *

ذكر أزواجه ﷺ (٢)

عن زياد بن عبد الله البكائى قال : قال ابن إسحاق : وكن تسعاً : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وسودة بنت زمعة بن قيس ، وزينب بنت جحش بن رثاب ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ، وجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، وصفية بنت حى بن أخطب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم .

(١) استعز به : غلبه .

(٢) سبق ذكر هذا الموضع فى الجزء الأول من سيرة ابن إسحاق ولكن مختصراً وجاء مقدماً حسب ترتيب ابن إسحاق ونذكره هنا من رواية ابن هشام لفائدة زائدة .

خديجة : وكان جميع من تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة : خديجة بنت خويلد ، وهى أول من تزوج ، زوجه إياها أبوها خويلد بن أسد أو أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة ، فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى عبد الدار ، فولدت له هند بن أبى هالة ، وزينب بنت أبى هالة وكانت قبل أبى هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله . وجارية .

عائشة : وتزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبى بكر الصديق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبنى^(١) بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرا غيرها ، زوجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم .

سودة : وتزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عيد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل .

زينب بنت جحش : وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية . زوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ﴾ { الأحزاب : ٣٧ } .

أم سلمة : وتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية واسمها هند ، زوجه إياها سلمة بن أبى سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله ﷺ فراشا حشوه ليف ، وقدحا ، وصحفة ، ومجشة^(٢) ، وكانت قبله عند أبى سلمة ابن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية .

حفصة : تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، زوجه إياها

(٢) المجشة : الرحى .

(١) أى دخل بها .

أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائه درهم . وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي .

أم حبيبة : وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة . واسمها رملة بنت أبي سفيان ابن حرب ، زوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار ، وهو الذي كان خطبها على رسول الله ﷺ ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي .

جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِث : وتزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية ، كانت في سبايا بني المصطلق من خزاعة ، فوَقعت في السهم لثابت ابن قيس بن الشماس الأنصاري ، فكاتبها على نفسها ، فأَت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها . فقال لها : هل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها (١) .

صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ : وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب سباها من خيبر ، فاصطفأها لنفسه ، وأولم رسول الله ﷺ وليمة ، ما فيها شحم ولا لحم ، كان سويقاً وتمراً ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق .

مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِث : وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن ابن بحير بن هزم بن روية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند أبي عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي ، ويقال : إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وذلك أن خطبة النبي ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله : فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ﴾ (٢) .

ويقال : إن التي وهبت نفسها للنبي ﷺ زينب بنت جحش ، ويقال أم شريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بني منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر ابن لؤي ، ويقال : بل هي امرأة من بني سلمة بن لؤي ، فأرجأها رسول الله ﷺ .

(١) قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن قيس ، فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربعمائة درهم . (٢) الأحزاب : ٥٠ .

زينب بنت خزيمة : وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تُسمى أم المساكين لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، وزوجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالي ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم وكانت قبله عند^(١) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث وهو ابن عمها .

فهؤلاء اللاتي بنى بهن رسول الله ﷺ إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثنتان خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة ، وتوفى عن تسع قد ذكرتهن في أول هذا الحديث وثنتان لم يدخل بهما . أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها فوجد بها بياضا فمتعها^(٢) وردّها إلى أهلها ، وعمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ، استعادت من رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : منيع عائذ الله فردّها إلى أهلها ، ويقال : إن التي استعادت من رسول الله ﷺ كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله ﷺ دعاها ، فقالت : إنا قوم نُؤتى ولا نأتى ، فردّها رسول الله ﷺ إلى أهلها .

القرشيات منهن : القرشيات من أزواج النبي ﷺ ست : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وأم سلمة بنت أبي المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤى ، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى .

العرييات وغيرهن : والعرييات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن روية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ،

(١) عند عبيدة : أى زوجة عبيدة .

(٢) أى دخل بهن .

(٣) متعها : أعطاهما ما تتمتع به .

وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر
ابن صعصعة بن معاوية ، وجويرة بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية ، ثم
المصطلقية ، وأسماء بنت النعمان الكندية ، وعمرة بنت يزيد الكلاية .

ومن غير العربيات : صفية بنت حيى بن أخطب ، من بنى النضير (١) .

* * *

تَمْرِضُ رَسُولَ اللَّهِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ،
عن عبيد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : فخرج رسول الله
ﷺ يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر ،
عاصباً رأسه ، تخط قدماه حتى دخلى بيتى .

قال عبيد ، فحدث هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل تدري من
الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا . قال : على بن أبى طالب .

اشتداد المرض : ثم غمر رسول الله ﷺ ، واشتد به وجعه ، فقال :
هريقوا على سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم ، قالت :
فأقعدها في مخضب (٢) لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول :
حسبكم حسبكم .

خُطْبَةُ النَّبِيِّ وَتَفْضِيلُهُ أَبَا بَكْرٍ : قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثني أيوب
ابن بشير : أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان
أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد . واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ،

(١) لم يذكر ابن إسحاق فى أزواج رسول الله ﷺ شراف بنت خليفة أخت دحية بن
خليفة الكلبي ، وذكرها غيره ، ولم تقم عنده إلا يسيراً حتى ماتت ، وكذلك العالية بنت
ظبيان بن عمرو بن عوف ؛ ذكرها غيره فى أزواج رسول الله ﷺ . وكذلك وسنى بنت
الصلت تزوجها ثم خلى سبيلها ، ويقال فيها : سنا بنت أسماء بنت الصلت ، ومنهن أسماء
بنت النعمان بن الجون الكندية ، اتفقوا على تزويج النبي ﷺ إياها ، واختلفوا فى سبب
فراق النبي ﷺ لها . وكذلك قيل فى شراف بنت خليفة إنها هلكت قبل أن يدخل بها ،
والله أعلم .

(٢) المخضب : إناء يغتسل فيه .

— ابن إسحاق — ٣٧٥ —

ثم قال : إن عبدا من عباد الله خيرُه الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله : قال : ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد ، فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب الالافظة ^(١) في المسجد ، فسدوها إلا بيت ^(٢) أبي بكر فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبي سعيد ابن المعلّى أن رسول الله ﷺ ، قال يومئذ في كلامه هذا : فإنى لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمره بإنفاذ بعث أسامة : وقال ابن إسحاق . وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله ﷺ استبطن الناس في بعث أسامة بن زيد ، وهو في وجعه ، فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أمر غلاما حدثا على جلة ^(٣) المهاجرين والأنصار .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلعمري لئن قلت في إمارته لقد قلت في إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لها .

قال : ثم نزل رسول الله ﷺ ، وانكمش ^(٤) الناس في جهازهم واستعز برسول الله ﷺ وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف ، من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتنام إليه الناس ، وثقل رسول الله ﷺ ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض في رسول الله ﷺ .

وصايته بالأنصار : وقال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ : يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيراً ،

(١) الالافظة : النافذة .

(٢) قال ابن هشام : ويروى إلا باب أبي بكر .

(٣) جلة : معظمهم .

(٤) انكمش الناس في جهازهم : أسرعوا فيه .

— ٣٧٦ — ابن إسحاق —

فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عيتي (١) التي أويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم .

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله ﷺ ، فدخل بيته ، وتتام به وجعه ، حتى غمر .

اللُّدُودُ (٢) : قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه : أم سلمة ، وميمونة ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عميس ، وعنده العباس عمه . فأجمعوا أن يلدوه . وقال العباس لألدنه . قال : فلدوه ، فلما أفاق رسول الله ﷺ ، قال : من صنع هذا بي ؟ قالوا : يا رسول الله ، عمك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ، قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان عز وجل ليقدفني به ، لا يبق في البيت أحد إلا لد إلا عمي ، فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله ﷺ عقوبة لهم بما صنعوا به .

دُعَاؤُهُ لِأَسَامَةَ بِالْإِشَارَةِ : قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ، وقد أصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على ، فأعرف أنه يدعو لي .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهري : حدثني عبيد بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ كثيراً ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيره ، قالت : فلما حضر رسول الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول : بل الرفيق الأعلى (٣) من الجنة ، قالت : فقلت : إذا والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يخير .

(١) عيبة الرجل : مكن سره .

(٢) اللدود مجموعة من سبعة أدوية مخلوطة يجعل في جانب الفم في داخله ويحك بالأصبع قليلاً .

(٣) اللهم الرفيق الأعلى : وهذا منتزع من قوله تبارك وتعالى : ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ وحسن أولئك رفيقاً ﴾ فهذا هو الرفيق الأعلى ، ولم يقل الرفقاء لأن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد ، وهي تتضمن =

— ابن إسحاق — ٣٧٧ —

أبو بكر يُصلى بالناس : قال الزهري : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت : لما استعز برسول الله ﷺ قال مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : قلت : يا نبي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن . قال : مروه فليصل بالناس . قالت : فعدت بمثل قولي ، فقال : إن كنت صواحب يوسف ، فمروه فليصل بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبداً ، وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب : حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال : لما استعز برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا من يصلى بالناس قال : فخرجت فإذا عمر في الناس وكان أبو بكر غائبا ، فقلت : قم يا عمر فصل بالناس قال : فقام : فلما كبر ، سمع رسول الله ﷺ صوته ، وكان عمر رجلا مجهراً ، قال : فقال

= معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام المؤمن ، فإنه قال ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ ، هم أصحاب الصراط المستقيم ، وهم أهل لا إله إلا الله ، قال الله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ، ثم بين في الآية المتقدمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم ، وهم الرفيق الأعلى الذين ذكرهم رسول الله ﷺ - حين خير فاختار ، وبعض الرواة يقول عن عائشة في هذا الحديث : فأشار بإصبعه ، وقال : في الرفيق ، وفي رواية أخرى أنه قال اللهم الرفيق ، وأشار بالسبابة ، يريد التوحيد ، فقد دخل بهذه الإشارة في عموم قوله عليه السلام « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » ولا شك أنه عليه السلام في أعلى درجات الجنة ولو لم يشر ، ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل . لم لم يكن آخر كلامه : لا إله إلا الله . وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مسترضع عند حليلة أن قال : الله أكبر قاله الواقدي .

وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بأن قال : الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حرك بها لسانه وما يكاد يبين وفي قوله : ملكت أيمانكم قولان . قيل : أراد الرفق بالملوك ، وقيل أراد الزكاة ، لأنها في القرآن مقرونة بالصلاة ، وهي من ملك اليمين ، قاله الخطابي والله أعلم .

— ٣٧٨ — ابن إسحاق —

رسول الله ﷺ : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون . قال : فبعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس قال : قال عبد الله بن زمعة قال لى عمر : ويحك ، ماذا صنعت بى يابن زمعة ، والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس . قال : قلت والله ما أمرنى رسول الله ﷺ بذلك ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

* * *

اليوم الذى قبض الله فيه رسوله ﷺ

قال ابن إسحاق : وقال الزهري : حدثنى أنس بن مالك ، أنه لما كان يوم الإثنين الذى قبض الله فيه رسول الله ﷺ . خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، ورفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله ﷺ . فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتنون فى صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحاً به ، وتفرجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ، قال : فتبسم رسول الله ﷺ سروراً لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة قال : ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله ﷺ قد أفرق من وجعه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسنح .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى ، فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً وكان عمر غير متهم على أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مليكة ، قال : لما كان يوم الإثنين خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه إلى الصبح وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك

— ابن إسحاق — ٣٧٩ —

إلا لرسول الله ﷺ ، فنكص عن مصلاه ، فدفع ^(١) رسول الله ﷺ في ظهره ، وقال : صل بالناس ، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلهم رافعاً صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس : سعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإنى والله ما تمسكون على شيء ، إنى لم أحل إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبي الله إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفأتيتها ؟ قال : نعم ، ثم دخل رسول الله ﷺ ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح .

شأن على والعباس قبل وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ على بن أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله ﷺ . فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال أصبح بحمد الله بارئاً ، قال : فأخذ العباس بيده ، ثم قال يا على ، أنت والله عبد العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان فى غيرنا ، أمرناه فأوصى بنا الناس . قال فقال له على إنى والله لا أفعل ، والله لئن منعناه لا يؤتينا أحد بعده .

فتوفى رسول الله ﷺ حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبل وفاته : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ، عن الزهري عن عروة ، عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلى رسول الله ﷺ فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع فى حجرى ، فدخل على رجل من آل أبي بكر ، وفى يده سواك أخضر ، قالت : فنظر رسول الله ﷺ إليه فى يده نظراً عرفت أنه يريد به قالت : فقلت : يا رسول الله ، أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟

(١) أى دفعه الرسول الله ﷺ وقدمه للصلاة .

قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى لينته ، ثم أعطيته إياه : قالت : فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط ، ثم وضعه ^(١) ، ووجدت رسول الله ﷺ يثقل فى حجرى ، فذهبت أنظر فى وجهه ، فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة : قالت : فقلت : خيّرْتَ فاخترت والذي بعثك بالحق . قالت : وقبض رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعت عائشة تقول : مات رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى وفى دولتى ، لم أظلم فيه أحدا فمن سفهى وحادثة سنى أن رسول الله ﷺ قبض وهو فى حجرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت ألتمم ^(٢) مع النساء ، وأضرب وجهى .

مقالة عمر بعد وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهرى ، وحدثنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، قال : لما توفى رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفى ، وإن رسول الله ﷺ ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل مات ، ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات .

شأن أبى بكر بعد وفاته : قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شىء حتى دخل على رسول الله ﷺ فى بيت عائشة ، ورسول الله ﷺ مسجى فى ناحية البيت ، عليه برد حبرة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ ، قال : ثم أقبل عليه فقبّله ،

(١) فيه من الفقه : التنظف والتطهر للموت ، ولذلك يستحب الاستحداد لمن استشعر القتل أو الموت كما فعل خبيب أحد أصحابه ﷺ حينما أراد المشركون قتله وقصته موجودة فيما سبق من السيرة - لأن الميت قادم على ربه كما أن المصلى مناج لربه ، فالنظافة من شأنهما وكان السواك المذكور فى هذا الحديث من عسيب نخل فيما روى بعضهم . والعرب تستاك بالعسيب ، وكان أحب السواك إلى رسول الله ﷺ فرع الأراك .

(٢) ألتمم : أضرب صدرى .

— ابن إسحاق — ٣٨١ —

ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً . قال : ثم رد البرد على رسول الله ﷺ ، ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال على رسلك يا عمر : أنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، قال : وأخذها الناس عن أبى بكر ، فإنما هى فى أفواههم ، وقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقرت ^(١) حتى وقعت إلى الأرض ما تحملنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات .

* * *

أمر سقيفة بنى ساعدة

قال ابن إسحاق : ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عباد فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أسيد بن حضير ، فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آت إلى أبى بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عباد فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم ، ورسول الله ﷺ فى بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن

(١) عقرت : دهشت فلم أستطع التقدم أو التأخر .

عبد الله بن أبي بكر ، حدثني عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عوف ، قال : وكنت في منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر في آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدني في منزله بمنى أنتظره وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لي عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت ، قال : فغضب عمر ، فقال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس ، فمحذرههم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم ، وإنهم هم الذين يغلبون على قربك ، حين تقوم في الناس ، وإني أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير ، ولا يعوها ولا يضعوها على موضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة ، وتخلص بأهل الثقة ، وأشرف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكنا ، فيعي أهل الفقه مقالتك ، ويضعوها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

عمر يذكر البيعة لأبي بكر : قال ابن عباس : فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر فجلست حذوه تمس ركبتي ركبته ، فلم أنشب أن أخرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ، قال : فأنكر على سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون ، قام فأتني على الله بما هو أهل له ، ثم قال :
أما بعد .

فإني قائل لكم اليوم مقالة قد قدر لي أن أقولها ، ولا أدري لعلها بين يدي أجلى ، فمن عقلها ، ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا

يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب على إن الله بعث محمداً، وأنزل عليه الكتاب ، فكان
 مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها ، وعلمناها ووعيناها ، ورجم رسول الله ﷺ
 ورجمنا بعده ، فأخشي إن طال بالناس زمان يقول قائل : والله ما نجد الرجم في
 كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق على من
 زنا إذا أحصن من الرجال والنساء . وإذا قامت البيعة ، أو كان الحبل أو الاعتراف ، ثم
 إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله . « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن
 ترغبوا عن آبائكم » ألا إن رسول الله ﷺ قال : لا تطروني كما أطرى عيسى
 ابن مريم . وقولوا : عبد الله ورسوله ، ثم إنه قد بلغني أن فلانا قال : والله لو قد
 مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، فلا يغرن امرء أن يقول : إن بيعة أبي بكر
 كانت فلتة فتمت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها ، وليس فيكم من
 تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه
 لا بيعة له هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه
 ﷺ ، إن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة ، وتخلف
 عنا على بن أبي طالب والزيير بن العوام ومن تبعهما ، واجتمع المهاجرون إلى
 أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم
 حتى لقينا منهم رجلاً صالحاً ، فذكرنا لنا ما تملاً عليه القوم ، وقال : أين تريدون
 يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قال : فلا عليكم ألا
 تقربوهم يا معشر المهاجرين ، اقضوا أمركم . قال : قلت : والله لنأتينهم .
 فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا بين ظهرائهم رجل مزمل فقلت :
 من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عباد ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجع . فلما جلسنا
 تشهد خطيبهم ، فأنشئ على الله بما هو له أهل ، ثم قال :
 أما بعد .

فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد
 دفت دافة ^(١) من قومكم . قال : وإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا ،
 ويغصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زورت ^(٢) في نفسي مقالة قد
 أعجبتني ، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أداري منه بعض الحد ^(٣) ،

(١) الدافة : الجماعة من الناس تأتي من بلد إلى بلد . (٢) زورت : أعددت وهيأت .

(٣) الحد : الحدة التي كان يتصف بها عمر .

فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر ، فكرهت أن أغضبه فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديهته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكيت ، قال : أما ما ذكرتكم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدي وبيد أبى عبيدة ابن الجراح وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى ، لا يقربنى ذلك إلى إثم ، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

قال قائل من الأنصار ، أنا جذيلها ^(١) المحكك وعذيقها المرجب ^(٢) ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . قال : فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى تخوفت الاختلاف فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا ^(٣) على سعد بن عبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة . قال فقلت : قتل الله سعد بن عبادة .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة ، والآخر معن بن عدى ، أخو بنى العجلان فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ من الذين قال الله عز وجل لهم : ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ فقال رسول الله ﷺ : نعم المرء منهم عويم بن ساعدة ، وأما معن بن عدى فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله ﷺ حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لو ددنا أنا متنا قبله إنا نخشى أن نفتن بعده . قال معن بن عدى : لكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً ، فقتل معن يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر ، يوم مسيلمة الكذاب .

خطبة عمر بعد البيعة لأبى بكر : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، قال :

- (١) الجذيل : تصغير جذل : عود من الحطب فى مبرك الإبل تحتك به فتستريح .
 (٢) العزيزق : تصغير عذق النخلة : والمرجب من الترجيب وهو بناء يساعد لكثرة حملة .
 (٣) نزونا : وثبنا .

— ابن إسحاق — ٣٨٥ —

حدثني أنس بن مالك ، قال : لما بويح أبو بكر في السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إني كنت قلت لكم أمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهد إلى رسول الله ﷺ ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا ، يقول : يكون آخرنا وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هدى رسول الله ﷺ ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله ﷺ ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خُطبة أبي بكر بعد البيعة : فتكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال :

أما بعد أيها الناس ، فإنني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفي يده الدرة ، وما معه غيري ، قال وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشي^(١) قدمه بدرته ، قال : إذ التفت إلي ، فقال : يا ابن عباس هل تدري ما كان حملني على مقاتلي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ ؟ قال : قلت لا أدري يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ، قال فإنه والله ، إن كان الذي حملني على ذلك إلا أنني كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾^(٢) فوالله ، إن كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقي في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت .

* * *

(٢) البقرة : ١٤٣ .

(١) وحشي : خارج .

جهاز رسول الله ﷺ ودفنه

من تَوَلَّى غُسلَهُ : قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقُسم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله ﷺ ، هم الذين ولوا (٢) غسله ، وأن أوس بن خولى ، أحد بني عوف بن الخزرج ، قال لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله يا علي وحظنا من رسول الله ﷺ ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غسل رسول الله ﷺ ، فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقسم يلقبونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلى يغسله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يدلّكه به من ورائه ، لا يفضى بيده إلى رسول الله ﷺ وعلى يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك حيا وميتا . ولم ير من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت (٣) .

كَيْفِيَّةُ غُسلِهِ : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة قالت : لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه . فقالوا : والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره ، ثم كلمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله ﷺ ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم .

تَكْفِينُهُ : قال ابن إسحاق : فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ ، ثَوْبَيْنِ صَحَارِيِّينَ (٤) وَبُرْدِ حَبْرَةٍ ، أُدرج فيها إدراجا ، كما حدثني جعفر بن

(١) أى غسله وتكفينه والصلاة عليه ﷺ . (٢) أي تولوا .

(٣) أى لم يروا جسده الشريف ﷺ لأنهم غسلوه بثيابه ودلكوه بها .

(٤) نسبة إلى صحار ، وهى مدينة باليمن .

— ابن إسحاق — ٣٨٧ —

محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده علي بن الحسين ، والزهرى ، عن علي بن الحسين .

القبر : قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يشرح ^(١) كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهيل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، يلحد ، فدعا العباس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة ، اللهم خذ لرسول الله ﷺ ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة ، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ .

الصلاة عليه ودفنه : فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ، وضع فى سريره ^(٢) فى بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائل : ندفنه فى مسجده وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض : فرفع فراش رسول الله ﷺ الذى توفى عليه ، فحفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون عليه أرسالا ، دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد ^(٣) .

ثم دفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عمارة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة رضي الله عنها : جوف الليل من ليلة الأربعاء .

من تولى دفنه : وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله ﷺ : علي بن أبى طالب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله ﷺ .
وقد قال أوس بن خولى لعلى بن أبى طالب : يا على ، أنشدك الله ، وحظنا من رسول الله ﷺ ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شقران

(١) يشرح : يشق وسط القبر يجعله ضريحا أما اللحد فهو شق فى جانب القبر .

(٢) السرير : النعش الذى يوضع عليه الميت . (٣) وهذه خاصة بالرسول ﷺ .

حين وضع رسول الله ﷺ ، فى حفرة وبنى عليه قد أخذ قطيفة ، وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها ، فدفنها فى القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا .

قال : فدفنت مع رسول الله ﷺ .

أحدث الناس عهداً به : وقد كان المغيرة بن شعبة يدعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ يقول : أخذت خاتمي ، فألقيته فى القبر ، وقلت : إن خاتمي سقط مني ، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله ﷺ ، فأكون أحدث الناس عهداً به ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاة عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمدت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسكب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا الحسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه ؟ قال : أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ . قالوا : أجل : عن ذلك جئنا نسألك ، قال : كذب ، قال : أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن عباس .

خميسة الرسول السوداء : قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان على رسول الله ﷺ خميسة سوداء حين اشتد به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : « لا يُترك بجزيرة العرب دينان » .

افتتان المسلمين بعد موته : قال ابن إسحاق : ولما توفى رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغنى ، تقول لما توفى رسول الله ﷺ ارتد العرب ، واشربت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار

— ابن إسحاق — ٣٨٩ —

المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم ﷺ ، حتى جمعهم الله على أبي بكر (١) .

فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب : إنه عسى أن يقوم مقاما لا تدمه .

حسان بن ثابت يرثي الرسول : وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ .

بطيبة رَسَمَ للرسولِ وَمَعَهَدُ	مُنِيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتُهْمَدُ (٢)
وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ	بِهَا مُنِيرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آثَارِ وَبَاقِي مَعَالِمِ	وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجَرَاتُ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطُهَا	مِنْ اللَّهِ نُورٌ يَسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا	أَتَاهَا الْبَلَى فَالْأَيُّ مِنْهَا تَجَدُّ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ	وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مِلْحَدُ
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعِدْتُ	عُيُونٌ وَمِثْلَاهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسْعِدُ (٣)
يَذْكُرْنَ آلَاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى	لَهَا مُحْصِيَا نَفْسِي فَنَفْسِي تُبْلَدُ
مُفْجَعَةٌ قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ	فَظَلْتُ لَأَلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدُّ (٤)
وَمَا بَلَغْتُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ	وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوْجَدُ (٥)
أَطَالَتُ وَقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جَهْدَهَا	عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
فَبُورِكَتْ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ	بِلَادُ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمَسْدُ

(١) قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتاب بن أسيد - والي مكة - فتواري فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به ، وظهر عتاب بن أسيد .

(٢) الرسم : ما بقى من آثار الديار . تعفو : تدرس : تهمد : تبلى .

(٣) أسعدت : أعانت . (٤) شفها : أضعفها .

(٥) عشيره : عشيره . توجد : من الوجد وهو الحزن .

وبورك لحد منك ضمن طيبا
تَهِيلَ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنُ
لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً
وراحوا بحزنٍ ليس فيهم نبيُّهم
يَبْكُونَ مَنْ تَبَكَى السَّمَوَاتُ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكِ
تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقُّ جَاهِدًا
عَفْوٌ عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عَذْرَهُمْ
وإن نابَ أمرٌ لم يقوموا بحمله
فَبَيْنَا هُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يَنْشَى جَنَاحَهُ
فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحُشًّا بِقَاعُهَا
قَفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافُهَا
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لَفَقَدَهُ

عليه بناءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدٍّ (١)
عليه وقد غارت بذلك أسعدُ
عَشِيَّةَ علوهُ الثُّرَى لَا يوسدُ
وقد وَهَنْتُ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ
وَمَنْ قَدْ بَكَتُهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
رَزِيَّةً يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ؟!
وقد كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيَنْجِدُ (٢)
وينقذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ
مُعَلِّمٌ صِدْقٌ إِنْ يَطِيعُوهُ يُسْعِدُوا
وإنْ يَحْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجُودُ
فَمَنْ عِنْدَهُ تَيْسِيرٌ مَا يَتَشَدَّدُ
دَكِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يَقْصُدُ
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
إِلَى كَنْفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيْمُهِدُ (٣)
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصَدُ (٤)
يَبْكِيهِ حَتَّى الْمُرْسَلَاتُ وَيَحْمَدُ (٥)
لِغَيْبَةٍ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْهَدُ
فَقِيدٌ يَبْكِيْنُهُ بِلَاطٌ وَغَرَقْدُ (٦)
خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ

(١) البصفيح : الحجارة . منضد : بعضه فوق بعض .

(٢) يغور : من الغور وهو ما انخفض من الأرض ، وينجد : من النجد ، وهو ما ارتفع

من الأرض .

(٣) الكنف : الجانب . (٤) مقصد : مصيب : اسم فاعل من أقصد .

(٥) المرسلات : الملائكة .

(٦) ضافها : نزل بها . البلاط : ما استوى من الأرض : الغرقد : شجر .

وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت
فبكى رسول الله يا عينُ عبْرَةً
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي
فجودى عليه بالدموع وأعولى
وما فقد الماضون مثل محمد
أعف وأوفى ذممة بعد ذمة
وأبذل منه للطريف وتالد
وأكرم صيتا في البيوت إذا انتمى
وأمنع ذروات وأثبت في العلا
وأثبت قرا في الفروع ومنبتا
رباه وكيدا فاستتم تمامه
تناهت وصاة المسلمين بكفه
أقول ولا يلقى لقولى عائب
وكيس هواى نازعا من ثنائه
مع المصطفى أرجو بذاك جواره
وقال حسان بن ثابت أيضا ، يبكى رسول الله ﷺ :

كُحِلَتْ مَاقِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعُدُ
غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْغَرَقِدِ (٨)

(١) لا ينكد : لا يكدر .

(٢) الطريف : ما استحدث من المال . التالد : المال الموروث . يتلد : يكتسب قديما .

(٣) الصيت : الذكر الحسن . الأبطحى : المنسوب إلى أبطح مكة .

(٤) الذروات : الأعالى . (٥) الزن : السحاب . أغيد : ناعم .

(٦) يفند : يخطأ . (٧) عازب العقل : بعيد العقل غائبه .

(٨) بقيق الغرقد : مدافن أهل المدينة .

بأبى وأُمى مَنْ شَهِدَتْ وَفَاتَهُ
فَظَلَلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مَتَبَلِّدًا
أَقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا
فَتَقُومُ سَاعَتُنَا فَنَلْقَى طَبِيبًا
يَا بِكَرٍّ أَمَنَةً الْمُبَارَكِ بِكَرْهًا
نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
يَا رَبُّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِينَا
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَارْتَبِهَا لَنَا
وَاللَّهُ أَسْمَعَ مَا بَقِيَتْ بِهَا لَكَ
يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ
ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحُوا
وَلَقَدْ وَلَدْنَا وَفِينَا قَبْرَهُ
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ
صَلَّى إِلَهُ وَمَنْ يَحْفُ بِعَرْشِهِ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :
نَبُّ الْمَسَاكِينِ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ
مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي
مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمْ سَحْرًا (٦)
وَرَزَقَ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤْنَسُوا الْمَطَرَ ؟!

(١) صَبَحْتُ سَمَ الْأَسْوَدَ : أَيْ سَقَيْتُ صَبَاحًا سَمَ الْأَسْوَدَ ، وَالْأَسْوَدَ نَوْعٌ مِنَ الْحَيَاتِ .

(٢) الضَّرَائِبُ : الطَّبَائِعُ . الْمُحْتَدُ : الْأَصْلُ .

(٣) تَثْنَى : تَبْعَدُ .

(٤) وَاللَّهُ أَسْمَعَ : أَيْ وَاللَّهُ لَا أَسْمَعَ .

(٥) يَرِيدُ : بَوْلَدْنَا : أَنْ أَخْوََالَ وَالِدِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ بَنَى النُّجَارِ .

(٦) نَبُ : نَبِيٌّ : سَهْلٌ فَعَلَ الْأَمْرَ بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ ثُمَّ بَنَاهُ عَلَى حَذْفِ حَرْفِ الْعِلَّةِ كَمَا

يَبْنِي الْمَعْتَلُ .

— ابن إسحاق — ٣٩٣ —

أَمْ مِنْ نُعَاتِبُ لَا نَخْشَى جَنَادَعَهُ
كَانَ الضُّيَاءَ وَكَانَ النُّورَ نَتَبَعُهُ
فَلَيْتَنَا يَوْمَ وَاوَاهُ بِمَلْحَدِهِ
لَمْ يَتْرِكِ اللَّهَ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا
ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النُّجَّارِ كُلُّهُمْ
وَاقْتَسَمَ الْفِيءُ دُونَ النَّاسِ كُلُّهُمْ
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا ، يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا
تَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ أَنْثَى وَلَا وَضَعْتُ
وَلَا بَرَا اللَّهَ خَلْقًا مِّنْ بَرِيَّتِهِ
مَنْ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ
أَمْسَى نِسَاؤُهُ عَطَّلْنَ الْبَيْتَ فَمَا
مِثْلُ الرُّوَاهِبِ يَلْبَسُنَ الْمَبَاذِلَ قَدْ
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ
مِّنِّي إِلَهَ بَرٍّ غَيْرُ إِفْنَادٍ (٢)
مِثْلَ الرُّسُولِ نَبِيَّ الْأُمَّةِ الْهَادِي
أَوْفَى بِذِمَّةٍ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادٍ
مُبَارَكِ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِرْشَادٍ
يَضْرِبُنَ فَوْقَ قَفَا سِتْرٍ بِأَوْتَادٍ
أَيَقْنُ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النِّعْمَةِ الْبَادِي (٣)
أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمَقْرَدِ الصَّادِي (٤)

* * *

(١) الجنادع : أوائل الشر . (٢) الآلية : اليمين . الإفناد : الخطأ والعيب .

(٣) المبادل : الأثواب التي تستعمل يومياً أو الأثواب الخلقية .

(٤) الصادي : الشديد العطش .

وقد رثاه غير حسان الكثير من الشعراء . ولكن كان المرثي أعظم من أن يُرثى وكانت
المصيبة أكبر من شعر ورثاء الرائيين وحزن المحزونين .

وهذا آخر الكتاب والحمد لله وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين الأخيار الراشدين وبذلك تم بعون الله وتوفيقه وحسن إرشاده كتاب « السير والمغازي » « سيرة ابن إسحاق » : من روايتي يونس وابن هشام فإن كنت وجدت تكرارا في عناوين المواضيع فلأننا جئنا بالروايتين لفائدة زائدة ﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴿ والحمد لله رب العالمين .

تمت السيرة بحمد الله وتوفيقه

* * *

وكان الفراغ من تحقيقها وتصحيحها ومراجعتها

في غرة محرم ١٤١٩ هـ

أبريل ١٩٩٨ م

المحققان

jabir.abbas@yahoo.com

الخاتمة

نرجو من الله حسننها

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على المصلح الأعظم
الآتى بالبينات ، اللهم ربنا لك الحمد فى الأولى ، ولك الحمد فى الآخرة ، ولك
الحمد حتى ترضى ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

هذا رسولُ الله هَذَا المصطفى هذا لِكُلِّ الْعَالَمِينَ رَسُول

أما بعد .

فإن أعظم درس مستفاد من دراسة السيرة النبوية العطرة هو أن نعيش مع
صاحبها ﷺ وكأنه بين أظهرنا وكأننا نسمع منه ونراه ؛ لأن كلامه وسنته وهديه
باقية ببقاء الإسلام مدى الأيام والأزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وأحمد الله تعالى أن وفقنا لتحقيق وشرح هذه السيرة العطرة ؛ فهى أعظم سيرة
لأعظم شخصية فى الوجود ، رواها أعظم المؤرخين وضمها أعظم كتاب من كتب
السيرة .

وأخيراً :

فلتسقط كل الأقلام ولتخرس كل الألسنة ولتسمع كل الأذان إذا قال النبى
العدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام . وصدق الإمام مالك حين أشار إلى الروضة
الشريفة وقال : كلُّ منا يؤخذ منه ويُردُّ عليه إلاَّ صاحب هذه الروضة ﷺ .

المحققان

طه عبد الرؤوف سعد

بدوى طه بدوى

* * *

jabir.abbas@yahoo.com

فهرست الموضوعات

jabir.abbas@yahoo.com

jabir.abbas@yahoo.com

الجزء الثاني

من السيرة النبوية لابن إسحاق السير والمغازي

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣١	رجز عكرمة	٥	غزوة حمراء الأسد بعد أحد
٣١	صفية تبكى حمزة	٦	رسالة أبي سفيان إلى رسول الله ﷺ
٣٢	نعم ترثي حمزة	٧	ما فعله عبد الله بن أبي بعد غزوة أحد
٣٣	شمر هند بعد عودتها من أحد	٨	ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن
٣٥	ذكر يوم الرجيع في سنة ثلاث	٩	تحذير المؤمنين من إطاعة الكفار
٣٥	مقتل خبيب وأصحابه	١٠	جزاء شهداء أحد
٣٥	خديعة عضل والقارة	١١	ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين
٣٦	استشهاد مرثد وابن البكير وعاصم	١١	من بنى هاشم
٣٦	الزنابير تحمى جثة عاصم	١١	من بنى أمية
٣٧	استشهاد عبد الله بن طارق	١٢	ذكر من استشهد بأحد من الانصار
٣٨	ما نزل من القرآن في سرية الرجيع	١٣	ذكر من قتل من قريش يوم أحد
٣٩	شمر خبيب	١٤	ذكر ما قيل من شعر يوم أحد
٣٩	حسان يبكي خبيبا	١٤	شعر هبيرة
٤١	الذين اجتمعوا لقتل خبيب	١٦	حسان بن ثابت يرد على هبيرة
٤١	هجاء حسان هزيلا	١٦	كعب بن مالك يرد على هبيرة
٤١	حسان يبكي خبيبا وأصحابه	١٩	شمر ابن الزبيري
٤٢	حديث بئر معونة في صفر سنة أربع	٢٠	رد حسان على ابن الزبيري
٤٢	سبب الإرسال	٢١	كعب يرثي حمزة
	أسماء خيار المسلمين الذين أرسلوا	٢٢	ضرار يرد على كعب
٤٢	إلى بئر معونة	٢٣	شمر آخر لابن الزبيري
٤٣	خيانة بني عامر لهم	٢٤	رد حسان على ابن الزبيري
٤٣	موقف ابن أمية والمنذر	٢٥	شمر عمرو بن العاص عن أحد
٤٤	حزن الرسول ﷺ من فعل أبي براء	٢٦	شمر ضرار
٤٤	ما حدث لابن فهيرة بعد مقتله	٢٧	كعب يرد على عمرو وضرار
٤٤	إسلام ابن سلمى	٢٩	حسان يرثي حمزة
٤٥	تحريض حسان بني البراء على عامر	٣١	شمر على

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٥	محاولة الصلح مع غطفان	٤٥	طعن عامر
٦٦	على يقتل عمرو بن عبد ود	٤٦	أمر إجلاء بني النضير في سنة أربع
٦٧	هجاء حسان عكرمة		سبب خروج النبي ﷺ إلى بني
٦٧	استشهاد سعد بن معاذ	٤٦	النضير
٦٨	قاتل سعد بن معاذ	٤٦	انكشاف غدرهم ومحاربتهم
	حديث حسان وصفية في وقعة	٤٧	حصار بني النضير
٦٩	الخنديق	٤٩	ما قيل في بني النضير من الشعر
٦٩	خداع نعيم المشركين	٥١	غزوة ذات الرقاع في سنة أربع
٧٠	ما أنزل الله تعالى بالمشركون	٥١	أحد الأعداء يهزم بقتل النبي ﷺ
٧١	استخبار ما حل بالمشركون	٥٢	قصة جابر وجملة
٧٢	أبو سفيان ينادى بالرحيل	٥٦	غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع
٧٢	انصراف الرسول ﷺ عن الخندق	٥٦	شعر معبد في ناقة رسول الله ﷺ
٧٣	غزوة بني قريظة في سنة خمس		غزوة دومة الجندل في شهر ربيع الأول
	أمر الله تعالى رسوله ﷺ بحرب بني	٥٧	سنة خمس
٧٣	قريظة	٥٨	غزوة الخندق في شوال سنة خمس
٧٣	إعلام الرسول ﷺ بالقتال	٥٨	اليهود تعزب الأحزاب
	على يبلغ الرسول ﷺ ما سمعه من	٥٩	تحريض اليهود غطفان
٧٣	بني قريظة	٥٩	خروج الأحزاب
	جبريل عليه السلام في صورة دحية		ما نزل من القرآن في حق العاملين في
٧٤	الكلبي	٦٠	الخنديق
٧٥	الرسول ﷺ يبدأ الحصار	٦٠	المسلمون يرتجزون وهم يعملون
٧٥	كعب بن أسيد ينصح قومه	٦٠	معجزات ظهرت في حفر الخندق
٧٦	قصة أبي لبابة في تلك الغزوة	٦١	معجزة الكدية
٧٧	إسلام بعض بني هذل	٦١	معجزة البركة في التمر
٧٧	قصة عمرو بن سعدى	٦١	البركة في طعام جابر
	تحكيم سعد بن معاذ في أمر بني	٦٢	الله تعالى يبشر نبيه ﷺ بالفتوح
٧٨	قريظة		حبي بن أخطب يحرض كعب بن
	ثناء الرسول ﷺ على حكم سعد بن	٦٣	أسد
٧٩	معاذ		الخوف الذي أصاب المسلمين ذلك
٧٩	قتل بني قريظة	٦٥	اليوم

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٠٤	سبب الغزوة	٧٩	قتل حبي بن أخطب
١٠٤	ما حدث لابن الأكوع	٨٠	قصة الزبير بن باطا
١٠٤	تسابق الفرسان	٨١	قصة عطية ورفاعة بن سموأل القرظيين
١٠٥	نصيحة الرسول لأبي عياش	٨٢	تقسيم الفئ
١٠٥	محرز بن نضلة ومقتله	٨٢	إسلام ريحانة
١٠٦	أفراس المسلمين		ما نزل من القرآن في الخندق وبنى
١٠٦	قتلى المشركين	٨٣	قريظة
١٠٦	ما قيل من شعر يوم ذي قرد	٨٥	إكرام سعد في موته
	غزوة بنى المصطلق في شعبان سنة	٨٨	الشهداء يوم الخندق
١٠٨	ست	٨٨	قتلى المشركين
١٠٨	سببها	٨٩	الشهداء يوم بنى قريظة
١٠٨	● إصابة ابن صبابه خطأ		ما قيل من الشعر في أمر الخندق
١٠٨	الفتنة بين المهاجرين والأنصار	٩٠	وبنى قريظة
١٠٩	نفاق ابن أبي	٩٠	شعر كعب بن مالك
١١٠	لقاء أسيد بن حضير برسول الله ﷺ	٩٣	رثاء مسافع بن عمرو بن عبد ود
١١٠	ما فعله عبد الله بن عبد الله بن أبي	٩٣	هيرة يرثى عمرو بن عبد ود
١١٠	مخادعة مقيس	٩٤	فخر حسان بن ثابت بقتل عمرو
١١١	قتلى بنى المصطلق	٩٥	حسان يبكى سعد بن معاذ
١١١	جويرية بنت الحارث رضي الله عنها	٩٦	مقتل سلام بن أبي الحقيق
١١٣	وجوب التأكد من الأخبار	٩٦	الذين قتلوا ابن أبي الحقيق
١١٤	خبر الإفك في غزوة بنى المصطلق		شعر حسان في قتل ابن الأشرف وابن
١١٤	إقراع النبي ﷺ بين نسائه عند السفر	٩٨	أبي الحقيق
١١٥	صفوان يحمل عائشة على بعيه		إسلام عمرو بن العاص وخالد بن
١١٦	الرسول ﷺ يهجر عائشة	٩٩	الوليد
	عائشة تغادر بيت الرسول ﷺ إلى	١٠٠	اتفاق عمرو وخالد على الإسلام
١١٦	بيت أبيها	١٠٠	إسلام عثمان بن طلحة
١١٧	خطبة الرسول ﷺ في الناس	١٠٢	غزوة بنى لحيان
١١٨	من تزعم نشر حديث الإفك	١٠٢	خروج النبي ﷺ إلى بنى لحيان
١١٨	أثر الخطبة		غزوة ذي قرد
١١٨	الرسول ﷺ يستشير الصحابة	١٠٤	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٤٣	غطفان تحاول مساعدة خيبر	١١٩	براءة عائشة رضى الله عنها من فوق سبع سموات
١٤٣	أشياء نهى عنها الرسول ﷺ يوم خيبر	١٢٠	قصة أبى أيوب مع زوجته
١٤٥	حال بنى سهم	١٢٠	ما نزل من القرآن الكريم فى حديث الإفك
١٤٥	مقتل مرحب اليهودى	١٢١	موقف أبى بكر من مسطح
١٤٦	مقتل ياسر أخى مرحب	١٢٣	اعتذار حسان عن اشتراكه فى حديث الإفك
١٤٦	على رضى الله عنه يفتح خيبر	١٢٥	أمر الحديبية فى آخر سنة ست وذكر بيعة الرضوان
١٤٧	حديث أبى اليسر	١٢٥	الرسول ﷺ يستنفر الناس للخروج
١٤٨	قصة صفية رضى الله عنها	١٢٦	ما فعلته قريش
١٤٨	جزاء كنانة بن الربيع	١٢٨	رسل قريش إلى رسول الله ﷺ
١٤٩	صلح خيبر	١٣١	بيعة الرضوان
١٤٩	قصة الشاة المسمومة	١٣١	تخلف الجد بن قيس عن المبايعة
١٥٠	جزاء الغال من الغنيمة	١٣١	الهدنة
١٥١	زواج الرسول ﷺ صفية وحراسة أبى أيوب له	١٣٢	موقف عمر رضى الله عنه من الهدنة
١٥١	بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر	١٣٢	شروط الصلح
١٥٢	شعر ابن لقيم فى فتح خيبر	١٣٣	قصة أبى جندل بن سهيل
١٥٢	حديث المرأة الغفارية	١٣٤	من شهدوا على الصلح
١٥٣	شهداء خيبر	١٣٤	الإحلال
١٥٣	من بنى أسد	١٣٤	نزول سورة الفتح
١٥٤	من بنى سلمة	١٣٧	أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح
١٥٤	من بنى زريق والأوس	١٣٧	قصة أبى بصير
١٥٤	من بنى عمرو بن عوف	١٣٩	أمر المهاجرات بعد الهدنة
١٥٤	من بنى غفار وأسلم	١٣٩	هجرة أم كلثوم بنت عقبة
١٥٤	قصة الأسود الراعى وإسلامه ثم استشهاده	١٤١	ذكر المسير إلى خيبر
١٥٥	حديث الحجاج بن علاط السلمى	١٤٢	دعاء الرسول ﷺ عند دخول خيبر
١٥٧	شعر حسان فى فتح خيبر	١٤٢	فرار أهل خيبر
١٥٧	تقسيم أموال خيبر		
	ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ		
١٦٠	نساءه من قمح خيبر		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٦٩	من بنى جمع		نصيب أمهات المؤمنين وفاطمة رضى الله عنهن
١٦٩	من بنى سهم	١٦٠	وصية الرسول ﷺ عند موته
١٧٠	من بنى عدى	١٦٠	خبر فذك
١٧١	من بنى عامر	١٦٠	تسمية النفر الدارين الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر
١٧١	من بنى الحارث	١٦١	إجلاء اليهود من خيبر
١٧١	الهالكون منهم	١٦٢	عمر رضى الله عنه يجلى اليهود من خيبر
١٧٢	مهاجرات الحبشة	١٦٣	عمر يقسم وادى القرى
١٧٢	من قریش : من بنى هاشم	١٦٥	قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة
١٧٢	من بنى مخزوم	١٦٥	حديث المهاجرين معه
١٧٢	من بنى تيم	١٦٥	من بنى هاشم
١٧٢	من بنى سهم	١٦٥	من بنى عبد شمس
١٧٢	من بنى عدى	١٦٦	من بنى أسد
١٧٢	من بنى عامر	١٦٦	من بنى عبد الدار
١٧٢	من غرائب العرب	١٦٦	من بنى زهرة
١٧٣	من ولد من أبنائهم بالحبشة	١٦٦	من بنى تيم
١٧٣	من بنى عبد شمس	١٦٦	من بنى جمع
١٧٣	من بنى مخزوم	١٦٦	من بنى سهم
١٧٣	من بنى زهرة	١٦٧	من بنى عدى
١٧٣	من بنى تيم	١٦٧	من بنى الحارث
١٧٣	الرجال منهم	١٦٧	بعض من جاء أيضا من أرض الحبشة
١٧٣	النساء منهم	١٦٧	من بنى أمية
	عمرة القضاء فى ذى القعدة سنة سبع	١٦٨	من بنى أسد
١٧٥	سبب التسمية	١٦٨	من بنى عبد الدار
١٧٥	زواج الرسول ﷺ بميمونة	١٦٨	من بنى زهرة
١٧٧	ذكر غزوة مؤتة فى جمادى الأولى	١٦٨	من بنى تيم
	سنة ثمان ومقتل جعفر وزيد	١٦٨	من بنى مخزوم
١٧٩	وعبد الله بن رواحة		
١٧٩	بكاء عبد الله بن رواحة وشعره للرسول		
١٨٢	لقاء الروم وحلفائهم		

ابن إسحاق

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٩٨	خروج الرسول إلى مكة	١٨٣	استشهاد زيد بن حارثة
	إسلام سفيان بن الحارث وعبد الله بن	١٨٣	استشهاد جعفر
١٩٨	أبي أمية	١٨٤	استشهاد عبد الله بن رواحة
١٩٩	قصة إسلام أبي سفيان بن حرب	١٨٥	الرسول يتنبأ بما حدث
٢٠١	عرض الجيش على أبي سفيان	١٨٥	حزن الرسول ﷺ على جعفر
٢٠٢	تحذير أبي سفيان أهل مكة	١٨٦	كاهنة حدس ومقالتها
٢٠٣	إسلام أبي قحافة	١٨٧	عودة الجيش والتقاء النبي ﷺ بهم
٢٠٤	دخول مكة	١٨٨	ما قيل من الشعر في غزوة مؤتة
	تخوف المهاجرين على قريش من سعد	١٨٨	قول قيس بن المسحر
٢٠٤	ابن عبادة	١٨٨	شعر حسان في غزوة مؤتة
٢٠٦	شعار المسلمين يوم فتح مكة	١٨٩	شعر حسان في رثاء جعفر
٢٠٦	الذين أمر النبي ﷺ بقتلهم	١٩٠	أسماء شهداء مؤتة
	السبب الذي دعا الرسول ﷺ بقتل	١٩٠	من بنى هاشم
٢٠٧	عبد الله بن سعد	١٩٠	من بنى عدى
٢٠٧	أسماء من أمر النبي ﷺ بقتلهم	١٩٠	من بنى مالك
٢٠٨	ما قاله عليه السلام على باب الكعبة	١٩٠	من الأنصار
٢٠٩	قصة خراش مع قاتل أحمر	١٩٠	من بنى الحارث
٢١١	الرسول يدخل الحرم	١٩٠	من بنى غنم
٢١٢	الرسول يعطي الأمان لصفوان	١٩٠	من بنى مازن
٢١٢	إسلام رءوس أهل مكة	١٩٠	من بنى مالك
٢١٤	بقاء هبيرة على كفره		ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة
٢١٥	ما قيل من الشعر في فتح مكة		وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة
٢١٥	قول حسان بن ثابت	١٩١	ثمان
٢١٧	ما قاله أنس بن زعيم	١٩١	ما وقع بين بنى بكر وخزاعة
٢١٨	ما قاله بجير بن زهير	١٩٣	شعر الأخر
	مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى	١٩٤	خزاعة تستنجد بالرسول ﷺ
٢١٩	بنى جذيمة	١٩٥	أبو سفيان يطلب الصلح
٢٢٠	ما كان بين قريش وبنى جذيمة	١٩٦	الاستعداد لفتح مكة
٢٢٢	خبر ابن أبي حذرر مع بنى جذيمة		حاطب يحذر أهل مكة
٢٢٢	شعر أحد بنى جذيمة	١٩٧	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٤٠	شعر آخر لعباس بن مرداس	٢٢٣	رد ابن وهب عليه
٢٤١	شعر ضمضم	٢٢٣	خالد يهدم العزى
٢٤١	شعر مالك بن عوف	٢٢٤	غزوة حنين في سنة ثمان بعد الفتح
٢٤٢	شعر رجل من هوازن	٢٢٥	قصة الملائكة وعيون مالك بن عوف
٢٤٣	شعر ابن وهب في الرد على ابن ثواب	٢٢٦	الرسول ﷺ يستعير أدرع صفوان
	ذكر غزوة الطائف بعد حنين في سنة	٢٢٧	خروج الرسول ﷺ إلى هوازن
٢٤٤	ثمان	٢٢٧	قصيدة ابن مرداس
٢٤٤	ما قيل من الشعر في غزوة الطائف	٢٢٨	قصة الشجرة ذات أنواط
٢٤٤	شعر كعب بن مالك	٢٢٨	لقاء هوازن وثبات الرسول ﷺ
٢٤٦	كنانة يرد على كعب	٢٢٩	من ثبت مع الرسول ﷺ
٢٤٧	شعر شداد بن عارض	٢٢٩	شبية بن طلحة يحاول قتل الرسول ﷺ
٢٤٧	الطريق إلى الطائف	٢٣٠	النصر بعد الهزيمة
٢٤٨	يوم الشدخة	٢٣٠	شجاعة الإمام على رضى الله عنه
	أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان	٢٣١	أم سُلَيْم في المعركة
٢٤٨	مع ثقيف	٢٣٢	قصة أبي قتادة وسلبه
	أبو بكر رضى الله عنه يفسر رؤيا	٢٣٣	الملائكة تحضر القتال
٢٤٩	الرسول ﷺ	٢٣٣	قصة الغلام الأغرل
٢٤٩	ارتحال المسلمين عن الطائف	٢٣٤	فرار قارب وقومه
	شعر الضحاك في إطلاق أبي بن مالك	٢٣٤	شعر ابن مرداس
٢٥٠	من يد مروان	٢٣٥	مقتل دُرَيْد
٢٥١	الشهداء يوم الطائف	٢٣٦	شعر عمرة
	قصيدة بجير بن زهير في حنين	٢٣٧	استشهاد أبي عامر الأشعري
٢٥١	والطائف	٢٣٨	شعر سلمة
	أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا	٢٣٨	المنهى عن قتلهم
	المؤلفة قلوبهم منها وإنعام رسول الله	٢٣٨	الشيماة أخت الرسول ﷺ
٢٥٣	فيها ﷺ	٢٣٩	شهداء يوم حنين
٢٥٥	إسلام مالك بن عوف	٢٣٩	سبايا حنين وأموالها
٢٥٦	تقسيم الفىء	٢٣٩	شعر عباس بن مرداس
٢٥٧	شعر ابن مرداس	٢٣٩	رد ابن العفيف
٢٥٨	لماذا لم يعط النبي ﷺ جعيلًا ؟	٢٤٠	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٨٠	حديث أبي رهم في تبوك	٢٥٩	مقالة رسول الله ﷺ في الأنصار
	أمر مسجد الضرار عند القفول من		عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة
٢٨١	غزوة تبوك		واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة
٢٨١	دعوة أهله الرسول ﷺ للصلاة فيه	٢٦٠	وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان
٢٨١	أمر الرسول ﷺ بهدمه		أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن
٢٨٢	مساجد الرسول ﷺ	٢٦١	الطائف
	أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين	٢٦٢	شعر بجير لكعب
٢٨٢	في غزوة تبوك		كعب بن زهير وقصيدته (بانت
٢٨٣	حديث كعب عن تخلفه	٢٦٢	سعاد)
	أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر		كعب رضي الله عنه يسترضى الأنصار
٢٨٩	رمضان سنة تسع	٢٦٩	بمدحهم
٢٩٢	قصة بلال مع وفد ثقيف	٢٧٠	غزوة تبوك في سنة تسع
٢٩٢	هدم اللات	٢٧٠	أمر الرسول ﷺ بالاستعداد لتبوك
٢٩٣	إسلام أنى مليح وقارب	٢٧١	تخلف الجد بن قيس
٢٩٤	كتابه ﷺ لثقيف	٢٧١	شأن المنافقين
	حج أبي بكر رضي الله عنه بالناس	٢٧١	حض الأغنياء على النفقة
	سنة تسع واختصاص النبي ﷺ عليا	٢٧٢	شأن المعذرين
٢٩٥	رضوان الله عليه لتأدية أول براءة عنه	٢٧٣	المنافقون يرجفون بعلي رضي الله عنه
٢٩٧	الأمر بجهاد المشركين		أبو خيثمة وعمير بن وهب يلحقان
	القرآن يرد على قريش ادعاءهم عمارة	٢٧٣	بالرسول ﷺ
٢٩٨	البيت	٢٧٤	ما قاله النبي ﷺ وهو بالحجر
٢٩٩	ما نزل في أهل الكتابين	٢٧٥	تقول ابن اللصيت
٢٩٩	ما نزل في النسئ	٢٧٦	قصة أبي ذر
٢٩٩	ما نزل في تبوك		تخويف المنافقين المسلمين وما نزل
٢٩٩	ما نزل في أهل النفاق	٢٧٧	فيهم
٣٠٠	ما نزل في أصحاب الصدقات	٢٧٨	الصلح مع صاحب أيلة
٣٠٠	ما نزل فيمن آذوا الرسول ﷺ	٢٧٨	خالد وأكيدر دومة
٣٠٢	ما نزل بسبب الصلاة على ابن أبي	٢٧٩	وادی المشقق ومأوه والمعجزة
	ما نزل في المستأذنين والمعذرين		ذو البجادين ودفنه وتسميته
٣٠٢	والبكائين ومنافقي الأعراب	٢٨٠	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٢١	الكذاب	٣٠٣	ما نزل في المخلصين من الأعراب
٣٢١	تنبؤ مسيلمة		ما نزل في السابقين من المهاجرين
٣٢٢	قدوم زيد الخيل في وفد طيبىء	٣٠٣	والأنصار
٣٢٣	قدوم عدى بن حاتم	٣٠٥	حسان يعدد مغازيه ﷺ شعرا
٣٢٣	هروبه إلى الشام فرارا من الرسول ﷺ		ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود
٣٢٣	أسر الرسول ﷺ ابنة حاتم	٣٠٩	ونزول سورة الفتح
٣٢٥	إسلام عدى	٣٠٩	انقياد العرب وإسلامهم
٣٢٦	قدوم فروة بن مسيك المرادى		قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة
٣٢٦	يوم الردم	٣١٠	الحجرات
	قدوم عمرو بن معديكرب في أناس	٣١٠	رجال الوفد
٣٢٧	من بنى زبيد	٣١٠	أصحاب الحجرات
٣٢٩	قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة	٣١٠	كلمة عطار
٣٢٩	إسلام وفد كندة	٣١٠	ثابت بن قيس يرد على عطار
٣٣٠	قدوم صرد بن عبد الله الأزدي مسلما	٣١١	شعر الزيرقان في الفخر بقومه
٣٣٠	قتاله أهل جرش	٣١٢	حسان يرد على الزيرقان
٣٣٠	إخبار الرسول ﷺ بما حدث	٣١٣	شعر آخر لحسان في الرد على الزيرقان
٣٣١	إسلام أهل جرش	٣١٤	إسلام الوفد
٣٣١	قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم	٣١٤	شعر ابن الأهم في هجاء قيس
٣٣١	كتاب الرسول ﷺ إليهم		قصة عامر بن الطفيل وأريد بن قيس
	وصية الرسول ﷺ معاذ حين بعثه إلى	٣١٥	في الوفادة عن بني عامر
٣٣٣	اليمن	٣١٥	رؤساء الوفد
٣٣٣	إسلام فروة بن عمر الجذامي	٣١٥	عامر يدبر الغدر بالرسول ﷺ
٣٣٤	حبس الروم له وشعره ومقتله	٣١٦	موت عامر بدعاء الرسول عليه
	إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى	٣١٦	موت أريد بصاعقة
٣٣٤	خالد بن الوليد لما سار إليهم	٣١٦	شعر لبيد في بكاء أريد
	قدوم خالد مع وفدهم على الرسول ﷺ		قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بنى
٣٣٥		٣٢٠	سعد بن بكر
	الرسول ﷺ يتبع عمرو بن حزم	٣٢٠	دعوة قومه للإسلام
٣٣٦	بعثه إليهم		ما حدث بين الرسول وبين مسيلمة
٣٣٨	قدوم رفاعة بن زيد الجذامي		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٥٣	غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة	٣٣٨	إسلامه وكتاب الرسول إلى قومه
	غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير		ذكر الكذابين مسيلمة الحنفى والأسود
٣٥٤	ابن رزام	٣٣٨	العنسي
٣٥٤	غزوة ابن عتيك خيبر	٣٣٩	رؤيا الرسول ﷺ فيهما
	غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن	٣٣٩	حديث الرسول ﷺ عن الدجالين
٣٥٤	نبيح الهذلي	٣٣٩	خروج الأمراء والعمال على الصدقات
٣٥٥	هدية الرسول ﷺ لأنيس		كتاب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله
٣٥٥	بعض غزوات آخر	٣٣٩	ﷺ والجواب عنه
٣٥٦	غزوة عيينة بن حصن بنى تميم	٣٤٠	حجة الوداع
٣٥٦	غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة	٣٤٠	تجهز الرسول ﷺ
٣٥٦	غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل	٣٤٠	حكم الحائض فى الحج
	غزوة ابن أبي حدرد بطن إضم وقتل		موافاة على رضى الله عنه فى قفوله من
٣٥٩	عامر بن الأضبط الأشجعى	٣٤١	اليمن
	غزوة ابن أبي حدرد لقتل رفاعة بن	٣٤٢	خطبة الوداع
٣٦١	قيس الجشمى		اسم الصارخ بتبليغ ما يقوله رسول الله
	غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة	٣٤٣	ﷺ
٣٦٢	الجنديل	٣٤٤	تعاليم الرسول ﷺ للحاج
٣٦٣	غزوة عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر	٣٤٥	بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين
	بعث عمرو بن أمية الضمري لقتال	٣٤٥	أسماء الرسل ومن أرسل إليهم
	أبى سفيان بن حرب وما صنع فى	٣٤٦	أسماء رسل عيسى عليه السلام
٣٦٤	طريقه	٣٤٦	ذكر جملة الغزوات
٣٦٥	سرية زيد بن حارثة إلى مدين	٣٤٧	ذكر جملة السرايا والبعوث
٣٦٥	سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك		غزوة غالب بن عبد الله اليثى
	غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل	٣٤٧	بنى الملوخ
٣٦٦	عصماء بنت مروان	٣٤٧	شان ابن البرصاء
٣٦٧	أمر ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه	٣٤٨	بلاء ابن مكيث فى هذه الغزوة
٣٦٨	سرية علقمة بن مجرز	٣٤٨	نجاة المسلمين بالنعم
	سرية كرز بن جابر لقتل البجليين	٣٤٩	غزوة زيد بن حارثة إلى جذام
٣٦٨	الذين قتلوا يسارا		غزوة زيد الطرف
٣٦٩	غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن	٣٥٣	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٧٨	اليوم الذي قبض فيه رسول الله ﷺ	٣٦٩	بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين
	شأن علي والعباس رضي الله عنهما	٣٦٩	ابتداء شكوى رسول الله ﷺ
٣٧٩	قبل وفاته	٣٧٠	تمريضه ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها
٣٧٩	سواك الرسول ﷺ قبل وفاته	٣٧٠	ذكر أزواجه ﷺ
٣٨٠	مقالة عمر - رضي الله عنه بعد وفاته		عائشة - سودة - زينب بنت جحش
٣٨٠	شأن أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاته	٣٧١	- أم سلمة - حفصة
٣٨١	أمر سقيفة بني ساعدة	٣٧٢	أم حبيبة - جويرية - صفية - ميمونة
٣٨٢	عمر يذكر البيعة لأبي بكر	٣٧٣	زينب بنت خزيمة
٣٨٤	خطبة عمر بعد البيعة لأبي بكر	٣٧٣	القرشيات منهن
٣٨٥	خطبة أبي بكر بعد البيعة	٣٧٣	العربيات وغيرهن
٣٨٦	جهاز رسول الله ﷺ ودفنه	٣٧٤	تمريض رسول الله ﷺ في بيت عائشة
٣٨٦	كيفية غسله - تكفينه	٣٧٤	اشتداد المرض
٣٨٧	القبر - الصلاة عليه ودفنه ﷺ		خطبة النبي ﷺ وتفضيله أبا بكر
٣٨٧	من تولى دفنه	٣٧٤	رضي الله عنه
٣٨٨	أحدث الناس به عهدا	٣٧٥	أمره بإنفاذ بعث أسامة
٣٨٨	خميسة رسول الله ﷺ السوداء	٣٧٥	وصايته بالأنصار
٣٨٨	افتتان المسلمين بعد موته ﷺ	٣٧٦	اللدود
٣٨٩	حسان بن ثابت يرثي الرسول ﷺ	٣٧٦	دعاؤه لإسامة بالإشارة
٣٩٥	الحاتمة نرجو من الله حسننها	٣٧٧	أبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس
٣٩٧	الفهرس		

* * *

NOTE:

THESE BOOKS ARE
SCANNED FOR OUR
CHILDREN KNOWLEDGE.
THANK TO BROTHER
NASIR UDDIN ARIF
TALIB DUA

NAZAR + AHMAD ALI